
مجلة
كلية اللغة العربية
بالمنصورة
مجلة علمية محكمة
المشرف العام
أ.د / محمد حسين حماد
عميد الكلية
رئيس التحرير
أ.د / صلاح عبد العزيز على
وكيل الكلية
١٤٢٠هـ
الجزء الأول
٢٠٠٠م
العدد التاسع عشر

مجلـــة

كلية اللغة العربية

بالمنصورة

مجلة علمية محكمة

المشرف العام

أ.د / محمد حسين حماد

عميد الكلية

رئيس التحرير

أ.د / صلاح عبد العزيز على

وكيل الكلية

١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

إفتتاحية العدد

بقلم الدكتور/ محمد حسين حماد

عميد الكليــــة

مضى ربع قرن تقريباً على إنشاء كلية اللغة العربية بالمنصورة ومازالت تؤدى رسالتها العلمية خدمة للغة القرآن الكريم، وإسهاماً فى تراثها، وبحثاً عن دقائقها وأسرارها.

فها هو ذا العدد التاسع عشر من مجلتها العلمية المحكمة يضم بحوثاً لغوية ونحوية وأدبية وتاريخية، وأكثر بحوثها محكم أجيز نشره من قبل اللجان العلمية المتخصصة.

وقد وقعت بحوث المجلة فى جزءين كبيرين:

الجزء الأول:

يضم بحوثاً لغوية ونحوية وتاريخية مثل سمة العربية الفصحى، وتأملات فى وصف المبانى للمالقى، وشرح التسهيل لناظر الجيش، ولمحات عن «يا» فى التراث، والتوسع فى الأمهات النحوية عند العرب، ومناهج البحث عند النحاة.

ومن البحوث التاريخية (الإمام محمد بن عبدالكريم المقيلى، وتأثيره الثقافي فى بلاد السودان الغربى.

والجزء الثانى:

يُضم بحوثاً أدبية ونقدية وهى: أهم المسائل النقدية فى كتاب الغربال، والعلاقة الانسانية بين الحاج والمطوف، والشاعر الشهيد أبوسالم الكلاعى، ورد

مطاعن طه حسين الدينية فى شعر أبى العلاء المعرى، والاتجاه الوجدانى فى شـ..
بدر يدير، و «كمال عبدالحليم شاعر «دع سمائى» الغائب عن الساحة الأد..
والنقدية.

وختمت المجلة خدمة لطلاب الدراسات العليا بجامعة الأزهر بقائمة البحوث العلمية المسجلة لدرجتى التخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) خلال العام الماضى حتى تاريخ اخراج هذا العدد مما يوفر الوقت والجهد للباحثين والدارسين فى كليات الجامعة.

وبعد .....

فهذه البحوث العلمية المتخصصة تكشف عن عظم لغة القرآن الكريم وأسرارها ودقائقها، كما تكشف عن الجهد العلمى المتواصل من قبل أعضاء هيئة التدريس بالكلية، وتفانيهم فى أبراز أسلافنا القدماء فى خدمة التراث العربى.

وأختم كلمتى بالتمثل بقول حافظ إبراهيم على لسان العربية وهو يفاخر الغرب بأسلافنا القدماء:

سقى الله فى بطن الجزيرة أعظما
يعز عليها أن تلين قناتى
وفاخرت أهل الغرب - والشرق مطرق
حياء - بتلك الأعظم النخرات

دكتور/ محمد حسين حماد

عميد الكلية



دقة اللغة وروعة بنيانها

يظهر فى التاء ودلالاتها فى العربية

الأستاذ الدكتور

صلاح عبد العزيز على السيد

استاذ اللغويات - ووكيل الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

دقة اللغة ، وروعة بنيانها
يظهر فى التاء ودلالاتها فى العربية

من إبداع لغتك العربية ، وتميزها فى الأداء البنائى للكلمة ، أنها تشتمل على حروف تؤدى معانى كثيرة ، مما يدل على مرونتها وحيويتها ومواكبتها لكل حدث فى دقة نادرة ، قلما تشاركها فيها لغة أخرى ، وكأن الله عز وجل جعل جمال اللغات وسرها فى لغة الضاد ، لأنها وعاء لكتابه العزيز الخالد ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتجد فى ذلك خضماً هائلاً ، وبحراً زاخراً ، بما يشهد لهذه اللغة بالفوق والتقدم وبالدعوة الملحة لأبنائها أن يهتموا بها ويعلوا شأنها ، ويرفعوا قدرهم بارتفاع قدرها فلها عليهم حقوق يجب أن تؤدى ، وواجبات من المحتم أن تراعى ، وسأسوق أمثلة تؤيد هذه الحقيقة ، وتشحذ العزائم بذلك.

أولاً: أن وسائل التأنيث الظاهرة فى الكلمة العربية كثيرة منها ، التاء ، وألف التأنيث المقصورة ، وألف التأنيث الممدودة (وسنتكلم عن التاء).

فتدخل على الفعل : لتدل على تأنيث الفاعل من أول الأمر ، دليلاً على الصلة القوية التى تربط بين الفعل والفاعل ، وهذه صلة تلحظ مع الأفعال الخمسة مثل يضربون ، فالإعراب يكون على آخر الكلمة ، وهو هنا " النون " ومع ذلك نرى الفاعل وهو " الواو " قبلها

، كأنما هو جزء من مادة الفعل حيث جاء قبل الإعراب ، فلا غرو أن نجد علامة تأنيث الفاعل ، ليست فيه ، وإنما هى فى الفعل ، للتلاحم بينهما ، بتلاحم الجزء بالكل ، مثل ضربتْ ، وأشرقتْ السماء ، فهى فى آخر الماضى وفى المضارع فى أوله مثل : تكرم الفتاة ، وتسعى المرأة المسلمة فى الخير.

متى يجب لحاق هذه التاء ؟

يجب لحاق هذه التاء للفعل إذا كان الفاعل ظاهراً حقيقى التأنيث متصلاً بالفعل مثل : سافرتْ ليلى إلى بلدها ، وتقدم هندُ إلينا كل جديد فى العلم ، أو كان الفاعل ضميراً متصلاً ، عائداً على مؤنث ، سواء أكان حقيقى التأنيث نحو : فاطمة ألقتْ كلمتها وأبدعت.

أم مجازى التأنيث نحو : العين ترى ، واليد تدافع ، والشمس ظهرت فى الكون.

ومتى يجوز ذلك؟

ويجوز ترك التاء أو لحاقها إذا فصل بين الفعل والفاعل الظاهر الحقيقى التأنيث بغير إلا نحو : شَرَحَت الدرسَ ، سعادُ أمامنا ، فيجوز حذف التاء معها فتقول : شرح المسألة هندُ ، وهكذا ، ومثل ما سبق إذا كان الفاعل مؤنثاً مجازياً ، وهو ما ليس له فرج حقيقى مثل : سقطتْ الثمرةُ ، وسقط الثمرةُ. أو كان جمع تكسير مثل : سافرتْ الطلابُ ، وسافر الطلاب ، وفرحت الهنود ، وفرح الهنود ، ولوحظ المجازى فى الهنود : لأنه جمع تكسير ، والنظر للمؤنث الحقيقى لآحاد الجمع لا للجمع ، أو أسم جمع مثل : (وقال نسوةُ فى المدينة) فمن أثبت التاء نظر إلى تأويل الجمع باسم الجماعة ، ومن

حذفها نظر إلى معنى الجمع وهل يدخل فى السابق جمع المذكر مثل حضر المخلصون وجمع المؤنث نحو : قالت المؤمنات ؟ حكم الكوفيون[١] بدخول هذين ، وجوزوا فيها الوجهين ، ولكن البصريين ، رأوا أن سلامة نظم الواحد فى جمعى التصحيح أوجبت التذكير فى المذكر ، والتأنيث فى المؤنث ، ويدخل أيضاً فى جواز الوجهين فاعل نعم وبئس المقترن بأل الجنسية نحو : نعم الزوج هند ، وبئس المرأة المتبرجة.

كما تدخل التاء على الاسم[٢] لتدل على تأنيثه ، وتكون محلاً للحركة الإعرابية نحو : شارحة ، فاهمة ، مدرسة ، وشاهدت طالبة ، ومررت بتلميذة.

علامة المؤنث المجازى الخالى من التاء

والذى يدلك على تأنيث المجازى المجرد من التاء نحو : شمس ، رأس ، عين ، أمور تعرفك بذلك وهى :-

أولاً : عود الضمير عليه مؤنثاً نحو : النار وعدها الله الذين كفروا ، "وحتى تضع الحرب أوزارها" ، فالنار مؤنثة ، وكذلك الحرب : لعود الضمير فى " وعدها " و " أوزارها " عليهما.

ثانياً : الإشارة إليه بالمؤنث نحو : " هذه جهنم " و " تلك الدار الآخرة " فجهنم والدار مؤنثتان ، للإشارة إليهما باسم الإشارة المؤنث.

---

[١] الأشمونى جـ ١ ص١٧٥.

[٢] قال المرادى : ولا تعد حينئذ من حروف المعانى ، مذهب البصريين فيها أنها تاء فى الأصل ، والهاء فى الوقف بدل التاء ، ويذهب الكوفيين عكس ذلك.

ثالثاً : وبلحاق التاء لمصغره إن كان ثلاثياً نحو عُيَيْنَه ، أذَيْنَه ، أو غير الثلاثى نحو : قد يديمة ، أو فى فعله نحو : ولما فصلت العير. أو فى اسم فاعله نحو: ولسليمان الريح عاصفة ".

رابعاً : وبسقوط التاء من عدده ، من الثلاثة إلى العشرة : نحو : سخرها عليهم سبع ليال.

<u>هل تلحق هذه التاء الحروف ؟ :-</u>

نعم تلحق هذه التاء أربعة أحرف نص عليها الرضى فى شرح الكافية[1] وهى (لات ، رُبَّتَ ، وثمَّت) إذا عطفت بثم : قصة على قصة ، ولعلَّ نحو : لعلت هند قائمة. ولا بد أن يكون المجرور برب مؤنثاً ، ويلى لات. المؤنث إيذاناً به من أول الأمر.

<u>أهداف تاء التأنيث</u>

الأصل فى دلالتها على المعانى المختلفة ، أن تكون للفرق بين المذكر والمؤنث فى الصفات المشتركة بينهما ، فتدخل على المؤنث لتفرق حقيقته عن المذكر ، مثال كاتبة ، ومشهورة ، جميلة ، مصرية ودخولها قياسى فى اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة غير أَفْعَل ، فَعْلان منها وكذلك فَعْلَى نحو : أسود ، سوداء ، غَضْبان ، غَضْبَى ، كما لا تدخل على اسم التفضيل ، وكما دخلت على الصفات السابقة تدخل على المنسوب نحو : كوفية وتدخل على الأسماء الجامدة للغرض السابق ، لورود السماع بذلك نحو : امرأة ، رجلة ، إنسانة ، فنانة ، علامة ، فتاة ، طفلة.

---

[1] الجزء الثانى باب نعم وبئس.

كما ورد كذلك : رَبْعَة ويَفعة. مخالفة لما سبق فى أنــها تكوَن للمذكر والمؤنث وكأن التاء عديمة الفائدة فى الدلالة على المؤنث ، كما هو المعروف عنها ، ولكن العلماء قــالوا : إنــها فــى الأصْل صفة لمؤنث مقدر أى نفس ربعة ويفعة.

وأما نحو : طالق ، حامل ، ومرضع من الصفات المختصــة بالإناث فينظر فيها إن كان يقصد بها معنى الحدوث ، فتلزمها التــاء نحوَ : طَلَقَتْ فهى طالقة ، وأَرْضَعَتْ فهى مُرْضِعة ، وإن لــم يقصــد منها الحدوث جردت من التاء نحو : جمل ضامر ، وناقة ، ضـــامر ، رجل عانس ، وامرأة عانس.

وللعلماء فى هذه الحالة ثلاثة أراء لتعليل تجريدها مــن التــاء وهى :-

١- سيبويه : يرى أن ذلك مؤول بأنها صفات لموصــوف مذكر مقدر.

تقول : إنسان حائض ، أو شئ حـــائض. ولكــن يظــهر أن سيبويه غفل عن انه يلحقه التاء مع قصد الحدوث ، فكأن العلة شــئ آخر غير هذا التأويل الذى ذكره سيبويه من تقدير مذكر.

وقال الخليل : إنما جردت من التاء لتأديتها معنى النســب كلابن وتامر فكما أن معناهما : ذو لين ، وذو تمر بلا تقييد بــالحدوث أى لبَنِيُ وتمريُ كذلك معنى : طالق : وحائض. ذات طلاق وحيــض. فالمقصود فى نظره من هذه الصفات التى جردت من التاء ، الدلالــة على معنى النسب. ولكن نظرة الخليل قاصرة ، فإننا نــرى أن صيــغ

النسب التى على الأوزان المذكورة تدخل عليها التـاء تقـول : عيشة راضية وحياة دافقة ، امرأة نَبَّالة ، فضلاً عن أن حمـل حائض ونحوها على أنها صيغة نسب ، لم يقل بذلك أحد فليست مـن أبنية النسب ، ولا نرى من ذكره منها.

ويوجه الكوفيون : أنّ التاء هنا لا داعى لها ، لأنها يحتـاج إليها للفرق عند حصول الاشتراك فى التذكير والتأنيث ، وهذه صفـات خاصة بالمؤنث ، فلا حاجة لها للتمييز ، إذ لا إلباس هنا.

وهى نظرة جزئية ضيقة فى بعض أمثلة ، ولم تتسع لبـاقى الأمثلة حتى يكون الحكم كُلّيَاً صادقاً على جميع أفراده ، فهذه العلـة غير مطردة فى نحو : ضامر وعانس. فهى تدخل فى هـذه الصفـات وتشترك بين المذكر والمؤنث ونظرتهم أيضـاً تقتضـى ألا يقـال إلا امرأة مرضع ، وقد ثبت فى الصَّحِيح الوارد يقال : مرضعة بالتاء بلا قصد الحدوث. قال تعالى : " يوم ترونها تذهـل كـل مرضعـة عمـا أرضعت ".ويرى الرضى : رأيا يجمع فيه الأقوال السابقة ، ويبعـد نفسه عن جميع المآخذ السابقة ، وهذا ملحظ حسـن لأبـى الحسـن الاستراباذى فيقول :[١]

" إن التاء تفرق بين المذكر والمؤنث أصلاً فى الفعل ثم حمـل اسم الفاعل والمفعول عليه ، لمشابهته له ، فإن جاء على وزن فـاعل ، وقصد به الحدوث كالفعل لحقته التاء ، وإن قصد به الإطلاق جـرد

---

[١] الكافية ٢/١٦٥ بتصرف.

عن التاء ، وحملت الصفة المشبهة والمنسوب عليها ، لما فيها من معنى الصفة ، فلحقتها التاء.

وهذه نظرة جيدة للعودة إلى الأصل ، وهو الحدث أحد مدلولى الفعل حتى تدخل التاء على هذه الصفات حملاً عليه ، وإن جردت من الحدوث خرجت مشابهتها للفعل ، ولم تدخل عليها التاء.

وهذا أهم غرض للتاء فى اللغة ، وهو تمييز المؤنث من المذكر ، وهناك أغراض أخرى.

أ- تأتى التاء أيضاً للدلالة على الوحدة مثل : نملة ، نخلة ، ثمرة ، فقد فصلت بين الآحاد المخلوقة ، مع جواز أن تكون الكلمة مذكرة أو مؤنثة ، ولكن التاء فيها تدل على أن الكلمة تدل على واحدة مثل : بطة ، أوزة ، وقد تفصل بين المصادر وأجناسها مثل : ضرب ضربة ، وإخراج إخراجة ، وهذا كثير مطرد فى هذين النوعين : أى فصل الآحاد من الجمع وفصل المصادر من أجناسها ، وقد جاءت أيضاً للفرق بين الجنس وبين الآحاد المصنوعة مثل : سفن وسفينة ، ولبن ولبنة ، وقد ورد دخولها أيضاً للفرق فى اسم الجنس الجمعى نحو : مئة ، وكمأة ، وخبأة.

ب- كما تدل على الجمع أيضاً ، بمعنى أن وجودها يدل على جمعية الكلمة ، وذلك فى الصفات التى لا تستعمل موصوفاتها ، وهى على فاعل أو فعول أو صفة منسوبة بالياء أو على

فعال نحو : لا تترك فى العلم شاردة ولا واردة ، ونحو ركوب وركوبة ، وبصرية وشامية ، ونبالة.

كما تأتى التاء فى تكسير الجمع نحو قرد و قردة ، وحسل وحسلة. قال سيبويه : فأما القردة فأستغنى بها عن أقراد كما قالوا ثلاثة شسوع فاستغنوا بها عن أشساع وقالوا ثلاثة قروء فاستغنوا بها عن ثلاثة أقراء.[١]

وقد يكسر على (فُعُولَة وفِعَالَة) فيلحقون هاء التأنيث البناء وهو القياس أن يكسر عليه ، وزعم الخليل أنهم إنما أرادوا أن يحققوا التأنيث وذلك نحو : الفحالة والبعولة والعمومة[٢] ، وقالت العرب : صولج وصوالجة ، وطيلسان وطيالسة ، وجورب وجواربة ، فالتاء تدل على الجمع كما تأتى معاقبة لياء الجمع نحو : زنادقة وزناديق . فتحذف الياء لمكان الهاء.[٣]

جـ- وقد تدخل هذه التاء على الصفة فتؤكدها نحو : راوية ، داعية ، هادية أو على صيغة المبالغة ، فتؤكد فيها معنى المبالغة والكثرة مثل : مطرابة ، هُمزة ، ونَسّابة ، وعلامة وتدخل على الجمع المؤنث فتؤكده نحو : غلمة ، أغربة ، عمومة ، ملائكة أو تؤكد معنى التأنيث نحو : ناقة ، نعجة ، عجوز ، عجوزة.

---

(١) انظر الكتاب ٣/٥٧٥.

(٢) انظر الكتاب ٣/٥٦٨.

(٣) انظر الكتاب ٢/٣٨.

د- وقد يقصد بها الدلالة على أن واحد الجمع معـرب ، وإن كان أعجمياً فى الأصل ثم دخل بواسطة التعريـــب إلى لغتنا للحاجة الماسة إليه ، فزيادة التـــاء علـــى الجمـع الأقصى تدل على خروج مفرده عن العربية الأصيلة ، وهـــذا نوع من التمييز الجيد ، للحفاظ على اللغة من الذوبـــان فـــى اللغات الأخرى ، وذلك مثل : جواربة ، كيالجة ، موازجـــة ، فالتاء أمارة العجمة فيها.

هـ- وأحياناً تدل التاء علي البدل والعوض وذلك عـــن يـاء النسب أو ياء المدة وذلـــك مثـــل : أشـــاعرة ، وأشـــاعثة ، ومشاهدة فى أشعرى ، أشعثى ومشهدى فكأن التاء فى الجمع الأقصى يدل عن ياء النسب ونحـــو : فـــرازدة ، وحجاحجـــة والأصل : فرازيد ، جحاجيح فحذفت الياء وعوض عنها التـاء ، وقد تكون عوضاً عن ياء الإضافة مثل يا أبت ، يا أمَّت كما تكون عوضاً عن حرف أصلى للكلمة سواء كان فاء لها مثـــل : زنة ، عدة أو عينا نحو إقامة وإجابة ، والأصل : إقـــوام ، إجواب ثم نقلت حركة الواو فيها إلى الساكن الصحيح قبلـــها ثم تحركت الواو بحسب الأصل ، وانفتح ما قبلها بحسـب الآن ، فقلبت فيها الواو ألفاً ، فلما اجتمع ألفان حذفت إحداهمـــا ، ثم عوض عنها التاء المربوطة فى آخر الكلمة ، وأصل زنة ، وعدة : وزْن ، وعْد ، ثم حذفت الفاء فيها " وهـــى الـــواو " وعوض عنها التاء آخراً ، أو عوضاً عن اللام نحو : ســـنة ، كرة، ظبة.

وتأتى التاء بدلاً من لام الكلمة.

وهذه التاء التى هى بدل من لام الكلمة وسكن ما قبلها ، ووقف عليها بالتاء لم يرد منها فى اللغة إلا سبع كلمات وهى : أخت ، وبنت ، هنت ، كيت ، ذيت ، ثنتان ، كلتا عند سيبويه وقولهم: منت التاء ليست بدلاً من اللام إذ لا لام (لمن) وضعاً كما يقول الرضى.[١]

وأصلها : أخو فى أخت ، وبنو فى بنت وهنو أو هنة فى هنت ، وكيَّة فى كيت التى يكنى بها عن قولهم : كذا وكذا ، وذية فى ذيت وهى بمعنى كيت ، وثنى أو ثنو فى ثنتان ، وكلتا الألف فيها للتأنيث ، التاء بدل من لام الكلمة ووزنها فِعْلى كذكرى كما يرى سيبويه ، وذهب الجرمى إلى أن التاء للتأنيث ، والألف لام الكلمة كما كانت فى كلا ورأى سيبويه أقوى لندرة البناء وانه ليس فى الأسماء فِعْتَل.

وأيضا : أن تاء التأنيث لا تكون فى الأسماء المفردة إلا وقبلها مفتوح نحو : حمزة وقائمة وكلتا اسم مفرد وما قبل التاء فيه ساكن فلم تكن تاؤه للتأنيث مع أن تاء التأنيث لا تكون حشوا فى كلمة[٢] وأما (منت) فأصله (من) زيدت فيه التاء عند الحكاية وقفا للدلالة على التأنيث المحكى والأفصح فيه (منه) بتحريك نونه ، وإبدال تائه هاء.

---

[١] شرح الكافية جـ ١ ص ٢٢٢.

[٢] شرح المفصل جـ ١ ص ٥٥.

وتأتي التاء المكسورة للإشارة.

مما يشاربه إلى المؤنثة (تِى وتـــا ، وتـــهْ) بســكون الــهاء وبكسرها باختلاس واشباع فالتاء بصحبة الياء أو الأ لف أو الــهاء بأحوالها الثلاثة ساكنة ذِهْ أو مكسورة نحو ذِهِ ، أو مع اختلاس ذهــى والجميع يشاربه إلى دانى المكان أى القريب.

و- وتأتى التاء للقسم : فهى من حروف الجر ، ولا تدخـل إلا على اسم الله نحو تالله تفتا تذكر يوسف[1] وحكى الأخفـــش دخولــها على الرب قالوا : تَرَبِّ الكعبة وخص بعضهم دخولها على الـــرب ، بأن يضاف إلى الكعبة ، وليس كذلك ، لأنه قد جاء عنهم : تـــربّى ، وحكى بعضهم انهم قالوا : تالرحمن ، وتَحيَاتِك ، وذلك شاذ.

قال الزمخشرى[2] فى "وتالله لأكيدن أصنامكم " البـــاء أصــل أحرف القسم والواو بدل منها ، والتاء بدل من الواو وفيـــها زيـــادة معنى التعجب.

قال المرادى معلقاً على كلام الزمخشرى السابق : اســتضعفه بعضهم ثم قال : ولا يقوم دليل على صحته ، وإنما هذه التـــاء فـــرع واو القسم ، لأن الواو تدخل على كل ظاهر مقسم به ، والواو فـــرع الباء.

---

(1) سورة يوسف الآية ٨٥.

(2) مغنى اللبيب جـ ١ ص ٩٨.

فالتاء ، أصل ، وليس مبدلا من الآخر ، وهذا ما أيـده أبو حيان فى البحر[١] حيث قال : لأن النظر يقتضى أن كلا أصل ، وليس مبدلا من الآخر وبعضهم يرى كالرضى فى شرحه للكافيـة[٢] أنها بدل من الواو كما فى وارث وتراث ، ووكلة ، وتكلـة ، تخمـة فلهذا قصرت عن الواو ، فلم تدخل إلا على لفظة الله وهذا ما ذكـره المبرد فى المقضب.[٣]

والأولى أن نقول : أنها ليست مبدلة من غيرهـا والتنظـير بتراث غير دقيق لأنها حرف غير عامل ، أما التاء هنا فـهى أصـل مستقل بالعمل ، فضلا عن أن ذلك يضيق روافد اللغة ، والأجـدر أن نوسعها بإكثار الأنواع.

ز- وتأتى التاء ضميرا وذلك فى نحو أنت ، وأنـت فمذهـب ابن كيسان أن التاء هى الاسم وهى التى فى " فعلت " لكنها كثرت بـ " أن " ومذهب الجمهور أن التاء حرف خطاب و " أن " هو الضمـير وذهب الفراء إلى أن المجموع هو الضمير وهى اللاحقـة للضمـير المرفوع نحو : أنت وأنت فالتاء فى ذلك حرف خطـاب و "أن" هـو الضمير. هذا مذهب الجمهور وذهب الفراء إلـى أن المجمـوع هـو الضمير ، وذهب ابن كيسان إلى أن التاء هى الاسم ، وهى التى فـى فعلت لكنها كثرت بـ "أن".

---

[١] جـ ٥ ص ٣٣٠.

[٢] جـ ٢ ص ٣٣٤.

[٣] ٢/٢٠.

قال سيبويه والتاء التى هى علامة الأضمار كذلك فتقول : ذهبت للمؤنث وذهبت للمذكر ، والتاء تكون بمنزلتها وهى التى فى أنت.[١]

قال ابن هشام فى المغنى ص ٩٨: ووهم ابن خروف فقال فى قولهم فى النسب كنتى " أى نسبه إلى كنت " ، لأن كثيرا ما يحكى الشيخ الكبير كنت كذا كنت كذا ، قال الشاعر :-

فأصبحت كنتيا وأصبحت عاجنا

وشر خصال المرء الكنتى وعاجن

فكأن ابن خروف يرى أن التاء علامة كالواو فى : أكلونى البراغيث. ولم يثبت فى كلامهم أن هذه التاء تكون فى علامة.

ومن غريب أمر التاء الأسمية أنها جردت عن الخطاب ، والتزم فيها لفظ التذكير والإفراد فى أرأيتكما وأرأيتكم وأرأيتكم وأرأيتكم وأرأيتكم وأرأيتكن إذ لو قالوا : أرأيتماكما جمعوا بين خطابين ، وهذا غير جائز.

وتقع التاء أيضا فى اللغة لتدل على الافتعال : فتبدل من الواو والياء إذا وقعتا فاء فى الافتعال وفروعه بشرط ألا تكون مبدلة من همزة ، ويجب بعد الإبدال إدغامها فى التاء ، وفروعه ما اشتق منه كالماضى والمضارع والأمر واسمى الفاعل والمفعول نحو : اتعاد ،

---

(١) ١٩٩/٤ الكتاب.

واتعاظ وتقول فى فروعه اتعد واتعظ ويتعد ويتعظ ومتعد ومتعظ وتقول من اليسر ، اتسر ويتسر ومتسر.

وإنما أبدلت الواو والياء تاء هنا لعسر النطق بحرف اللين الساكن قبل التاء لتنافر صفتيهما ، لأن اللين حرف مهجور والتاء مهموسة وأيضا لو أقروا حرف العلة الواو والياء فى الافتعال وفيما تفرع منه ، ولم يبدلوه تاء لتلاعبت به حركات ما قبله ، فيكون ياء بعد الكسرة ، وواوا بعد الضمة وألفا بعد الفتحة ولذلك أبدلوا منه حرفا جلدا يلزم وجها واحدا ، ولا يتأثر بالحركات ، وكان ذلك الحرف التاء لتدغم فى تاء الافتعال.

وقد سمع من العرب فى افتعل من الأزار والأكل والأمانة : اتزر ، واتكل ، واتمن واتخذ من الأخذ كما سمع إبدال التاء من الواو فى غير الافتعال كقولهم : تراث من الوراثة ، وتترى من المواترة ، وأصله وترى وتوراة من ورى الزند : أضاء ، وتخمة ، وتهمة وتكأة فى وخمة ، ووهمة ، ووكأة ولا يتجاوز ما سمع.

كما تبدل من التاء طاء فى الافتعال وفروعه بشرط أن تكون فاؤه من حروف الإطباق الأربعة وهى (الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء) استثقالا للنطق بالفاء بعد هذه الأحرف لما بينها من التباين فى الصفة ، لأن التاء حرف مهموس غير مستعل ، وحروف الأطباق مستعلية ، فأبدلت التاء حرفا يوافق ما قبلها طلبا لتجانس الصوت واختيرت الطاء لأنها من مخرج التاء نحو : اطَّلَع ، واطَّهر من الطهور والطلوع ويجب الإدغام هنا ، لاجتماع المثلين مع سكون

أولهما نحو : اصطحب واضطرب ، ويجب هنا إذا كان فاء الافتعال صادا أو ضادا بعد الإبدال إظهار الطاء ، ولا يجوز الإدغام بإبدال الأول من جنس الثانى ، لئلا يذهب الإدغام بصغير الصاد ، واستطالة الضاد ، فإذا كانت الفاء ظاء نحو : افتعل من الظلم ، اظتلم فيجوز إظهار الطاء نحو اظطلم ، أو الإدغام بإبدال الثاني من جنس الأول نحو اظلم أو إبدال الأول من جنس الثانى نحو اطلم : وقد روى بالأوجه الثلاثة:-

هو الجواد الذى يعطيك نائله

عفوا ويظلم أحيانا فيظَّلِم

كما تبدل التاء فى الافتعال وفروعه دالا بشرط أن تكون فاؤه دالا أو ذالا أو زايا نحو : أدان ، اذدكر ، ازدان ، فتبدل بعد هذه الأحرف دالا استثقالا للتاء بعدها ، لأن هذه الأحرف مجهورة ، والتاء حرف مهموس فجئ بحرف يوافق التاء فى المخرج ، ويوافق هذه الأحرف فى الجهر وبعد الدال يجب الإدغام لاجتماع المثلين نحو أدان والأصل ادتين أما بعد الزاى فيجوز افظهار - كازدان والإدغام بإبدال الثانى من جنس الأول نحو : أزان دون العكس حتى لا يفوت صفير الزاى.

وأما بعد الذال كاذدكر فيجوز الإظهار - والإدغام بوجهين كاذكر وادكر.

ولاتساع دائرة التاء فى اللغة فإنها تبدل هاء جوازا من تاء التأنيث المتصلة بالاسم إذا وقف عليها وقبلها متحرك كرحمة وثمرة

أو ساكن معتل كالصلاة والأخواه فى الأخوات وفـــى الحديــث " دفن البناك من المكرماه " أى البنات والمكرمات وحكى قطرب : كيف البنون والبناه.

وتأتى التاء أيضا فى اللغـــة للمطاوعــة وغيرهــا ومعنـــى المطاوعة :- هى أن يدل أحد الفعلين المتلاقيين فى الاشتقاق علـــى تأثير ، ويدل الآخر على قبول فاعله لذلك التأثير.

أما تفاعل مطاوعا لفاعل وهو يدل على الاشتراك فى الفاعلية لفظا وفيها وفى المفعولية معنى مثل فنادوا صاحبهم فتعاطى " فعقـو " تعاطى مطاوع عاطى ، وقد تأتى تفــاعل للتكلــف نحــو تجــاهلت ، وتغافلت وبمعنى المجرد نحو : "فبأى آلاء ربك تتمـــارى " فالتفــاعل مجرد عن التعدد ونحو : تماريت فى ذلك. وقد يكون على تفعّل وذلــك لمطاوعة فعّل نحو : وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنـــهار فـــهو مطاوع فَجَّر ونحو : تكاد السموات يتفطرن منه. مطاوع فطَّر ، وتأتى تفعل للتكلف نحو : تحلم ، وتشجع للاتخاذ نحو : توسَّـــد ، وتــردَّى الثوب ، وللتجنيب أيضا نحو : تخرجت ، وتأثمت ، قـــال تعــالى : " ومن الليل فتهجد به نافلة لك " تهجد : ترك الــهجود وهــو النــوم ، وللعمل المتكرر نحو : تجرع الدواء وبمعنى استفعل نحو : اسـتعظمته وتعظمته ، قال تعالى : " ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب" ومنه فمن تعجـل فى يومين فلا إثم عليه. وللصيرورة مثل : تحجر الطيـــن ، وبمعنـــى المجرد نحو : " فتلقى آدم من ربه كلمات " ونحو : " ربنا تقبل منا ".

وتأتى التاء للمضارعة أيضا : يؤخــذ المضـــارع مــن الماضى بزيادة حرف من حروفه المضارعة عليه وهى حـروف أنيت فالتاء منها إذا دخلت على الفعل الماضى جعلته مضارعا ونقلتـه من الزمن الماضى إلى الحال أو المتقبل نحو : ضربت ســعاد فــهى تضرب ، وأكرمت فهى تكرم. فالتاء فى المضـــارع تــدل المخــاطب مذكرا كان أو مؤنثا مفردا كان أو مثنى أو مجموعا مثل : أنت تكتــب ، وأنت تكتبين ، وأنتما تكتبان ، وأنتم تكتبون ، وأنتن تكتبن ، كمــا تكون التاء للغائبة المفردة ولمثناها نحــو : هــى تنصــر والـــهندان تنصران بكرا.

وهنا نسأل سؤالا :- هل هذه المعانى التى تدل عليها التـــاء بطريق الحقية أو هى تدل على معنى واحد ، وهو الفرق بين المذكــر والمؤنث وباقى المعانى المذكورة بطريق المجاز؟

يشير إلى إجابة هذا السؤال الحسن بن القاسم المرادى فـــى كتابه الجنى الدانى[١]بعد ذكره لمعانى الباء فيقول :

رد كثير من المحققين سائر معانى الباء إلى معنى الإلصـــاق كما ذكر سيبويه وجعلوه معنى لا يفارقها وقد ينجر معه معان آخــر ، واستبعد بعضهم ذلك وقال[٢] : الصحيح التنويع ، ما تقدم من نيابـــة الباء عن غيرها من حروف الجر هو جار على مذهـــب الكوفييــن ، ومن وافقهم فى أن حروف الجر قد ينـــوب بعضـــها عــن بعــض ، ومذهب البصريين إبقاء الخزف على وضعه الأول إما بتـــأويل يقبلـــه

---

[١] ص ٤٦.

[٢] رصف المبانى ص ٦٧.

اللفظ أو تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشذوذ.

وأنا أميل لرأى الكوفيين ، وقد سار عليه ابن مالك وابن هشام فى مغنى اللبيب وغيرها لأن التاء التى تدل على معان مختلفة نظير غيرها من حروف المعانى ، تفيد ما سبق بقرائن الأسلوب فلا مانع أن تدل على تعدد فى المعانى ، كما رأينا ، وهى غير عاملة. قال المرادى[1] : التاء حرف يكون عاملا وغير عامل ، وأقسامه ثلاثة :-

تاء القسم. وتاء التأنيث. وتاء الخطاب.

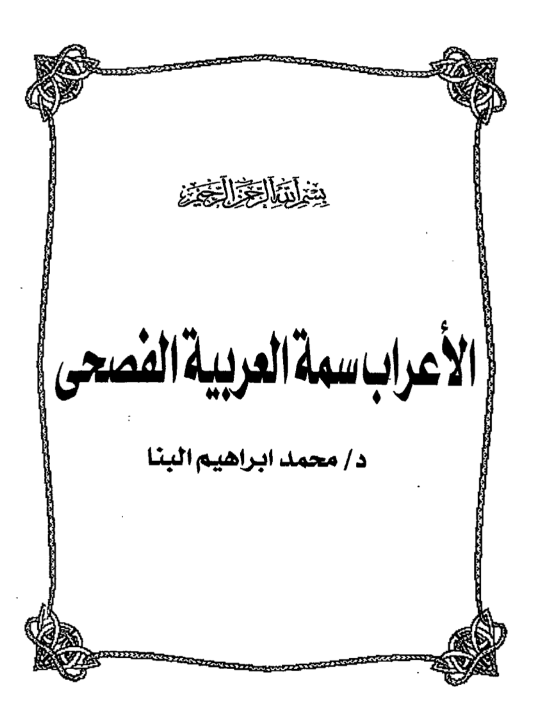
ولكن كما سبق لك تأتى لمعان آخر.

وبذلك ترى مقدرة اللغة فى التعبير عن معانيها بحروف بسيطة ، ولكنها تؤدى أغراضا شتى ، قلما تشاركها فى ذلك لغة أخرى ، ولا عجب فهى لغة القرآن الكريم ، ودستور الهداية الإلهية إلى البشر أجمعين. ولغة رسول الأولين والآخرين سيدنا محمد النبى العربى الأمين.

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أ.د/ صلاح عبد العزيز على السيد
استاذ اللغويات
ووكيل الكلية

(١) الجنى الدانى ص ٥٦.



بسم الله الرحمن الرحيم

الأعراب سمة العربية الفصحى

د/ محمد ابراهيم البنا

كان الاعراب ولا يزال هو قطب الدائرة فى النحو، به يفتتح النحاة حديثهم، ومن خلاله يتناولون خواص التركيب المختلفة لايتركون منها شيئا، وانه اذا كانت قضية الاعراب قد شغلت القدماء وعنوا بها وأصلوها، فانه يبدوا أن القيمة الأساسية للاعراب قد ذهب بها هذا الاصرار الجاد على رسم صورة الاعراب وتقنينه وترسيخه فى مدارك الدارسين والمتعلمين، حتى أصبحنا لانرى من الاعراب الا تلك القواعد الصارمة التى يحكمون بها التراكيب، وتلك العلامات التى يحددون بها كل باب من أبواب النحو، ويريدون لنا أن نترسمها فى أساليبنا ولا نخل بعلامة منها، لقد أصبحنا لا نرى من الاعراب الا قول النحاة: أنه الأثر الذى يجلبه العامل فى آخر الكلمة، وإن المعرب هى الكلمة التى وقع فيها الاعراب، أو ما اختلف آخره باختلاف العوامل لفظا أو محلا. وانتقل بنا النجاة الى أحاديث تتصل بأنواع الاعراب والبناء، وأسباب البناء، وأيهما الاصل فى الأسماء والأفعال، الاعراب أو البناء؟ وأصبح مصطلح البناء مقابلا لمصطلح الاعراب، ولا علاقة لغويا تسيغ هذه المقابلة. وان ما نقدمه اليوم فيه معايشة لواقع اللغة، واستلهام لنصوص القدماء، ومحاولة لبعث الدلالة اللغوية للاعراب، وعودة الى ذلك العالم الأول الذى وضع هذا المصطلح: الاعراب.

ان السمة البارزة للنحو- كما قلنا- أنه نحو اعرابى، فهو يقوم فى منهجه على الاعراب، وقد بدا هذا واضحا منذ بدأ التفكير فى النحو وحتى عصرنا هذا، يقول سيبويه ذاكرا اهتمام السابقين عليه بالاعراب: « ان النحويين مما يتهاونون بالخلف إذا عرفوا الاعراب »[1]، يريد أنهم قد يتهاونون بالمحال من القول إذا عرفوا إعراب الكلم، فبين الخليل وسيبويه خطأهم فى ذلك، وأنه لابد من استقامة الدلالة فى التراكيب. وهذا النص يقفنا على مدى ما للإعراب من مكانة عند رواد النحو، وهى مكانة سوف نحاول التنبيه عليها وعلى دواعيها فيما يأتى.

(١) الكتاب من ٢/ ٨٠

إن هذا التصنيف فى النحو، والذى توخى فيه المؤلفون خاصة واحدة من خصائص التراكيب فجعلوها معتمد حديثهم وتناولوا باقى هذه الخصائص من خلالها- ليقفنا على أن هذا النظام الاعرابى قد فاق فى الأهمية ما سواه، وكأنهم أدركوا أنه اذا خلا منه الأداء فقد ذهبت عنه مسحة العربية. ولقد يكون من حقنا أن نستنتج أنه كان فى مقابل هذا الأداء المعرب أداء آر لايتسم بهذا الوضوح، ولايلتقى العرب فى مختلف بيئاتهم حوله، كما يلتقون حول هذا الأداء المعرب. ويبدو أن المتقدمين من علماء اللغة قد وجدوا - حين تصدوا لوصف هذه اللغة - نمطين من الأداء، أحدهما واضح بين، والآخر ليس بهذه المنزلة من الوضوح والبيان، تختلط فيه الأبنية وتمتزج، فعزوا وضوح النمط الأول إلى هذه العلامات التى تمثل حدوداً للابنية داخل الجمل، اذا أقيمت على وجوهها فإن البناء يصبح واضحاً بينا، أما اذا أغفل هذا الأداء الاعرابى فقد تتعرض البنية لكثير من التغييرات التى لاتقف عند حد آخرها، بل تتعداه إلى داخلها، وذلك على نحو ماصنعت لغة الخطاب فى بيئاتنا العربية. ولاحظ الآن كيف نتكلم فيذهب من البناء - فى كثير من التراكيب - صوت أو صوتان، ولاحظ كيف تتداخل الأبنية فى التركيب فلا يستبين بعضها من بعض، ولسنا فى حاجة لتقديم نماذج من أساليب الخطاب، فنحن ندرك جيداً ما صنعت بأصوات اللين فى أواخر البناء ووسطه، ثم إن الاصوات الصامته كثيراً ما تغيم فى الأداء فلا تتمكن فى مخارجها، هذا إلى تآكل بعض هذه الأصوات كما قدمنا، ويصل الأمر فى النهاية إلى أن يكون مناط الفهم هو العرف، ومن هنا كانت اللهجات فى بيئة من بيئتنا.

ان منبع الوضوح فى الأداء الاعرابى هو أنه كان يلتزم فيه أداء صوت لين بعد الحرف الصامت فى نهاية كل بناء، وقد يزاد على صوت اللين هذا نون التنوين

فى الاسماء المنصرفة، وإن الحرص على نطق هذه الأصوات بعد البناء يستتبع حتماً إيضاحه ونطقه كاملاً على نحو ما نجد الآن فى أداء القراء والشعراء والخطباء.

والذى أعنيه بالأداء الاعرابى هو الملتزم للعلامات التى وضعها النحاة، والتى يكون عليها آخر البناء، سواء أكانت هذه العلامات متغيرة أم ثابتة، وسواء أكانت حركة أم سكوناً، وسواء أكانت الحركة قصيرة أم طويلة، فما عدة النحاة حركة بناء لا يفترق فى الحقيقة عن حركة الاعراب من حيث الوظيفة التى حددناها للاعراب، وهي الابانة والوضوح، وكذلك نطق الصوت مجردا من الحركة، وهو ماعدوه سكوناً أو جزماً أو وقفاً يتحقق به الغرض أيضاً، فكل العلامات التى وصفوها لمختلف الكَلِم هى بيان لها، وان كان منها ما هو متغير، وما هو ملازم لوضع واحد لا يفارقه، وقد نجد فى كلام أبى زيد الأنصارى هذا المعنى، قال: عربّت له الكلام تعريبا، وأعربته له: إذا بينّته حتى لا يكون فيه حضرمة[1] وكذلك قال الفراء: الاعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الابانة[1]. وقد وجدت من نحاة الكوفة من قال فى حديثه عن اعراب الاسماء الستة من مكانين: انما أعربت هذه الأسماء الستة من مكانين لقلة حروفها، تكثيراً لها، وليزيدوا بالاعراب فى البيان والايضاح[2]، فلعله تنبه إلى الوظيفة التى حددناها للاعراب، وهو إيضاح البناء وإقامته على وجهه. فأما الحضرمة التى ذكرها أبو زيد فمن معانيها: اللحن، ومخالفة الاعراب، والخلط[3]. وأحسب أن«الخلط» هو المعنى الاول المقابل للاعراب والابانة، فمن البين أن الذين لا يُعربون يخلطون ويمزجون الابنية بعضها ببعض، كما بينا من قبل، فليس الاعراب مقصورا على ما اصطلح عليه النحاة فيما بعد من الأثر الذى يجلبه العامل، ذلك

(١) التهذيب للازهرى ٢/ ٣٦١ - ٣٦٢.

(٢)الانصاف ١/ ٢٠ (٣) لسان العرب، مادة حضرم

أن الذى يخالف فى أدائه نطق الكلمات المبنيّة يقال له أيضاً: إنه قد لحن وخالف الاعراب. واذا وجدنا مصطلح البناء مقابلا لمصطلح الاعراب فى كتبَ النحو، فذلك راجع الى تخصيص فى الدلالة، حين وجد النحاة أبنية فى العربية ملازمة طريقة واحدة، وأبنية أخرى يتغير آخرها بحسب موقعها من التركيب، فميزوا هذا الصنف الثانى بمصطلح الاعراب. فإذا عدنا الى الدلالة المعجمية للاعراب والبناء، وجدناهما غير متقابلين، فاختيار مصطلح البناء للكلمات الثابتة فى التركيب الملازمة أداء واحدا لا يلغى عنها صفة الابانة، وانما يسلب عنها صفة التغير لا غير. وكأنَّ الذى هيأ هذه الكلمات المتغيرة لمصطلح الاعراب هو ما وجده النحاة من دلالة العلامات فى بعض وحدات التركيب على معان نحوية، وهو ما عبروا عنه - فيما بعد سيبويه - من أن الرفع علم الاسناد، والنصب علم المفعولية، والجرّ علم الاضافة. فلما وجد النحاة فيه بيان أداء وبيان دلالة خصّوه بمصطلح الاعراب، ولما لم يتجاوز الثانى بيان الأداء خصّوه بمصطلح البناء.

مما سبق يتبين أن جميع ما وصفه النحاة من أوضاع أواخر الكلم هو منشأ البيان فى الاداء الفصيح، ومن هنا تخيروا له مصطلح الاعراب وعنوا به وداروا حوله.

هذا وقد ألمحنا فيما مضى بقضيتين أساسيتين، هما: أنه كان فى العربية نمطان للأداء، وأن العلامات الاعرابية هى منشأ البيان والفصاحة والوضوح، وينبغى أن نتريث عند هاتين القضيتين .

إنه من غير شك كان فى العربية مستويان، شأنها فى ذلك غيرها من اللغات: مستوى اللغة الأدبية، ومستوى آخر هو الذى يتداوله الناس فى شئون معاملاتهم،الأول يمثل الجانب الفنى فى الآداء، ذلك الذى يتعهده صاحبه ويعاود النظر فيه، والثانى أقرب ما يكون الى ردود الافعال يتسم بالسرعة فى الآداء، وتقوم فيه الكلمات مقام الجملة، والاشارة مقام العبارة البليغة، وقد يكون

الصمت فيه أبلغ من كلّ آداء، وهذا ما عبر عنه ابن جنى بقوله: «الحمّالون والحّماميوّن»، والساسة والوقادون ومن يليهم ويعتّد منهم يستوضحون من مشاهدة الأحوال ما لا يحصله أبو عمرو من شعر الفرزدق اذا أخبر به عنه، ولم يحضره ينشده»[١]. والمستوى الاول تحشد له كل الوسائل الفنية لتجعله ناطقا بنفسه حيا بعبارته، والثانى تمدّه الحياة النابضة بكل الوسائل التعبير، ومن هنا كان فى تطور دائم لأنه وثيق الصلة بالحياة المتطورة المتجددة، أما المستوى الاول فتراه قد أخلد أبدا الى هذه الوسائل الفنية، حريصا عليها لان فيها حياته ووجوده، ومن هنا كان هذا المستوى أقرب الى اللغة فى خصائصها الأولى. واذا صح ما نسب الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أنه قال: أعربوا فى كلامكم تعربوا فى كتاب الله[٢]، فقد يكون من أعظم الادلة على وجود هذين المستويين، مستوى لغة الخطاب أولغة الحديث الذى يقابل مستوى اللغة الادبية، والذى نزل به الوحى الكريم.

ولهذا نعتقد، احتكاما إلى ما تقدم، أنه كان لكل من هذين المستويين ظواهره المتميزة، أما مستوى اللغة الادبية فهو ما وصفه لنا النحاة، وأما مستوى لغة الخطاب والتعامل فلابدّ أن يكون التطور قد أحدث فيه آثاره فى كثير من جوانبه، ومنها الجانب الاعرابى، بل ان حديث الرواة عن صائص اللهجات انما يمثل أساسا وصفا لهذا المستوى، لقد نسبوا الى هذيل وطيئ وقيس وأسد والى أهل الحجاز عامة أعرافا لغوية، لكن اللغة الادبية التى انتهت الينا من هذه البيئات لغة مشتركة لا تفصح عن عرف كل منها. ومع هذا لا نعتقد أن البون كان شاسعا بين المستويين بل كان العربى فى البادية والحاضرة يحس بغاية المتعة عندما كان يستمع الى الشعراء والخطباء. وقد جاء وحى الله الكريم على لسان نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - ممثلا نمطا رفيعا فى هذا المستوى، قال تعالى: (وما

(١) الصائص ٢٤٦/١
(٢) الفاضل للمبرد ٤.

أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)، وقال: (بلسان عربي مبين). وفي ضوء هذا التصور ينبغى أن نفهم ما قاله المبرد: وكان الصدر الاول من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعربون طبعا، حتى خالطهم العجم ففسدت ألسنتهم وتغيرت لغاتهم[1]. يريد المبرد أنهم اذا نطقوا الشعر أو تلوا آيات القرآن الكريم فانهم كانوا يؤدومن ذلك بآداء عربي معرب، لا يحتاجون فى ذلك الى تعليم معلم، ذلك أنه قد ترسخ فى طبائعهم هذا الآداء المعرب، فهم يستحضرونه أمام النماذج الادبية، وعندما يقفون مواقف الخطابة فلما اختلط العرب بالعجم ذهبت هذه السليقة العربية. فالمجال الذى كان يعنيه المبرد هو مجال اللغة الادبية. ولم يكن مستوى لغة الخطاب وأحاديث الناس فى شئون حياتهم.

وقد أدرك النحاة ما أصاب لغة التخاطب والتعامل، قال سيبويه: «وسمعت من العرب من يقول: ألا تا، بلى فا، فإنما أرادوا ألا تَفْعَلُ، وبلى فافعل»[2]، ثم ذكروا قول لُقَيم بن أوس:

بالخير خيرات وإن شراً فا   ولا أريد الشرّ إلا أن تا

يريد: ان شراً فشرّ، ولا أريد الشرّ الا أن تشاء

وأحسب أن ما ساقه سيبويه من قول الراجز لا يعبر لغة الشعر والرجز، وانما هو حكاية لما يقع فى لغة الخطاب، على نحو ما قاله الآخر:

قلنا لها: قفى. قالت: قاف

تريد: وقفت، أو : توقفت.

فهذه الحذوف الذى وقعت فى هذه الكلمات وأمثالها نحو بلعنبر وبلحارث،

---

(١) المرجع السابق والصفحة

(٢) الكتاب ٣٢١/٣.

ولاه أبوك، يريدون: لله أبوك، ولم أبله، وويلمه. تدل على ماتفعله لغة الخطاب بالأبنية التى تشيع فى الاستعمال من تآكل بعض حروفها. واذا كانت قد صنعت هذا بجذور الابنية، فما الحال مع الاعراب وهو لا حق بها ؟

لقد حدثنا ابن جنى والفارابى أن رواة اللغة لم يأخذوا عن أهل الحضر ولا سكان البرارى، وذلك لانهم أخلوا بأشياء من الاعراب الفصيح، وأن جل اعتمادهم على قيس وتميم وأسد، وهذيل وبعض كنانة وطيىء، وعلى الرغم من اعتماد هذه القبائل فان متقدمى اللغوين حكوا لنا الأداء الاعرابى لهذه القبائل على غير ما نتصور الآن.

قال، أبو العيناء: ما رأيت مثل الاصعمى قط، أنشد بيتاً من الشعر فاختلس الاعراب، ثم قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كلام العرب الدرج.

وروى عبد الله بن سوار عن أبيه أنه قال: العرب تجتاز بالاعراب اجتيازا وحدث عيسى بن عمر أن ابن أبى اسحاق قال: العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفيهق فيه.

وقال يونس بن حبيب: العرب تشام الاعراب ولا تحققه.

وقال الخشخاش بن الحباب: العرب تقع بالاعراب وكأنها لم تُرِد.

وقال أبو الخطاب: إعراب العرب الخطف والحذف.

روى أبو العيناء هذه الروايات عن الاصعمى، ثم قال: «فتعجب كل من حضر منه» [(١)].

(١) عن كتاب «فصول فى فقه العربي» الدكتور رمضان عبد التواب (الطبعة الثانية، مكتبة الخانجى بالقاهرة) وقد أخذ هذا النص عن مخطوطة كوبريلى ١/ ٧٦٥. وهو فى «كتاب ربيع الابرار» للزمخشرى مختصرا (مخطوطة دمشق رقم ٣٢٦٣ ص ٤٥).

وهذه الروايات المتعددة من الدرج والاجتياز والرفرفة والمشامة والخطف والحذف، تعنى اختلاس الحركة والاسراع فى أدائها وعدم تحقيقها أو إشباعها أو إبرازها، الى أن يصل الامر الى أن تجد شيئا لا تدركه الاذن وانما تراه العين. وهذه الروايات أيضا بحسب ظاهرها تجمع على أن هذا الأداء العرب جميعهم. فاذا انتقلنا الى سيبويه وجدناه فى أوائل كتابه يتحدث عن مجارى العربية، وقد يظن من مقاله أن أداء هذه المجارى غير مختلف، وأنه على نحو ما نسمع الآن من القراء والشعراء والخطباء والمحاضرين من بيان الحركة، غير أننا وجدناه فى أواخر كتابه يقول: «هذا باب الاشباع فى الجر والرفع وغير الاشباع، والحركة كما هى، فأما الذين يشبعون فيمططون، علامتها واو وياء. وهذا تحكمه لك المشافهة. وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا، يسرعون اللفظ». ولكن سيبويه لم يحدد لنا الذين يختلسون والذين يشبعون فيبينون. وقد يكون من حقنا أن نتصور أن الاختلاس كان سمة لغة الخطاب، اعتمادا على ما قدمناه من قبل، وأن الاشباع كان سمة اللغة الادبية.

ولم يصل الأمر عند حد الاختلاس للحركة فى لغة الخطاب، بل تعدى ذلك الى الاسكان وذهاب معالم الحركة جملة، وانه اذا وردت الينا قراءات قرآنية بالاسكان، وكذلك فى الشعر، فينبغى أن يكون ذلك الاسكان قد وقع أيضا فى لغة الخطاب. على أنا وحدنا سيبويه يحظر الإسكان فى الكلام أو النثر ويجعل مجاله الشعر فقط. وكأنه يحيله على الضرورة، وجاء المبرد فغالى حين منع الاسكان أيضا فى الشعر، وأتى بروايات غير ما ذكر سيبويه، يحكى عنه أنه قال فى بيت امرىء القيس:

فاليوم أشربْ غير مُسْتحْقِبٍ ... إثماً من اللّه ولا واغِلِ

قال: إن الرواية ليست «فاليوم أشربْ»، بل «فاليوم فاشْرَبْ» ولذلك رد عليه

ابن جنى بقوله: وأما اعتراض أبى العباس هنا على «الكتاب» فانما هو على العرب لا على صاحب الكتاب، لانه حكاه كما سمعه. ولايمكن فى الوزن غيره، قول أبى العباس: إنما الرواية: «فاليوم فاشرب» فكأنه قال لسيبويه: كذبت على العرب ولم تسمع بما حكيته عنهم. واذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلفة القول معه. وكذلك إنكاره عليه أيضا قول الشاعر:

[وقد بدا هَنْكِ من المئزر]

فقال: إنما الرواية:

[وقد بدا ذاك من المئزر]

وما أطيب العرس لولا النفقة [(١)]!!

وقد وجدنا سيبويه يحظر الاسكان فى الكلام أو النثر، لكن القراء رووا روايات كثيرة فى القرآن الكريم بالاسكان، وذكر ذلك ابن جنى فى المحتسب غير مرة، ومن ذلك قال عباس بن الفضل: سألت أبا عمرو عن (يعلمهم الكتاب)، فقال أهل الحجاز يقولون: يعلمهم، ويلعنهم، مثقلة، ولغة تميم: يعلمهم ويلعنهم. وقرأ مسلمة بن محارب: وبعولَتْهن أحق. وقرأ الحسن وأبو رجاء وغير واحد: (ويَذَرْهم). وقرأ الأشهب: (وَيَذْرك)، وقرأ مسلمة بن محارب: (وإذ يَعدِكم)، والحسن: (أو يُحدثْ لهم ذكرا، ولاعراج: (ثم نُتْبِعْهم). ويلاحظ أن التسكين قد ورد فى الافعال المضارعة المتصلة بالضمائر غالبا. وليس التسكين مقصورا على هذا النوع، من ذلك قراءة أبى عمر والتى نسبها سيبوية الى أبى عمرو بالاختلاس: (إلى بارِئكم)، رواه غيره عنه بالاسكان، يقول أبو حيان: وقرأ الجمهور بظهور حركة العراب فى (بارئكم)، ويروى عن أبى عمرو بالاختلاس،

(١) المحتسب ١/ ١٠٩ - ١١٠، وانظر الخصائص ١/ ٧٢، ٢/ ٣٤٠ - ٣٤١.

روى ذلك عن سيبويه، وروى عنه بالاسكان.[١]، ويقول ابن جنى: «وحكى أبو زيد: بلى ورُسُلْنا لديهم يكتبون»، بالاسكان. ومن القراءات السبعية أيضا ماذكره أبو بكر بن مجاهد، قال: «واختلفوه فى (وأرنا مناسكنا)، فى كسر الراء وإسكانها وإشباعها، فقرأ ابن كثير: وأرْنا، ورب أرْنى، وأرنا اللذين أضلانا، ساكنة الراء. وذكر ابن مجاهد أن رواية الخفاف وأبى زيد عن أبى عمرو فى (وأرْنا) باسكان الراء [٢]. على أن هناك قراءات أخرى بالتسكين لم يهجم عليها ابن مجاهد – على عادته فى تخطئة الرواة، بل سلم بهذه الروايات، كما سلم بها ابن جنى، ووجهها بثقل توالى الحركات مع ثقل الضمة أو الكسرة.

أما موقف سيبويه من هذه القراءات فقد نقل عنه فى قراءة أبى عمرو أنها من الاختلاس، وأما موقف المبرد منها فقد زعم أن قراءة أبى عمرو لحن، وقد رد عليه أبو حيان بأن أبا عمرو لم يقرأ الا بأثر، وقال: لغة العرب توافقه على ذلك، فإنكار المبرد لذلك منكر. وساق نماذج من الشعر والقراءات نحو ما قدمنا. ويقول ابن عصفور عن التسكين: والصحيح أن ذلك جائز سماعا وقياسا، أما القياس فان النحويين اتفقوا على جواز ذهاب حركة الاعراب للادغام، لا يخالفه فى ذلك أحد منهم، وقد قرأ: (مالك لا تأمنا) بالادغام، وخط فى المصحف بنون واحدة، فلم ينكر ذلك أحد من النحويين، فكما جاز ذهابها بالادغام، فكذلك ينبغى أن لا ينكر ذهابها للتخفيف [٣]، ثم ساق الشواهد المتقدمة.

هذا والحركتان اللتان أجاز فيهما سيبويه الاختلاس هما الضمة والكسرة، وأما النصب فلم ير فيه جواز الاختلاس. وعلى الرغم من ذلك فقد جاء الشعر بتسكين

(١) البحر المحيط ١/ ٢٠٦، وانظر المحتسب ١/ ١٠.
(٢) انظر القراءات السبعة ١٧٠.
(٣) الضرائر ٩٥ – ٩٦.

هذه الحركة، من ذلك قول الوضاح اليمانى:

عجب الناس وقالوا　　　شعر وَضّاح اليمانِى
إنمـــــا شعرى قَنْدٌ　　　قد خُلِطْ بالجلجلانِ

وقول نهشل :

فلما تَبيَّنَ غِبُّ أمرى وأمره　　　وَوَلّت بأعجازِ الأمور صدورُ

وقول كعب:

أقول: سبيهات بما قال عالماً　　　بهنّ، ومن أشبه أباه فما ظلم

وقول الراعى:

تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا　　　وابنا نزار، فأنتم بيضة البلد

وهى أبيات قد رويت بروايات أخرى خلت مما عده النحاة شاذا، والله أعلم بصحة هذه الروايات، وأخشى أن تكون من صنع بعض النحاة، على نحو ما رأينا للمبرد من روايات يرد بها تسكين ماحكاه سيبويه.

إن ما سقته من هذه القراءات القرآنية الكريمة، وهذه الاشعار التى ورد فيها التسكين، ليحملنا على القول بأن مثل هذا كان واقعا فى الكلام أو أسلوب التخاطب. على أن ماورد فى القراءات والاشعار يعد من قبيل مخالفة الظاهرة الغالبة، فالغالب على نص القرآن الكريم والأشعار هو إبانة الحركة وإشباعها فى جميع أوضاعها الثلاثة. وهذا يفسر لنا أمرا مهما هو اهتمام النحاة الاوائل بدراسة الشعر والاستشهاد به، وجعله فى الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث استقراؤه واستنباط القواعد منه، ذلك أن الشعر وضع ليقرأ مستغنيا عن

القرائن التى يحيا فيها أسلوب التخاطب، ثم إنه النص الذى كانت البيئات العربية تجتمع حوله وتفهمه وتستمتع به، على حين كان لكل بيئة من البيئات العربية أعراف لغوية خاصة، ثم إن إداء الشعر كان يستلزم بيان الحركة ووضوحها. عنى النحاة بأسلوب الشعر على الرغم مما حفل به من ضرورات لهذه المميزات المتقدمة، وقل اعتمادهم على أسلوب الخطاب لخلوه منها.

هذا، واذا كان ما قدمته صحيحا عن لغة التخاطب من الاسراع فى أداء الحركة الاعرابية إلي حد اختلاسها، فمن أين جاءت لغة التخاطب فى مسرحياتنا وأساليب الحوار؟ أعتقد أننا تأثرنا فيها بأداء القرآن الكريم، وأن تعليم القرآن الكريم قد أوجد فى حياتنا الأدبية أسلوبا للحوار ما عرفه العرب وهم يتخاطبون.

إن الاعراب يتمثل واضحا فى أداء القرآن الكريم والأشعار، وبتحقيقه يستبين الاداء، ويصبح كل بناء كما قدمنا واضحا لا يختلف السامعون حول فهمه وتمثله، وذلك راجع الى أصوات اللين تلك التى يحرص على الحاقها بكل بناء مؤدية لمعان نحوية، فقد تكون علامة اعراب، أو علامة تثنية أو جمع، أو تكلم أو خطاب، أو تذكير أو تأنيث، فالحرص على أداء هذه الاصوات يصون البناء فى العربية الفصحى مما يتعرض له فى لغة التخاطب من التآكل الى أن يصل الحد أن نجد أمامنا ما يسمى بالحضرمة والاختلاط والامتزاج وتداخل الابنية بعضها ببعض. ومن المعلوم أن أصوات الجهر أوضح من الأصوات المهموسة، وأن أصوات اللين الالف والواو والياء - وكذلك أبعاضها وهى الحركات - أوضح أصوات الجهر، ويمثل صوت الالف القمة بين أصوات اللين من حيث الوضوح. ان اللغة الفصحى تحقق هذه الاصوات فى أواخر الابنية، واذا كان الفتح هو أوضح الأصوات فهو أيضا أشيعها فى أواخر الابنية وأواسطها، تجد ذلك فى حروف المعانى والأفعال مجردة أو مزيدة والأسماء وهذا سر وضوح الأداء فى اللغة الفصحى.

. وبعد فنحن لا ننكر دلالة علامات الاعراب على المعانى النحوية التى ذكرها النحاة، وذلك مع شيء من التجوز، قالوا: إن الرفع علم الاسناد، والنصب علم المفعولية، والجر علم الاضافة، لا ننكر أن تؤدى هذه الاصوات هذه المعانى فى بعض أنواع الكلم، وبذلك يتحقق من ورائها غرضان إبانة البناء وابانة وظيفته فى التركيب. وعلى الرغم من ذلك نجد أن تحليل التركيب قد يستغنى عن هذه العلامات، وهذا ماقاله الأبذى فى شرح الجزولية، قال «الحركة تدل على المعنى الذى أحدثه العامل فى الاسم فلو لم تأت بحركة الإعراب لم يلزم انتقاص ذلك المعنى الذى أحدثه العامل فى الاسم من فاعلية أو مفعولية أو غير ذلك، بل يبقى المعنى ولا علامة عليه» بدليل أن لدينا قسما كبيرا من الاسماء يتمثل فى المبنيات والمقصورات لاتظهر عليه هذه العلامات ولا نجد مشقة فى معرفة وضع الكلمة فى التركيب، ثم إن الفعل المضارع المعرب لا تحقق العلامة الاعرابي فيه أثرا فى فهم دلال التركيب، فالفعل المضارع تختلف علاماته رفعا ونصبا وجزما، ولا تعطينا علاماته دلالة نحوية فى التركيب زائدة على دلالته، وهو أنه يدل على الحدث والزمان. ولذلك نرى أن العلامات الاعرابية اللاحقة للاسم أهم من العلامات اللاحقة للفعل، على أن علامة الجر أدخل من علامتى النصب والرفع فى تحديد الوظيفة، فبالجر نعرف أن الاسم مضاف إليه، اسما كان المضاف أو فعلا، ولا نجد النحاة يختلفون فى موقع الاسم المجرور ودلالته النحوية المحدودة، بل يجمعون على اعراب المجرور مضافاً إليه، فاما الرفع والنصب فالاسم يقع معه مواقع شتى، ومن هنا وجدنا النحاة يختلفون كثيرا فى إعراب المرفوعات والمنصوبات وتحديد مواقعها من التركيب، ومن ثم كات المرفوعات والمنصوبات تمثل مشكلة النحو [١]، وراجع معى كتابا معنيا بمشكلات الاعراب فسوف تجد

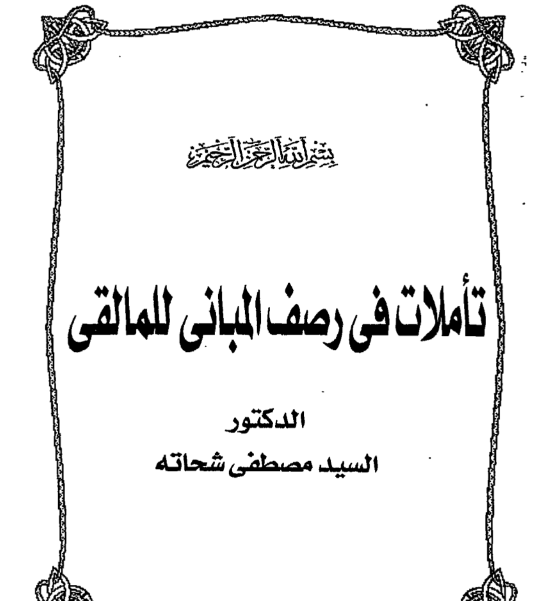
(١) ينبغى أن يعلم أن اختلافهم فى اعراب هذه المرفوعات والمنصوبات راجع الى تعدد المقتضيات فى التركيب الواحد، فالمقتضى هو معتمد النحاة الاول فى التحليل وبيان وظيفة أجزاء التركيب. ولنا عنه حديث آخر ان شاء الله.

النحاة يختلفون فى اعراب هذين النوعين تبعا لما يحتمله كل نوع من أبواب النحو، وإذا وجدتهم لا يختلفون فى اعراب كلمة ما، فاعلم أن وضعها فى الجملة يحتم هذا الاعراب، لا أن العلامة الإعرابية هى سر هذا الاتفاق.

ولا يعنى ما قدمت التقليل من أثر العلامة الاعرابية، فهى تمثل الى ذلك قيمة جمالية فى الأداء بما تقوم به من صيانة الأبنية وحفظها من ذهاب معالمها، وهو ما أحدثته لغة الخطاب فى بيئاتنا حين تخلت عن الاعراب من دمج الابنية ومزجها، ومن هنا كان الاعراب معلم اللغة الفصحى الأول، وهذا هو سر عناية نحاتنا الأوائل به، فقد أدركوا أن هيكل الفصحى يقوم بقيامه، وأنه يأخذ سمتا من البيان والعذوبة والجمال تفتقده الأداءات الأخرى التى تخلت عن هذا المنهج الاعرابى[1].

---

(١) وقد نبه الى هذه القيمة الجمالية ابن قتيبه فى كتابه تأويل مشكل القرآن ١/١٤ - ١٥، قال: «ولها الاعراب الذى جعله الله وشياً لكلامها، وحيلة لنظامها». ثم نبه على صلة الاعراب بالمعنى بعد ذلك.



بسم الله الرحمن الرحيم

تأملات في رصف المباني للمالقي

الدكتور
السيد مصطفى شحاته

تأملات فى رصف المبانى للمالقى

من أجل المصنفات النحوية التى لها باع طويل فى معانى الحروف كتاب رصف المبانى فى شرح حروف المعانى للعلامة أبى جعفر [١] أحمد بن عبد النور ابن أحمد بن راشد المالقى المالكى الإشبيلى النحوى ت ٧٠٢ هـ سنة ثنتين وسبعمائة فهذا السفر العظيم يدل على تقدم صاحبه فى العربية، ويشهد له بحصافة عقله، وعلو كعبه، ورسوخ قدمه فى الصناعة النحوية، لما يمتاز به من سلاسة الأسلوب، وحسن العرض، ووفرة الشواهد، والبراعة فى تقسيمات معانى الحروف، فلقد فاق السابقين قبلة كالرمانى ت ٣٨٤هـ فى كتابه معانى الحروف، والهروى ت ٤١٥ هـ فى كتابه الأزهية فى علم الحروف، وأعيا اللاحقين بعده كالمرادى ت٧٤٩ هـ فى الجنى الدانى، وابن هشام ت٧٦١ هـ فى المغنى.

ومنهج المالقى فى كتابه يتضح فى أنه بدأ كتابه بسرد حروف المعانى مجملة، وقسمها إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول: فى جملة الحروف مفردة، ومركبة والفصل الثانى: فى تقسيمها إلى هوامل، وعوامل والفصل الثالث: فى تسمية الحروف من جهة معانيها بالاتفاق، والاختلاف. ثم بعد ذلك رتب حروف المعانى الواردة فى كلام العرب مفصلة حسب الحروف الهجائية وجعل كل حرف منها بابا يتدرج تحته إما مواضع وهذا هو الأعم الأغلب فى ثنايا الكتاب، وإما فصول تحتها مواضع، وهذا لم يرد إلا فى حروف الألف، وقد لا يندرج تحت الباب ما سبق من المواضع، أو الفصول.

ومذهب المالقى هو مذهب الأندلسيين، وقد تابعهم فيما يلى:

---

(١) راجع ترجمة المالقى فى: بغية الوعاة للسيوطى ١/٣٣١، ٣٣٢، وكشف الظنون ٩٠٨، ١٥٧٩، ١٨٠٠، وإيضاح المكنون ١/٣٦٨، ٢/ ٢٩٠، ٥٤٥، ومعجم المؤلفين ١/ ٣٠٥، والمالقى: بفتح اللام كما قال الصبان ٢/٢٢٩: "نقل شيخنا السيد أنه بفتح اللام" اهـ.

أ- مناقشة المسائل النحوية بطريقة واعية، مدعمة بالشواهد المتنوعة، والحجج الدامغة، والعلل القوية، ومسائل الخلاف إن وجدت كصنيع ابن عصفور، وابن مالك فى كتبهما.

ب - أنه لم يتعبد لمذهب البصريين، بل كان يختار إما المذهب البصرى،وإما المذهب الكوفى، وإن كانت نزعته الغالبة مناصرة البصريين - كصنيع ابن الأنبارى فى الإنصاف - ودحض آراء الكوفيين، ولم يوافق الكوفيين إلا فى مسائل تعد على الأصابع، كقوله عن الفعل المبنى للفاعل المخاطب إذا كان بغير اللام - بعد أن سرد مذهب البصريين، والكوفيين، والمتأخرين - ص ٢٢٨: " والصحيح مذهب الكوفيين، وقد أتيت بالدلائل عليه فى غير هذا الكتاب" اهـ.

وقوله عن دخول اللام فى خبر(لكن) ص ٢٣٦: " والبصريون يقفون فى هذا مع السماع لقتله، والكوفيون يجيزونه قياسا، والصحيح عندى أنه قياس، لأن العلة المذكورة موجودة فيها، وهى التى من أجلها جاز دخول اللام فى خبر (إن) وهى عدم تغير الابتداء، والاستدراك ليس بمغير للابتداء، وإنما قل سماع ذلك فيها" اهـ.

وقوله عن الاسم المرفوع بعد (لولا) الامتناعية - بعد أن ذكر مذهب البصريين فى أنه يرتفع بالابتداء - ص ٢٩٤: " ويرتفع عند الكوفيين على تقدير فعل نابت (لا) منابه، فإذا قلت : لولا زديد لأكرمتك... فالمعنى لو انعدم زيد... وهذا هو الصحيح؟ لأنه إذا زالت (لا) ولى (لو) الفعل ظاهراً، أو مقدرا؟ وإذا دخلت (لا) كان بعدها الاسم، فهذا يدل على أن (لا) نائبة مناب الفعل" اهـ.

وقد ناصر الأخفش، وبعض الكوفيين فى مسألة دخول (لو لا) على الضمير بوجهين ص ٢٩٦.

٤

والكتاب لا يخلو من بعض التأملات التى تحتاج إلى إنعام النظر، وإمعان الفكر، ومن أبرزها ما يلى:

أولا: أنه - أحيانا - يقيد الحكم على بعض المسائل التى قد تحتاج إلى إطلاق ومن شواهد ذلك ما يلى:

(١) تقييده اللام الواقعة فى خبر (إنْ) المخففة من الثقيلة عند إهمالها باللزوم قال صـ ١٠٨: " وإذا ألغيت لزمت فرقا بينها وبين النافية" اهـ.

فأنت تراه قيد اللام باللزوم فى خبر (إنْ) المخففة من الثقيلة عند إلغائها فرقا بينها، وبين النافية.

والحق أن اللام لا تلزم دائما فى خبر (إنْ) المخففة عند إلغائها، بل لها ثلاث حالات:

الأولى: وجوب إثبات اللام فى خبر (إنْ) المخففة الملغاة إذا كان الموضع صالحا للنفى والإثبات، نحو: إنْ علمتك لفاضلا، فاللام هنا لازمة، إذ لو حذفت مع كون العمل متروكا، وصلاحية الموضع للنفى لم يتيقن الإثبات، ونحو: إن زيد لقائم، فلو لا اللام هنا لتوهم (إن) نافية وأن المعنى: ما زيد قائم، فلما جىء باللام ارتفع التوهم.

الثانية: جواز الحذف، والإثبات إذا كان الموضع غير صالح للنفى.

ومن شواهد جواز حذفها عند الاستغناء عنها قول الطرماح بن حكيم:

أنا ابن أباة الضيم من آل مالك   وإن مالك كانت كرام المعادن [١]

وقول الشاعر:

(١) هذا بيت من الطويل للطرماح بن حكيم، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك٢/ ٣٤ وشواهد التوضيح ٥١، والعينى ٢/ ٢٧٦، والتصريح ١/ ٢٣١، والهمع١/ ١٤١، والدرر ١/ ١٨١ والأشمونى ١/ ٢٨٩، والديوان ١٧٣، ومعجم الشواهد ٣٩٥. وأباة: جمع آب كقضاة جمع قاض من أبى إذا امتنع، والضيم: الظلم، ومالك: اسم قبيلة ولذلك قال: كانت، وصرفها مراعاة للحى، وقال: (كانت) ولو قال: لكانت باللام لجاز، ولكن استغنى عنها لكونه فى مقام المدح، وتوهم النفى هنا ممتنع.

إن كنت قاضى نحبى يوم بينكم   لو لم تمنواه بوعد غير توديع [(١)]

وقول الشاعر:

أخى أن علمت الجود للحمد منمياً   وللود مثبتاً وللمال مغـــنيا [(٢)]

وقول الآخر:

إن وجـدت الكـريم يمنـــع أحيا   ناوما إن بـذا يعـد بخـــيلا [(٣)]

وقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: " وايم الله لقد كان خليقا للإمارة. وإن كان من أحب الناس إلى [(٤)]، وقول معاوية فى كعب الأخبار :" إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين" [(٥)]، وقول عائشة - رضى الله عنها-: " إن كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم - يحب التيمن" [(٦)]، وقول عامر بن ربيعة : إن كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبعثنا وما لنا طعام إلا السلف من التمر"[(٧)]. وقول عبد الله بن بسر: " إن كنا فرغنا هذه الساعة " [(٨)].

ومنه قراءة أبى رجاء [(٩)]:(وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا، بكسر اللام، وتخفيف الميم على معني: وإن كل ذلك للذي هو متاع الحياة الدنيا فحذف من الصلة المبتدأ، وأبقى الخبر.

---

(١) هذا بيت من البسيط لم أقف على قائله، وهو من شواهد المغنى ٢٣٢، وشواهد التوضيح ٥٢، ومعجم الشواهد ٢٣١، والنحب: المدة والوقت، وقضى نحبه: مات، والبين الفراق وغير توديع: استثناء منقطع، وفى نسخة: غير مكذوب.

(٢) هذا بيت من الطويل لم أعثر على قائله، وهو من شواهد التوضيح لابن مالك ٥٢، ورورى مبقيا بدل مغنيا.

(٣) هذا بيت من الخفيف لم أقف قائله، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن ماتلك ٣٤/٢، وشواهد التوضيح ٥٢.

(٤) راجع الحديث فى البخارى كتاب الإيمان والنذور ٢٠، وشواهد التوضيح ٥٠، وشرح التسهيل ٣٤/٢.

(٥) راجع الحديث فى البخارى كتاب الأعتصام ٢٥، وشواهد التوضيح ٥٠، وشرح التسهيل ٣٤/٢.

(٦) راجع الحديث فى شواهد التوضيح ٥١، قال عنه ابن مالك: "حديث عائشة من جامع المسانيد".

(٧) راجع الحديث فى شواهد التوضيح ٥١، قال عنه ابن مالك: "وحديث عامر رضى الله عنه- من غريب الحديث".

(٨) راجع الحديث فى البخارى كتاب العيدين ١٠، وشواهد التوضيح ٥٠.

(٩) راجع القراءة فى المحتسب ٢٥٥/٢، وشرح التسهيل ٢٢٤/٢، وشواهد التوضيح ٥٢.

الثالثة: وجوب الحذف عند نفى الخبر، وأمن اللبس.

ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

إن الحق لا يخفى على ذى بصيرة وإن هو لم يعدم خلاف معاند (١)

وقول الأخر:

أما إن علمت الله ليس بغافل فهان اصطبارى إن بليت بظالم (٢)

قال الناظم عن تخفيف (إن) المكسورة، وحكم اللام فى خبرها:

١- وخففت إن فقل العمل وتلزم اللام إذا ما تهملْ

٢- وربما استغنى عنها إن بدا ما ناطق أراده معتمداً

(ب)تقييده (بلى) بأنها لا تقع إلا فى جواب النفى، وتقييده (نعم) بأنها لا تقع إلا بعد الإيجاب، ونفيه أن تقع إحداهما موقع الأخرى.

قال فى باب(بلى) ١٥٧-١٥٨: " اعلم أن (بلى) تعطى من الإضراب ما تعطى بل أنها لا تكون أبدا إلا جوابا للنفى، دخلت عليه همزة الاستفهام، أو التقرير، أو التوبيخ أو لم تدخل.... وهى فى ذلك نقيضة (نعم)" اهـ بتصرف وقال فى باب (نعم) ٣٦٤- ٣٦٥: " اعلم أن (نعم) معناها العدة، والتصديق وهى حرف جواب لما قبلها أبدا إلا أنها إن كان ما قبلها طلبا فهى عدة لا غير، وإن كان ما قبلها خبرا فهى تصديق لا غير.. وهى فى الجواب نقيضة (لا) النافية، ونقيضة (بلى) أيضا.. فخرج من هذا أن (نعم) لا تقع فى مواضع (بلى) وأن (بلى) لا تقع فى مواضع نعم، إذ لا يقع قبلها الموجب" اهـ بتصرف

(١) هذا بيت طويل لم أقف على قائله، وهو من شواهد المغنى ٢٣٢، وشواهد التوضيح ٥٢، والأشمونى ٢٨٩/١، والتصريح ٢٣١/١، ومعجم الشواهد ١١٥.

والبصيرة: معرفة الأمر، واليقين به.

والمعنى: الحق أبلج واضح لا تخفى معالمه، ولا تنطمس آثاره عند من يكون له فطنة يميز بها الأمور، ولو أنه لا يخلو عن مخالفة المعاند.

(٢) هذا بيت من الطويل لم أقف على قائله، ومن شواهد شرح التسهيل ٢٣٤/٢ وشواهدالتوضيح ٥٣.

فمن خلال هذين النصين نرى أن المالقى قيد (بلى) باستعمال واحد، وهو أنها لا تقع إلا بعد النفى، كما قيد (نعم) باستعمال واحد- أيضاً -وهو أنها لا تقع إلا بعد الإيجاب، فكلا هما نقيضة للأخرى، ولا يصح وضع إحداهما موضع الأخرى والحق أن اللفظين قد يتقارضان، فتقع إحداهما موقع الأخرى عند أمن اللبس.

ومن شواهد وقوع (بلى) موقع (نعم) قول الشاعر:

وقد بعدت بالوصل بينى وبينها ... بلى إن من زار القبور ليبعدا [(١)]

فقد استعملت (بلى) فى البيت السابق بعد الإيجاب، وقول الكميت بن ثعلبة:

١- نشدتك يا فزار وأنت شيخ ... إذا خيرت تخطىء فى الخيار [(٢)]

٢- أصيحانية أدمـت بسمـن ... أحب إليك أم أير الحمار ؟

٣- بلى أير الحـمار وخصيتاه ... أحب إلى فزارة من فزار

وجاء فى الحديث الصحيح استعمال (بلى) موضع (نعم) أخرج البخارى فى كتاب الأيمان والنذور من صحيحه عن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه- قال: " بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مضيف إلى قبة من أدم يمان إذ قال لأصحابه: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قالوا: بلى، قال: أفلم ترضوا أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: بلى، قال: فوالذى نفس محمد بيده إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة" [(٣)].

---

(١) هذا بيت من الطويل لم أعثر على قائله وهو من شواهد الخزانة ١١/ ٢١٠ هارون، وشرح الكافية للرضى ٢//٣٨٢. وبعدت: بعد الشيء بضم العين، ويعدى بالباء، والفاعل بعدت ضمير الحبيبة.

(٢)هذه أبيات من الوافر للكميت بن ثعلبة أقدم ثلاثة سموا بهذا الاسم، والثاني: كميت بن معروف، والثالث: كميت بن زيد وكلهم من بنى أسد، والأبيات من شواهد مجمع الأمثال للميدانى ١/١٩٧، والدرة الفاخرة ١/٨٨، والخزانة ١١/٢١٢ ط.هارون. وأير الحمار هو جردان الحمار أى قضيبه، وفى البيت الثالث شاهد على حذف الهاء من فزارة في غير النداء، قال الميدانى فى مجمع الأمثال ١/١٩٧ "فحذف الهاء من فزارة كما تحذف فى الترخيم، وإن كان هذا فى غير النداء ويجوز أن يكون أراد من فزارى فخفف ياء النسبة" اهـ.

(٣)راجع الحديث فى صحيح البخارى باب كتب الحشر، وصحيح مسلم كتاب الأيمان، وفتح البارى ١١/٣٠٩، ومسند أحمد رقم ٣٦٦١ . ٤٢٥١، والمغنى ١١٤، والخزانة ١١/ ٢١١ ط هارون .

فـ (بلى) الأولى أجيب بها الاستفهام المجرد عن النفى، وهو موضع (نعم) وقوله: (مضيف) أى مسند ظهرَه الشريف.

وأخرج مسلم فى كتاب الهبة عن النعمان بن بشير قال: "انطلق بى أبى يحملنى إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله أشهد أنى قد نحلت النعمان كذا وكذا من مالى، فقال أكل بينك قد نحلت مثل ما نحلت النعمان؟ قال: لا قال: فأ شهد على هذا غيرى، ثم قال:أيسرك أن يكونوا فى البر سواء؟قال: بلى، قال: فلا إذن" [1].

وفى صحيح مسلم- أيضا-: أأنت الذى لقيتنى بمكة؟ فقال له المجيب: بلى [2].

ففى الموضعين- أيضا- وقعت (بلى) فى جواب الاستفهام المجرد، وهو موضع (نعم).

ومن شواهد أستعمال (نعم) موقع (بلى) قول جحدر بن مالك الحنفى:

١- أليس الليل يجمع أم عمرو وإيانا فذاك بنا تدانى [3]

٢-نعم وترى الهلال كما أراه ويعلوها النهار كما علانى

فقد استعمل الشاعر (نعم) هنا بعد الأستفهام المنفى لأمن اللبس، لأن الاستفهام إذا دخل على النفى أفاد التقرير، أى حمل المخاطب على أن يقر بأمر يعرفه، أى أن الهمزة إنكار،وإنكار النفى إثبات، فكأنه قيل: إن الليل يجمع أم عمرو وإيانا نعم.

وهذا هو أحد احتمالات فى تخريج البيتين السابقين

(١) راجع الحديث فى صحيح مسلم باب الهبة، وسنن ابن ماجه ٢/ ٧٩٥، والمغنى ١١٤.

(٢) راجع الحديث فى المغنى ١١٤، والخزانة ١١/ ٢١١ طـ هارون.

(٣) هذان بيتان من الوافر من قصيدة لجحدر بن مالك الحنفي قالها وهو فى سجن الحجاج، وأرسلها إلى اليمامة، وهما من شواهد شرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٤٨٥، والمغنى ٣٤٧،والمقرب ١/ ٢٩٤، والخزانة ١١/ ٢٠١ طـ هارون. ومعجم الشواهد ٤٠٥. وقوله: فذاك: إشارة إلى جمع الليل إياهما، والتدانى: التقارب والبيتان أبردما قيل فى باب القناعة من لقاء الأحباب.

وقد نفى المالقى أن تقع (نعم) موقع (بلى) فى البيتين السابقين، ورد على من رغم ذلك قائلا بعد إنشاد البيتين ٣٦٥: " وهذا عندى على توجيهين فى البيت:

الأول: إن أريد جواب (أليس الليل يجمع أم عمرو وإيانا) جووب بـ (بلى)، لأن قبلها النفى فيكون المعنى، بل يجمعنا.

وإن أريد جواب (فذاك بنا تدانى) صحت (نعم) على معنى: نعم ذاك بنا تدانى فليس فى البيت شاهد على أن كل واحدة منهما موضع الأخرى" اهـ.

ويرد عليه- كما قلنا سابقا- أنه يصح وقوع (نعم) موقع (بلى) عند أمن اللبس، لأن همزة الاستفهام إذا دخلت على النفى أفادت التقرير، فكأن الكلام إثبات.

قال الرضى فى شرح الكافية ٢/٣٨٢: "وجوز بعضهم إيقاع (نعم) موقع (بلى) إذا جاء بعد همزة داخلة على نفى لفائدة التقرير، أى الحمل على الإقرار، والطلب له، فيجوز أن يقول فى جواب (ألست بربكم) [(١)].

و(ألم نشرح لك صدرك) [(٢)] نعم، لأن الهمزة للإنكار دخلت على النفى، فأفادت الإيجاب، ولهذا عطف على (ألم نشرح) قوله: (ووضعنا عنك وزرك)[(٣)] فكأنه قال: شرحنا لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، فتكون (نعم) فى الحقيقة تصديقا للخبر المتبت المؤول به الاستفهام مع النفى، لا تقريرا لما بعد همزة الاستفهام، فلا يكون جوابا للاستفهام، لأن جواب الاستفهام يكون بما بعد أداته، بل هو كما قيل: قام زيد بالأخبار، فيقول: نعم مصدقا للخبر المثبت، فالذى قاله ابن عباس- رضى الله عنه- مبنى على كون نعم تقريرا لما بعد الهمزة، والذى جوزه

(١) فى الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.
(٢) الآية ١ من سورة الشرح.
(٣) الآية ٢ من سورة الشرح.

هذا القائل مبنى على كونه تقريرا المدلول الهمزة مع حرف النفى، فلا يتناقض القولان.

والدليل على جواز استعمال ما قال هذا القائل قول الشاعر:

١- أليس الليل يجمع أم عمرو وإيانا فذاك بنا تدانى

٢-نعم وترى الهلال كما أراه ويعلوها النهار كما علانى

أى أن الليل يجمع أم عمرو، فلو قيل لك: أليس لى عليك دينار؟ فقلت: نعم ألزمت بالدينار بناء على العرف الطارىء على الوضع" اهـ.

وقال ابن عصفور فى شرح الجمل ٤٨٦/٢ بعد إنشاد البيتين السابقين، وتخريجهما بعدة وجوة: " والآخر: أن يكون جوابا لقوله: أليس الليل: وإن كان تقريرا لزوال اللبس، لأنه علم أنه لا ينكر أحد أن الليل يجمعهما وهو أيضا- يجيب فقد علم ماأرد.

والآخر: أن يكون جوابا لقوله: وترى الهلال فقدم" اهـ.

وفى التوجيه الأخير نظر، لأن قوله: وترى الهلال عطف على ما قبله فهو داخل تحت التقرير.

ومن شواهداستعمال (نعم)أيضا موقع(بلى) قول الأنصار للنبى صلى الله عليه وسلم. وقد قال لهم: "ألستم ترون ذلك لكم؟ قالوا: نعم " [(١)].

فجاز وقوع (نعم) موقع (بلى) لزوال اللبس، لأنه قد علم أنهم يريدون نعم نرى ذلك.

ووقع فى عبارة سيبوية فى موضعين متقاربين استعمال (نعم) بعد (أليس)ذكر ذلك فى باب ما يجرى عليه صفة ما كان من سببه، وصفة ما التبس به، أو

---

(١) راجع الحديث فى شرح الجمل لابن عصفور ٤٨٥/٢ والمغنى ٣٤٧، والخزانة ٢٠٣/١١ ط هارون.

بشيء من سببه كمجرى صفته التى خلصت به قائلا ١٩/٢/ ط هارون: " وإن رغم زاعم أنه يقول: مررت برجل مخالط بدنه داء، ففرق بينه وبين المنون قيل له: ألست تعلم أن الصفة إذا كانت للأول، فالتنوين، وغير التنوين، سواء إذا أردت بإسقاط التنوين معنى التنوين، نحو قولك: مررت برجل ملازم أباك، ومررت برجل ملازم أبيك، أو ملازمك، فإنه لا يجد بدا من أن يقول: نعم وإلا خالف جميع العرب، والنحوين، فإذا قال ذلك قلت: أفلست تجعل هذا العمل إذا كان منونا، وكان لشيء من سبب الأول، أو الذين به بمنزلته إذا كان للأول، فإنه قائل نعم" اهـ .

ولحن ابن الطراوة [١] سيبويه لاستعماله (نعم) مكان (بلى) فى نصه السابق، وهو مخطىء، لأن سيبويه استعمل (نعم) بعد التقرير فكأنها واقعة بعد الأثبات.

ثانيا: أنه قد ينفرد ببعض الآراء

ومن شواهد ذلك ما يلى:

(أ) زعمه أن (أمَا) تأتى بمعنى العرض، قال: ٩٦، ٩٧ "اعلم أن لـ (أما) موضعين: الموضع الأول: أن يكون معناها العرض كأحد معانى (ألا) المتقدمة الذكر، فتقول: أما تقوم، أما تعقد، والمعنى: أنك تعرض عليه فعل القيام والقعود، لترى هل يفعلهما أولا؟ فلا يكون بعدها إلا الفعل كـ (ألا) المذكورة، فإن أتى بعدها الاسم فعلى تقدير الفعل، فتقول: أما زيدا، أما عمرا، والمعنى: أما تبصر زيدا، ونحو ذلك من تقدير الفعل الذى يدل عليه قرينة الكلام... وقد تكون (أما) همزة داخلة علي (ما) النافية، فيكون معني تركيبها التقرير والتوبيخ كما يكون ذلك فى الهمزة ولم... فأما (أما) المذكورة فى أول الباب فى الموضعين بسيطة، وثالثهما مركبة" اهـ بتصرف.

---

(١) راجع المغنى ٣٤٦، والخزانة ١١/٢٠١ ط هارون.

فمن خلال النص السابق نرى أن المالقي يزعم أن ٠ أما) معناها العرض، وبسيطة، وهذا المعنى لم يشر إليه أحد من النحاة قبله، ولا بعده .

والحق أن (أما) في الأمثلة التي ذكرها في نصه السابق مركبة من همزة الاستفهام و(ما) النافية والاستفهام معناه التقرير كما نبه على ذلك في آخر نصه السابق.

وقد نقضه المرادي في الجنى الداني قائلا ٣٩٢: "الثالث: أن تكون للعرض كأحد معاني (ألا) المتقدمة الذكر ذكر هذا القسم صاحب رصف المباني... قلت:وكون (أما) حرف عرض لم أره في كلام غيره، والظاهر أن (أما) في هذه المثل التي مثل بها، مركبة من الهمزة، و(ما) النافية فهي كلمتان، وقد ذكر هو وغيره أن (أما) قد تكون همزة استفهام داخلة على حرف النفي، فيكون المعنى على التقرير كما في نحو (ألم)" اهـ .

كما نقضه ابن هشام في المغني قائلا ٥٥: "وزاد المالقي لـ (أما) معنى ثالثا، وهو أن تكون حرف عرض. بمنزلة (ألا) فتختص بالفعل نحو: أما تقوم، وأما تعقد، وقد يدعى في ذلك أن الهمزة للاستفهام التقريري مثلها في (ألم) و(ألا) وأن(ما) نافية" اهـ .

(ب) ادعاؤه أن (ذا) التي تتركب مع (ما) الاستفهامية حرف.

قال في باب (ذا) ص ١٨٦: "ولها في الحرفية موضع واحد، وهي مفعول للفعل الموجه عليها، أو مجرور نحو قولك: ماذا صنعت؟ وماذا جئت؟ وبماذا خفت؟ والتقدير: أي شيء صنعت؟ وأي شيء جئت؟ ومن أي شيء خفت؟ فتكون (ذا) مع (ما) كشيء واحد بمعنى: أي شيء؟ وإنما حكمنا على أن (ذا) حرف" لأنها قد توجد (ما) الاستفهامية وحدها دونها، ومعناها الاستفهام، وتوجد معها أيضا، وهي معها بذلك المعنى فحكمنا أنها وصلة لها "اهـ .

فنرى من خلال هذا النص أن المالقى ادعى أن (ذا) عندما تتركب مع (ما) الاستفهامية تكون حرفا.

وهذا ادعاء باطل، لأن (ذا) قبل أن تركب مع (ما) كانت اسما من أسماء الإشارة، فكيف مع التركيب تتحول إلى الحرفية؟ ثم إن النحاة أجمعوا على أن (ذا) عندما تتركب مع (ما) الاستفهامية تصير اسما واحدا للاستفهام قال الأشمونى: ١/١٥٩- ١٦٠«ومثل (ما) الموصولة فيما تقدم من أنها تستعمل بمعنى الذى وفروعه بلفظ واحد (ذا) إذا وقعت بعد (ما) استفهام باتفاق، أو بعد (مَنْ) استفهام على الأصح، وهذا إذا لم تلغ (ذا) فى الكلام، والمراد بإلغائها أن تجعل مع (ما) أو (من) اسما واحدا مستفهما به، ويظهر أثر الأمرين فى البدل من اسم الاستفهام، وفى الجواب.... وتقول عند جعلهما اسما واحدا: ماذا صنعت؟ أخيرا أم شرا؟ ومن ذا أكرمت؟ أزيدا أم عمرا؟ بالنصب على البدلية من (ماذا) أو (من ذا)" لأنه منصوب بالمفعولية مقدما، وكذا تفعل فى الجواب نحو (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) [1] قرأ أبو عمرو برفع العفو على جعل (ذا) موصولا، والباقون بالنصب على جعلها ملغاه كما فى قوله تعالى:(ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) [2]،اهـ بتصرف.

فمن خلال نص الأشمونى نرى أنه صرح باسمية (ذا) عندما تركب مع (ما) الاستفهامية.

وقال الشيخ خالد فى التصريح- أيضا- ١/١٣٨، ١٣٩ عن إلغاء (ذا):

"وإلغاؤها على وجهين: أحدهما: حكمى، والآخر: حقيقى، فالحكمى ما ذكره بقوله: وذلك الإلغاء بتقديرها مركبة مع (ما) فى نحو: ماذا صنعت؟ فيصيران

(١) فى الآية ٢١٩ من سورة البقرة، وراجع القراءة فى الاتحاف ١٥٧.
(٢) فى الآية ٣٠ من سورة النحل.

اسما واحدا من أسماء الاستفهام فى محل نصب على المفعولية المقدمة بصنعت والتقدير: أى شيء صنعت؟ كما قدرها كذلك أى مركبة مع (ما) إلا أنهما فى محل جر من قال لسائل عن شيء عما ذا تسأل؟ والتقدير: عن أى شيء تسأل؟ فأثبت الألف من (ما) لتوسطها فى اسم الاستفهام بالتركيب ولو لا ذلك لحذفت الألف، لأن (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها جار حذفت ألفها لتطرفها نحو: (عم يتساءلون) [1] فرقا بين (ما) الاستفهامية، والموصولة نحو قوله سبحانه وتعالى: عما يقولون، وخصت الأستفهامية بحذف الألف للتطرف وصينت الموصولة عن الحذف لتوسط الألف، لأن الصلة والموصول بمنزلة الاسم الواحد. والألغاء الحقيقى ما ذكره بقوله: ويجوز الإلغاء عند الكوفيين وابن مالك[2] على وجه آخر، وهو تقديرها زائدة بين (ما) ومدخولها، فكأنك قلت: ما صنعت؟ والبصريون لا يجيزون زيادة شيء من الأسماء "اهـ .

فأنت ترى من نص الشيخ خالد أن (ذا) الملغاة بقسميها: الحكمى، والحقيقى اسم لا حرف.

وقد نقض المرادى فى الجنى الدانى المالقى فى ادعائه أن (ذا) حرف عندما تكون ملغاه قائلا ٢٤٢: "واعلم أن أقسام (ذا) المذكورة كلها أسماء باتفاق إلا الملغى فإن صاحب رصف المبانى ذهب إلى أنه حرف... ولأجل هذا الخلاف ذكرت (ذا) ههنا"اهـ .

(جـ) توهمه أن (كما) تكون بسيطة في ثلاثة مواضع، قال في باب (كما) ٢١٣-٢١٤ «وتكون (كما) بسيطة، وهى مقصدنا ولها ثلاثة مواضع: الموضع

(١) الآية ١ من سورة النبأ.
(٢) راجع شرح التسهيل لابن مالك ١٩٦/١.

الأول: أن تكون بمعنى (كى) فتنصب ما بعدها كما تنصب (كى)" كقولك: أكرمتك كما تكرمنى، أى كى تكرمنى، قال الشاعر:

وطرفك إما جئتنا فاصرفنه ... كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر [1]

أى: كي يحسبوا.

الموضع الثانى: أن تكون بمعنى (كأن) فتقول: شتمنى كما أنا أبغضه، أى كأنى أبغضه، ومنه قول الشاعر:

تهددنى بجندك من بعيد ... كما أنا من خزاعة أو ثقيف [2]

الموضع الثالث: أن تكون بمعنى (لعل)، فتقول: لا تضرب زيدا كما لا يضربك ومنه قول الراجز:

لا تشتم الناس كما لا تشتم [3]

أى: لعلك لا تشتم، وهى فى هذين الموضعين الأخيرين غير عاملة لفظا وإن كانت فى موضع عامل من جهة المعنى "اهـ .

ويرد عليه أن (كما) فى المواضع الثلاثة السابقة مركبة عند المحققين من النحاة من الكاف، و(ما) سواء أكانت الكاف للتشبيه أم للتعليل أم أصلها(كى) كما يزعم الفارسى فى قول عمر بن أبى ربيعة فى الموضع الأول، وسواء أكانت (ما) زائدة، أم كافة.

وأما الموضع الأول فقد قال الناظم فى شرح التسهيل ١٧٣/٣، ١٧٤: وتحدث

---

(١) هذا بيت من الطويل لعمر بن أبى ربيعة، وهو من شواهد شرح التسهيل ١٧٣/٣، ١٩/٤ والمساعد ٢٩١/٢، والإنصاف ٣٤٤، والمغنى ١٧٧، والأشمونى ٢٨١/٣، والديوان ١٨٩.

(٢) هذا بيت من الوفر لم أقف على قائله، وهو من شواهد الجنى الدانى ٤٨٤ نقلا عن المالقى.

(٣) هذا رجز لرؤبة بن العجاج، وهو من شواهد الكتاب ١١٦/٣ ط هارون، والإنصاف ٥٩١، والعينى ٤٠٩/٤، والهمع ٣٨/٢، والدر ٣٤/٢، والأشمونى ٢٨٢/٣ وملحقات ديوان رؤبة ١٨٣، ومعجم الشواهد ٥٣٥، وقوله كما لاتشتم: بالبناء للمفعول، ورفع الفعل، وقوله كماأصلها كاف التشبيه الكفوفة بـ (ما) قد تغير معناها بالتركيب، فصارت بمعني (لعل) أى لعلك لا تشتم، وهى مهملة لا تعمل شيئا، ولا يلزم من كونها بمعنى (لعل) أن تعمل عملها.

(ما) الكافة فى الكاف معنى التعليل، كقوله تعالى: (واذكروه كما هداكم)[١]....

وإذا حدث فيها معنى التعليل، ووليها مضارع نصبته لشبهها بـ (كى) كقول الشاعر:

فطرفك إما جئتنا فاصرفنه   كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

ورغم الفارسى أن الأصل (كيما) وحذفت الياء، وهذا تكلف لا دليل عليه، ولا حاجة إليه "اهـ بتصرف.

فنرى فى نص ابن مالك السابق أن (كما) فى البيت مركبة من كاف التعليل، و(ما) الزائدة كما يرى ابن مالك، أو مركبة من (كى) و(ما) الزائدة أيضا كما يزعم الفارسى. وأما الموضع الثانى فلم أعثر له على نص صريح يفيد أن الكاف بمعنى (كأن) إلا أن سيبويه قال فى كتابه ٣/ ١٤٠ ط هارون: "وسألته عن قوله: كما أنه لا يعلم ذلك فتجاوز الله عنه، وهذا حق كما أنك ها هنا، فزعم أن العاملة فى (أن) الكاف، و(ما) لغو إلا أن (ما) لا تحذف من ها هنا كراهية أن يجىء لفظها مثل لفظ (كأن) " اهـ. فنص سيبويه لا يتفق مع الموضع الثانى فى كلام المالقي لأن الخليل يرى أن الكاف عاملة، و(ما) زائدة، ولكنها لا تحذف، لأنها لو حذفت لصارت الكلمة لفظها (كأن) و(ما) الكافة.

وأما الموضع الثالث فقد نص عليه سيبويه فى كتابه ١١٦/٣ ط هارون قائلا: " وسألت الخليل عن قول العرب: انتظرنى كما آتيك، وارقبنى كما ألحقك فزعم أن (ما) والكاف جعلتنا بمنزلة حرف واحد، وصيرت للفعل كما صيرت للفعل (ربما) والمعنى: لعلى آتيك، فمن ثم لم ينصبوا به الفعل، كما لم ينصبوا بربما قال رؤبة:

لا تشتم الناس كما لا تشتم "اهـ.

فأنت ترى أن (كما) فى نص سيبويه مركبة من الكاف التى بمعنى (لعل) و(ما) الكافة.

---

(١) فى الآية ١٩٨ من سورة البقرة.

قال الأعلم: "الشاهد وقوع الفعل بعد (كما)، لأنها كاف التشبيه، ووصلت بـ (ما) لوقوع الفعل بعدها، كما فعل بـ (ربما) ومعناها هنا (لعل) أي: لا تشتم الناس لعلك لا تشتم إن لم تشتمهم، ومن النحويين من يجعلها بمعنى (كي) ويجيز النصب بها، وهو مذهب الكوفيين، وقال النحاس: هذا قول الخليل وسيبويه، وحكي ابن سعدان النصب بـ .(كما)إذا كانت بمعنى (كيما) وقد حكاه الأخفش سعيد" [١] اهـ.

وقد رد المرادى فى الجنى الدانى على المالقى فى زعمه أن (كما) تكون بسيطة فى المواضع الثلاثة السالفة الذكر، ووضح أن (كما) عند التحقيق مركبة من كاف التشبيه، أو التعليل و(ما) ثم(ما) إما أن تكون اسمية وتكون موصولة، إو نكرة موصوفة، وإما أن تكون حرفية، وتكون مصدرية، وكافة وزائدة، ثم نقل نص المالقى السابق، ثم قال: ٤٨٤ . ٤٨٥" ولم أر أحدا ذكرأن (كما) تكون حرفا بسيطا، غير هذا الرجل، وليس الأمر كما ذكر و(كما) فى هذه المواضع الثلاثة مركبة من كاف التشبيه، أو كاف التعليل و(ما)" اهـ.

ثالثا: أنه قصر عدة مسائل على الضرورة مع ورودها فى الاختيار.

ومن شواهد ذلك ما يلى:

(أ) قصره إعمال (إنْ)النافية عمل (ليس) على الضرورة، معللا ذلك بأنه لم يرد إعمالها إلا فى بيت واحد لا نظير له قال المالقى ١٠٧:"وقد أعملها أبو العباس المبرد[٢]إجراء لها مجرى(ما)الحجازية، فرفع بها ما كان مبتدأ ونصب ما كان خبرا، كقولك: إن زيد قائما، وأنشد قول الشاعر:

إن هو مستوليا على أحد .. إلا على أضعف المجانين [٣]

---

(١) راجع الخزانة ٨/ ٥٠١ ط هارون.

(٢)راجع المقتضب ١/ ٤٩، ٢/ ٣٦٢قال الناظم فى شرح التسهيل ٢/ ٣٧٥:"وصرح أبو العباس المبرد بإعمال(إن) عمل ليس، وتابعه أبو على، وأبو الفتح بن جنى" ١هـ.

(٣)هذا بيت من المنسرح لم أقف على قائله، وهو من شواهد تخليص الشواهد ٢٤٧:
والتصريح١/ ٢٠١،والهمع ١/ ١٢٥، والدرر ١/ ٩٦، والأشمونى١/ ٢٥٥، والخزانة ٢/ ١٤٣.
والبيت من إنشاد الكسائى كما قال ابن هشام فى تخليص الشواهد ٢٤٨، ويروى كما فى الأزهية ٤٦ (إلا على حزبه الملاعين)وفيه على الروايتين شاهد على مسألة أخرى، وهى أن إنتقاض النفى بعد الخبر لا يقدح العمل.

وهذا البيت من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه إذ لا نظير له"١هـ.
ويرد عليه: أن إعمال(إن) النافية عمل ليس له وارد عن العرب فى الاختيار وليس خاصا بالشعر كما يزعم، وإعمالها لغة أهل العالية وهى ما فوق نجد إلى أرض تهامة، وإلى ما وراء مكة وما والاها.
وأجاز إعمالها الكسائى، وأكثر الكوفيين[١]، وطائفة من البصريين منهم ابن السراج[٢]،والفارسى، وابن جنى كما أجاز إعمالها أيضا ابن مالك، وصححه أبو حيان[٣]،لمشاركتها لـ (ما)فى النفى، وكونها لنفى الحال.
قال أبو حيان فى الارتشاف ١٠٩/٢:"والصحيح جواز إعمالها إذ قد ثبت ذلك لغة لأهل العالية نثرا ونظما"١هـ.
وقوله: إنه لم يرد إعمالهاإلا فى بيت لا نظير له وهو البيت السابق فى نصه السالف يرد عليه: أنه ورد إعمالها أيضا فى بيت آخر، وهو قول الشاعر:
إن القرء ميتا بإنقضاء حياته .. ولكن بأن يبغى عليه فيخذلا[٤]
ومن شواهد إعمالها نثرا قول بعض أهل العالية [٥]:(إن أحد خيرا من أحد إلا بالعافية، وإن ذلك نافعك ولا ضارك، وسمع الكسائى[٦]أعرابيا يقول:(إنا قائما) فأنكرها عليه، وظن أنها(إن) المشددة وقعت غلى قائم قال: فاستشبته فإذا هو يريد: إن إنا قائما، فترك الهمزة، وأدغم على حد(لكناهو الله ربى)[٧].
وأصله: لكن أنا، فحذفت الهمزة، وأدغمت النون فى النون، فصارت:(لكنا هو الله ربى). وذكر ابن جنى فى المحتسب ٢٧٠/١ أن سعيد بن جبير رضى الله

(١) راجع معانى القرآن للفراء ١٤٤/٢. (٢)راجع الأصول لابن السراج ١٠٩/١، ١١٠.
(٣) راجع الهمع ١٢٤/١.
(٤) هذا بيت من الطويل لم أعثر على قائله، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ٣٧٦/٢ والجنى الدانى ٢١٠: والهمع ١٢٥/١، والدرر ٢٩٧/١والأشمونى ٢٥٥/١، ومعجم الشواهد٢٦٥. والمعنى: ليس المرء ميتا بإنقضاء حياته، ولكن إنما يموت إذا بغى عليه فيخذل عن النصر والعون.
(٥) راجع شرح شذور الذهب لابن هشام ١٩٩.
(٦) راجع الهمع ١٢٤/١، ١٢٥. (٧) فى الآية ٣٨ من سورة الكهف.

عنه – قرأ(إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم)[١]على أن (إن) نافية، والذين: اسمها، وعبادا: خبرها، وأمثالكم: صفة.

قال "ينبغى – والله أعلم – أن تكون (إن) هذه بمنزلة (ما) فكأنه قال: ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم، فأعمل (إن) إعمال(ما) وفيه ضعف، لأن (إن) هذه لم تختص بنفى الحاضر اختصاص (ما) به فتجرى مجرى ليس فى العمل، ويكون المعنى: إن هؤلاء الذين تدعون من دون الله إنما هى حجارة، أو خشب فهم أقل منكم" [٢]اهـ.

وخرج أبو حيان فى البحر ٢٥١/٥، ٢٥٢ ط دار الفكر القراءة السابقة على أن(إن) مخففة من الثقيلة ناصبة للجزأين، لتتوافق القراءتان إثباتا، وهو تخريج على شاذ، لأن نصبها الجزأين شاذ، ولا يحس تخريج التنزيل عليه قال ابن هشام فى تخليص الشواهد ٢٤٧: فأما القراءة فخرجها على ذلك أبو الفتح، وتبعه الناظم، وابنه[٣]وظن أبو حيان أن تخريجها على ذلك يوقع فى تناقض القراءتين، فإن الجماعة يقرأون بتشديد النون وفتحها ورفع عباد وأمثالكم، وذلك إثبات، وقراءة سعيد على هذا التخريج نفى، فخرجها على أنها(إن) المؤكدة خففت، ونصبت الجزأين.. ولم يثبت الأكثرون إعمال (إن) النصب فى الجزأين، وتأولوا ماأوهم ذلك، ثم القائلون به لم يذكروه إلا مع التشديد، لا مع التخفيف ثم التناقض الذى توهمه مدفوع، لأنهم أمثالهم فى أنهم مخلوقون، وليسوا أمثالهم فى الحياة والنطق وقراءة سعيد على هذا التخريج أقوى فى التشنيع عليهم من قراءة الجماعة، ويؤيدها ما بعدها من قوله تعالى(ألهم أرجل يمشون بها)[٤]اهـ بتصرف .

(ب) قصره حذف اسم (إن) إذا كان ضمير شأن على الضرورة، قال المالقى ١١٩:عن حذف اسم (إن) " لا يجوز حذف اسمها، لأنه عمدة، مبتدأ فى الأصل

---

(١) فى الآية ١٩٤ من سورة الأعراف.

(٢) راجع المحتسب ٢٧٠/١، والبحر المحيط ٢٥٠/٥ ط دار الفكر، وشرح التسهيل لابن مالك ٣٧٦/١، والجنى الدانى ٢٠٩.

(٣) راجع شرح الألفية لابن الناظم١٥٢.

(٤)فى الآية ١٩٥ من سورة الأعراف.

إلا إن كان ضمير شأن فيجوز حذفه فى الشعر، كقوله:

إن من يدخل الكنيسة يوما .. يلق فيها جآذرا وظباء[١]

وتقديره: إنه من "اهـ.

فأنت ترى المالقى قصر حذف ضمير الشأن إذا وقع اسما لـ(إن) على الضرورة والأصح جوازه فى الإختيار قليلا، ومن شواهد ذلك قول العرب: إن بك زيد مأخوذ، قال سيبويه ١٣٤/٢ط هارون:"وروى الخليل - رحمه الله - أن ناسا يقولون:إن بك زيد مأخوذ، فقال: هذا على قوله: إنه بك زيد مأخوذ"اهـ. وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون)[٢] أى هكذا رواه الثقات بالرفع وحمله الكسائى على زيادة (من) وجعل أشد الناس اسما، والمصورون: خبرا والصحيح أن الاسم ضمير الشأن، لأن زيادة (من) مع اسم (إن) غير معروفة، وأيضا فالمعنى يفسد على تقدير الزيادة، إذ يصير: إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون، وليس كذلك، إذ غيرهم أشد عذابا منهم كالكفرة ونحوهم . قال ابن هشام فى المغنى ٣٧ :" وتخريج الكسائى الحديث على زيادة (من) فى اسم (إن) يأباه غير الأخفش من البصريين، لأن الكلام إيجاب، والمجرور معرفة على الأصح، والمعنى أيضا يأباه، لأنهم ليسوا أشد عذابا من سائر الناس" اهـ.

وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - أيضا فى صفة الدجال :" وإن بين عينيه مكتوب كافر"[٣] برفع (مكتوب) فى إحدى روايات الحديث، فيحتمل أن ويكون

(١)هذا بيت من الخفيف للأخطل، وهو من شواهد ابن يعيش١١٥/٣، والمغنى ٣٧، ٥٨٩ والهمع ١٣٦/١، والدرر ١١٥/١، والخزانة ٤٥٧/١ط هارون، ومعجم الشواهد ١٩.

والجآذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة، والظباء: الغزلان، والواحد: ظبية.

والمعنى: من يدخل الكنيسة يلق فيها أشباه الجآذرمن أولاد النصارى، وأشباه الظباء من نسائهم، فكنى عن الصبيان بالجآذر، وعن النساء بالظباء.

(٢) راجع الحديث فى تلخيص صحيح الإمام مسلم ٩٢٦ حديث ٥٠، وشواهد التوضيح ١٤٨ وشرح التسهيل لابن مالك ١١/٢، ١٣، والمساعد ٣١١/١، والمغنى ٣٧، وشرح الكافية للرضى ٣١٢/٢.

(٣) راجع الحديث فى صحيح البخارى كتاب الفتن باب ذكر الدجال حديث٢٦، وشواهد التوضيح ١٤٧.

اسم(إن) ضمير الشأن، وما بعد ذلك جملة من مبتدأ وخبر فى موضع رفع خبر لـ (إن)ويحتمل أن اسم (إن) ضمير عائد على الدجال.

ومن روى(مكتوبا) بالنصب، فيحتمل أن يكون اسم(إن) محذوفا على ما تقرر فى رواية الرفع وكافر، مبتدأ، وخبره: بين عينيه، ومكتوبا: حال، أو يجعل مكتوبا اسم(إن) وبين عينيه: خبرا، وكافر خبر مبتدأ، والتقدير: هو كافر.

ويجوز رفع(كافر) بمكتوب، وجعله سادا مسد خبر(إن) كما يقال: إن قائما الزيدان، وهذا مما انفرد به الأخفش.

وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - أيضاً فى بعض الروايات: (وإن لنفسك حق)[1] وإنما جاز[2] حذف ضمير الشأن من غيرضعف، لبقاء تفسيره، وهو الجملة ولأنه ليس معتمدا لكلام، بل المراد به التفخيم فقط، كالزائد.

قال ابن مالك فى شرح التسهيل ١٣/٢ "ويجوز حذف الاسم إذا فهم معناه، ولا يخص ذلك بالشعر، بل وقوعه فيه أكثر، وحذفه وهو ضمير الشأن أكثر من حذفه وهو غيره، ومن وقوع ذلك فى غير الشعر قول بعضهم: إن ربك زيد مأخوذ حكاه سيبويه عن الخليل مريدابه: إنه بك زيد مأخوذ؟ وعليه يحمل قوله - صلى الله عليه وسلم - : (إن من أشد الناس عذابا يوم القيامةالمصورون) اهـ .

(جـ) قصره الفصل بين (قد) والفعل بالقسم على الضرورة، قال المالقى:

٣٩٣"وهى مع الفعل مختصة به، لازمة له تقوم مقام الجزء، فلأجل ذلك لا يجوز الفصل بينها وبينه إلا فى الضرورة، كقوله:

فقد والله بين لى عنائى .. بوشك فراقهم صرد يصيح[3]

---

(١) راجع الحديث فى صحيح البخارى كتاب التهجد حديث(٢٠) وشواهد التوضيح ١٤٨.
(٢)راجع شرح الكافيه للرضى ٣٦٢/٢ .
(٣) هذا بيت من الوافر لم أقف على قائله وهو من شواهد الخصائص ٢٣٠/١، ٣٩٠/٢. والمغنى ١٧١، ومعجم الشواهد ٨٦، والصرد: الطائر .

أراد : فقد بين لى، ففصل بالقسم بينه وبينها للضرورة، وأما فى الكلام فلا يجوز لما ذكرت لك" اهـ.

فأنت تراه صرح بأن الفصل بين (قد) والفعل بالقسم مقصوره على الضرورة، ولا يجوز فى الكلام.

والحق جوازه فى الكلام، ومن شواهد ذلك قول أبى بكر الصديق - رضى الله عنه -: (قد والله مات رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1] وسمع [2] (وقد والله أحسنت) بفتح التاء، و(قد لعمرى بت ساهرا) بضم التاء.

وإنما جاز[3] الفصل بين (قد) والفعل بالقسم، لأن القسم لا يفيد معنى زائدا، وإنما هو لتأكيد معنى الجملة، فكان كأحد حروفها، ولأن (قد) قد تفرد من الفعل، ويوقف عليها فصيحا.

قال ابن عصفور فى شرح الجمل ٤٢٢/١: "والدليل على ذلك أنه لا يجوز الفصل بين هذه الحروف وبين الأفعال بشئ إلا (قد) فإنه قد لا يجوز الفصل بينهما وبين الفعل بالقسم نحو قوله: قد والله تريد " اهـ .

وقال الرضى فى شرح الكافية" ٣٨٨/٢": " ولا تفصل من الفعل إلا بالقسم نحو: قد والله لقوا الله، وقد لعمرى قال كذا" اهـ.

(د) قصره حذف واو العطف مع بقاء معطوفها على الضرورة. قال المالقى ٤١٤ عن حذف واو العطف:" فإذا حذفت زال هذا المعنى، فزالت فائدتها، فإن جاء من ذلك شئ فضرورة، كقوله:

---

(١) راجع القرطبى ط بولاق ٢٢٣/٣، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم٢/٢٩٧.
(٢) راجع شرح المفصل لابن يعيش ١٤٨/٨، والمغنى ١٧١.
(٣) راجع شرح المفصل لابن يعيش ١٤٨/٨، والمساعد لابن عقيل ٣/ ٢١٠.

وكيف لا أبكي على علاتي .. صبائحي غبائقي قيلاتي[١]

وقوله:

كيف أصبحت كيف أمسيت مما ،، يزرع الود في فؤاد الكريم[٢] اهـ.

فأنت تراه قصر حذف واو العطف على الضرورة الشعر كما هو واضح من نصه السابق.

والحق جواز حذفها مع بقاء معطوفها في الاختيار إذا فهم المعنى.

ومن شواهد ذلك قول الرسول- صلى الله عليه وسلم -: (تصدق رجل من ديناره من درهمه من صاع بره، من صاع تمره)[٣] أي من ديناره إن كان ذا دينار ومن درهمه إن كان ذا درهم، ومن صاع بره إن كان ذا بر، ومن صاع تمره إن كان ذا تمر . ومنه سماع أبي زيد (أكلت خبزا لحما تمرا) أراد: خبزا ولحما وتمرا.

وقال أبو علي[٤] قوله تعالى:(ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت[٥]) أي وقلت:

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن مسألة حذف حرف العطف، وإبقاء المعطوف خلافية بين النحاة على ثلاثة مذاهب:

(١) هذا رجز أنشده ابن الأعرابي كما نقله ابن جني عنه في الخصائص ١/٢٩١، ٢/٢٨٢وورد في اللسان (صبح، غبق، قيل) ومعجم الشواهد٤٥٢.
والعلات: جمع علة، وكأنه يريد هنا ما يتعلل به، وفسرها بالصبائح، والغبائق والقيلات، يريد نوقا يحلبها صباحا، وبعد المغرب، وفي القائلة. فالصبائح جمع صبوح، والغبائق جمع غبوق، والقيلات: جمع قيلة .
(٢) هذا بيت من الخفيف أنشده أبو الحسن كما نقله عنه ابن جني في الخصائص ١/٢٩١، ٢/٢٨٢ وهو من شواهد الهمع ٢/١٤٠، والدرر ٢/١٩٣، والأشموني ٣/١١٦، ومعجم الشواهد ٣٧٧ والشاعر حذف حرف العطف والأصل: كيف أصبحت، وكيف أمسيت أي إبداء التحية يعمل على الود والمحبة.
(٣) راجع الحديث في صحيح مسلم شرح النووي ٧/١٠٢- ١٠٣، ورياض الصالحين ٢/٢٣٩.
(٤)راجع شرح الكافية للرضي ٢/٣٢٦.
(٥) في الآية ٩٢ من سورة التوبة.

فذهب الفارسى إلى جواز إضمار حرف العطف، وإبقاء المعطوف عند فهم المعنى وتبعه الناظم فى شرح تسهيل ٢/ ٣٨٠، وابن عصفور فى شرح الجمل ٢٥١/١. واستدلوا بالسماع.

وذهب ابن جنى إلى أنه لا يجوز ذلك مطلقا أى لا فى شعر ولا نثر وإن ورد شئ من ذلك فهو شاذ، أو مؤول وقد نبه على ذلك ابن جنى فى الخصائص ٢٩١/١، ٢٩٢، ٢/ ٢٨٢، وسر الصناعة ٢٦٩، ٢٣٥، ٢٣٦، وتبعه السهيلى، وابن الضائع، ولذلك أولوا بعض الشواهد فقال ابن جنى فى الخصائص ٢/ ٢٨٢عن تخريج البيت الأول " وقد لا يجوز أن يكون بدلا، أى كيف لا أبكى على علاتى التى هى صبائحى وهى غبائقى، وهى قيلاتى، فيكون هذا من بدل الكل، والمعنى الأول أن منها صبائحى، ومنها غبائقى، ومنها قيلاتى" اهـ.

وخرج ابن الضائع البيت الثانى كما نقله عنه ابن عقيل فى المساعد ٢/ ٤٧٤ قائلا:"وأما البيت فعلى معنى الاستمرار على هاتين الكلمتين مما يزرع ولو قدر عاطف لا نحصر فى الكلمتين من غير مواظبة فهو نحو: قرأت ألف باء ترجمة عن الجميع، ولو عطفت لأشعر بانقضاء المقروء عند الباء قاله ابن الضائع وفيه نظر " اهـ.

وخرجوا حكاية أبى زيد على بدل الإضراب كما فى المغنى ٦٣٥، وقيل على بدل البداء كما فى المساعد ٢/ ٤٧٤.

وخرجوا الآية كما نقل عنهم ابن هشام فى المغنى ٦٣٥قائلا:"وقيل : بل هو الجواب و(تولوا) جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فما حالهم إذ ذاك ؟ وقيل: (تولوا) حال على إضمار قد، وأجاز الزمخشرى أن يكون قلت: استئنافاً أى إذا ما أحملكم عليه، ثم وسط بين الشرط والجزاء" اهـ.

وذهب قوم منهم المالقى وابن هشام[١] إلى جواز حذف واو العطف فى الشعر فقط.

والحق جواز حذف واو العطف مع بقاء المعطوف على قلة نثرا إذا كان المعنى مفهوما، ولا داعى للتأويل، لأن ما لا يحتاج إلى تلأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل.

رابعا: أنه قد يتعسف فى اختيار بعض الآراء.

ومن شواهد ذلك ما يلى:

(١) اختياره اسمية(جير) وزعمه أنها ليست جوابا، ولا داعى لذكرها فى حروف المعانى، قال فى باب جير ١٧٦ - ١٧٨: "اعلم أن(جير) جعلها أبو موسى الجزولى من التأخرين حرفا، وجعلها فى باب الحروف الواقعة جوابا فى كراسة، وجعلها بمعنى(نعم) وذكر غيره أنها هى اسم بمعنى(حقا) من غير تعرض لا سميتها، ولا حرفتها وليست عندي جوابا وإنما هي إسم بمعنى (حقا) مضمنة معنى القسم، إذ هى عوض منه، وفيها معنى التوكيد، فتقول: جير لأفعلن كما تقول: حقا لأفعلن، فهى كـ(عوض) فى قولهم: عوض لأضربنك وهى من أسماء الدهر نزلت منزلة المقسم به، فبينت على الحركة لالتقاء الساكنين: الراء والباء، وكانت الحركة كسرة على أصل التقاء الساكنين.

والدليل علي أنها اسم شيئان:

أحدهما: أن معناها(حقا) وما حل من الألفاظ المشكلة فى الحرفية والاسمية محل الاسم حكم عليه بالاسمية إلا إن قام دليل على حرفيته ككاف التشبيه التى معناها (مثل).

والثانى: أنها نونت فى الشعر مراعاة لأصلها من الاسمية، قال الشاعر:

وقائلة أسيت فقلت جير .. أسى إننى من ذاك إنه[٢]

---

(١) راجع المغنى ٦٣٥.

(٢) هذا بيت من الوافر لم أقف على قائله، وهو من شواهد المغنى ١٢٠، والهمع ٢/٤٤، ٧٢، والدرر ٢/٥٢، ٨٩، والخزانة ١٠/١١١ ط هارون ومعجم الشواهد ٣٨٧.
(وأسيت) بالخطاب جواب رب، والأسى: الحزن، وأسي: حزين وزنا ومعنى، وهو خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: أنا أسي، وخبر إننى محذوف مدلول عليه بما قبله، ومن: متعلقة بالمحذوف تعليلية، واسم الإشارة راجع إلي ما لقى بنو أسد بسببهن، وإنه نعم، والهاء للسكت.
والمعنى: إننى أسى من أجل بنو أسد بسبب التزوج بالقريبات من المصائب.

فهذا التنوين، وإن كان تنوين ضرورة، لا يكون إلا فى الأسماء التى أصلها التمكن كتنوين المنادى العلم... ولا يكون تنوين الضرورة فى فعل ولا حرف، ولا فى متوغل فى البناء كالضمير إلا فى القوافى فصح بهذا أن (جير) اسم متمكن فى الأصل إلا أنه قل استعماله إلا فى القسم كما ذكر، فلا مدخل له فى الحروف، وإنما ذكرته لا ستشكاله" ولعدم تبين النحويين له، اهـ بتصرف واختصار.

فمن خلال نص المالقى نرى أنه اختار أن (جير) اسم لا حرف، واستدل على اسميتها بدليلين.

والصواب أنها حرف جواب بمعني (نعم) لا اسم بمعنى (لاحقا) كما يزعم المالقى وقد اختار هذا الرأى كثيرون [1] منهم الرمانى، والزمخشرى، وابن يعيش، والرضى، وابن مالك، والمرادى، وابن هشام.

وأما الدليل الأول الذى استدل به على اسميتها فيرد عليه: أنها لو كلنت بمعنى (حقا) لأعربت، ولجاز أن تصحبها الألف واللام كما أن (حقا) كذلك، ولأن كل موضع وقعت فيه (جير) يصلح أن تقع فيه (نعم) وليس كل موضع وقعت فيه يصلح أن توقع فيه (حقا) ولأنها لو لم تكن بمعنى (نعم) لم تعطف عليها فى قول بعض الطائيين:

أبى كرما لا آلفا جير أو نعم .. بأحسن إيفاء وأنجز موعد [2]

ولا أكدت (نعم) بها فى قولى طفيل الغنوى:

وقلن على البردى أول مشرب .. نعم جير إن كانت رواء أسافله [3]

---

(١) راجع معانى الحروف للزمانى ٢١٠٦ وشرح المفصل لابن يعيش ١٢٤//٨، وشرح التسهيل لابن مالك ٣///٢٢١٩-٢٢٠، والمساعد لابن عقيل ٣٢٨/٢: وشرح الكافية للرضى ٣٤١/٢ والمغنى ١٢٠، والجنى الدانى ٤٣٣.

(٢) هذا بيت من الطويل لم أقف على قائله ومن شواهد التسهيل لابن مالك ٢١٩/٣ والجنى الدانى ٤٣٤، والهمع ٤٤/٢؛ والدر ٥٢/٢، ومعجم الشواهد ١١٤.

(٣) هذا بيت من الطويل لطفيل الغنوى، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ٢١٩//٣، والجنى الدانى ٤٣٤، والمغنى ١٢٥، والهمع ٤٤/٢، ٧٢، والدر ٥٢/٢. ٨٨، والديوان ٤٩، ومعجم الشواهد ٢٨٧، وقوله: على البردى: روي بدل على ألا التى تدل على التنبيه، والبردى: غدير لبنى كلاب، وقوله: نعم جير روى بدله(أجل جير)، وهو مقول لقول محذوف أى فقيل لهن أجل جير ورواء: بالكسر والمد جمع ريان كعطاش جمع عطشان وأسافل جمع أسفل وهو مكان المنخفض.

والمعني: إن أجتمع الماء فى أراضيه المنخفضة حتي صار غديرا، فالبردى أول مشرب وإلا فلا، فجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله.

ولا قوبل بها (لا) فى قول الراجز:

إذا تقول لا ابنة العجير   تصدق لا إذا تقول جير [(١)]

وأما الدليل الثانى الذي استدل به على اسميتها بتنوينها فى الشعر فيرد عليه: بأن هذا أحد احتمالات ثلاثة فى تخريج البيت السابق الذى ذكره المالقى، وكما نعلم أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

والإحتمال الثانى [(٢)]: أنه يحتمل من تنوين التزنم تشبيها لآخر النصف بآخر البيت، وتنوين التزنم غير مختص بالاسم، والوصل بنية الوقف، وهو وتنوين الغالى كهاء السكت، إنما يلحقان الكلمة وقفا لا وصلا.

وهذا الاحتمال أقرب من الذى يأتى بعده.

والإحتمال الثانى: يحتمل أن يكون أراد توكيد (جير) بإن التى بمعنى (نعم) فحذفت همزتها، وخففت بحذف النون الثانية، وهو بعيد.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الخلاف فى (جير) شهير ذكرلها ابن أبى الربيع فى كتاه الملخص أربعة أقوال أشار المالقى إلى قولين منها، وبقى قولان:

والقول الثالث: ذهب سيبويه [(٣)]، وابن عصفور، ومن تابعهما إلى أن (جير) ظرف بمعنى (أبدا) وبنيت لقلة تمكنها.

ويرد على هذا القول: بأنها لو كانت بمعنى (أبدا) لأعربت، ودخلت عليها أل كما قلنا ذلك سابقا فى قول المالقى: إنها بمعنى (حقا).

والقول الرابع: ذهب عبد القاهر الجرجانى كما نقل عنه الرضى فى شرح الكافية

---

(١) هذا رجز لم أعثر على قائله، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ٣//٢١٩ والجنى الدانى ٤٣٤، والمغنى ١١١٢٠: والهمع ٢/٤٤١، ٧٢، والدر ٢/٥٣، ٨٨ ومعجم الشواهد ٤٧٩، وراوية البيت فى شرح التسهيل هكذا:

إذا يقول لا أبو العجير   .. يصدق لا إذا يقول جير

والشاهد فيهما واحد وهو أن (جير) لو لم تكن بمعنى (نعم) لم تقابل بها (لا).

(٢) راجع المغنى ١٢٠، والجنى ٤٣٥.

(٣) راجع الكتاب ٣//٣٨٦ ط هارون، وشرح الجمل ١/٩٢، ٢/٣٣٦، ٣٣٧.

٢/ ٣٤١/ إلى أن (جير)اسم فعل بمعنى اعترف كما أن هيهات اسم لبعد.

ويرد على هذا القول: أنها لو كانت اسم فعل للزم أن تكون جميع حروف التصديق اسم فعل مثل (جير) ولم يقل أحد بذلك.

وبعد فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن (جير) حرف جواب بمعنى (نعم) لا اسم بمعنى (حقا) ولا بمعنى (أبدا) ولا اسم فعل. والله أعلم بالصواب.

(ب) جنوحه إلى مذهب البصريين في زعمهم أن (مِنْ) لا تأتي لابتداء الغاية في الزمان، وإن ورد ما ظاهره ذلك يؤول على تقدير مصدر مضاف إلى الزمان قال المالقي: ٣٢٠- ٣٢١(مِنْ لا تدخل على الأزمنة) فإن دخلت فعلى تقدير مجرور غير زمان حذف، وأقيم المضاف إليه مقامه كقوله تعالى:

(لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) أي من تأسيس أول يوم.

وكذلك قول الشاعر:

من الصبح حتى تطلع الشمس لا ترى .. من القوم إلا خارجيا مسوما[١]

أي من طلوع الصبح. والكوفيون يجيزون دخولها على الأزمنة بمنزلة (منذ) كما ذكرت لك.

والصحيح ما ذكرت لك من التقرير بعدها، لأنه الباب فيها، وإذا أمكن أن يطرد الباب في شيء كان أولى. اهـ .

فأنت تراه اختار مذهب البصريين وصححه، وهذا تعسف منه، ومن البصريين أيضا؛ فالصحيح جواز استعمال (مِنْ) لابتداء الغاية في الزمان لثبوت ذلك في القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة؛ والأشعار الفصيحة ومن شواهد ذلك في القرآن- أيضا- علاوة على الآية التي استشهد بها المالقي في نصه السالف قوله

---

(١) هذا بيت من الطويل للحصين بن حمام المري الجاهلي وهو من شواهد الحماسة للمرزوقي ٣٨٨، وشرح الحماسة للتبريزي ١/ ٣٦١١، وشرح الجمل لابن عصفور ١/ ٤٨٨، والخارجي: كل متناه في جنسه فائق نظراءه، والمسوم: الذي عليه علامة يعرف بها.

تعالى: (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) [١] وقوله تعالى: (لله الأمر من قبل ومن بعد) [٢].

ومن شواهد ثبوت ذلك في الأحاديث الصحيحة قول الرسول- صلى الله عليه وسلم - (مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال: من يعمل لى إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى العصر على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لى من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين تعلمون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ألا لكم أجركم مرتين) [٣] فقد استعملت (من) فى هذا الحديث لابتداء غاية الزمان أربع مرات. وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم-:

(أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها) [٤] وقول من روى حديث الاستسقاء: (فمطرنا من جمعة إلى جمعة) [٥] وقول عائشة رضى الله عنها:

(فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولم يجلس عندى من يوم قيل فى ما قيل) [٦] وقول أنس رضى الله عنه (فلم أزل أحب الدباء من يومئذ) [٧] وفى جامع المسانيد أن رسول الله صلى اله عليه وسلم- قال لفاطمة رضى الله عنها (هذا أول طعام أكله أبوك من ثلاثة أيام) [٨].

---

(١) فى الآية ٩ من سورة الجمعة.

(٢) فى الآية من سورة الروم.

(٣) راجع الحديث فى صحيح البخارى ١١٧/٣، ١٥٧/٤، ١٥٨، وشواهد التوضيح ١٢٩، وشرح التسهيل ١٣١/٣.

(٤) راجع الحديث فى البخارى كتاب العلم حديث ٤١ وشواهد التوضيح ١٣١.

(٥) راجع الحديث فى البخارى ٢///٣٦، وشواهد التوضيح ١٣١، وشرح التسهيل ٣//١٣٢.

(٦) راجع الحديث فى صحيح البخاري ١٥٢/٥، وشواهد التوضيح١٣١، وشرح التسهيل ١٣٢/٣.

(٧) راجع الحديث فى صحيح البخارى ٧//١٠١، وشواهد التوضيح ١٣١، وشرح التسهيل ١٣٢/٣.

(٨) راجع الحديث فى إعراب الحديث للعبكرى ٣٥ رقم ٥٤، وشرح التسهيل ٣//١٣٢.

ومن شواهد ثبوت ذلك في الأشعار الفصيحة قول القحيف العقيلي:

أتعرف أم لا رسم دار معطلا　　　من العام تلقاه ومن عام أولا [(١)]

فأدخل (مِنْ) على العام، وهو زمان، وقول أبي صخر الهذلي:

كأنهما ملآن لم يتغيرا　　　وقد مر للدارين من دارنا عصر [(٢)]

فأدخل (مِنْ) على الآن، وقول زهير:

لمن الديار بقنة الحجر　　　أقوين من حجج ومن دهر [(٣)]

فأدخل (مِنْ) على دهر. وقول النابغة الذبياني:

تخيرن من أزمان يوم حليمة　　　إلى اليوم قد جربن كل التجارب [(٤)]

فأدخل (من) على أزمان، وقول جبل بن جوال:

وكل حسام أخلصته قيونه　　　تخيرن من أزمان عاد وجرهم [(٥)]

---

(١) هذا بيت من الطويل (لقحيف) العقيلي، وهو من شواهد نوادر أبي زيد، وشرح الجمل لابن عصفور ٤٨٩/١، ويس على التصريح ١٦٣/٢، والخزانة ١٣١/٥ ط هارون، ومعجم الشواهد ٢٦٤، ومعطلا: أي خاليا من الأنيس والسكان.

(٢) هذا بيت من الطويل لأبي صخر الهذلي، وهو من شواهد الخصائص ٣١٠/١ وشرح الجمل لابن عصفور١//٤٨٩، وابن يعيش ٨///٣٥، وشذور الذهب ١١٢٨ والهمع ١١///٢٠٨، ٢، ١٩٩/٢، والدر ١٧٥/١، ٢٣١/٢، ومعجم الشواهد ١٥١.
والشاعر حذف نون (من) تخفيفا لالتقاء الساكنين، والقياس: من الآن.

(٣)هذا بيت من الكامل مطلع قصيدة لزهير بن أبي سلمى، وهو من شواهد ابن يعيش ٩٣/٤.٨/١١، والمغنى ٣٣٥، والتصريح ٢٢//١٧، والهمع ١١///٢١٧، والأشموني ٢٢٩/٢، والخزانة ٤٣٩/٩ ط هارون، وديوان زهير ٨٦، والقنة:بضم القاف وتشديد النون أعلى الجبل، والحجر: بكسر الحاء المهملة: منازل ثمود بناحية الشام عند وادى القرى، أقوين: أقفرن، والحجج: جمع حجة، وهي السنة، والدهر: الأمد الممدود، وروى بدله: ومن شهر، وأراد من شهور فوضع الواحد موضع الجمع اكتفاء به، وروى: مذ حجج: ومذ: حرف جر، والعامل فيها أقوين، وهي بمنزلة في ؛ لأن المعنى: أقوين في حجج.

(٤) هذا بيت من الطويل للنابغة الذبياني، وهو من شواهد ابن يعيش ١٢٨/٥، وشرح التسهيل لابن مالك ١٣٢/٣، ومن شواهد التوضيح ١٣١، والمغنى ٣١٩ والعيني ٢٧٠/٣، والتصريح ٨/٢، والأشموني ٢٩/٢، والديوان ٦ ومعجم الشواهد ٥٨. وتخيرن: اصطفين،والنون المتصلة بها نائب فاعل، وهي راجعة إلى السيوف المحدث عنها في البيت قبله، ويوم حليمة: يوم مشهور من أيام العرب، وهو اليوم الذى سار فيه المنذر لقتال الأعرج الغساني، والتجارب: جمع تجربة.

(٥)هذا بيت من الطويل لجبل بن جوال، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ١٣٢/٣٣ وشواهد التوضيح ١٣٢، والقيون: جمع قين وهو الحداد، وأخلصته : اختارته .

فأدخل (من)على أزمان أيضا ، وقول رجل من طيىء:

تنتهض الرعدة فى ظهيرى　　　من لـــدن الظهر إلى العصـــير [١]

فأدخل (من) على لدن الظهر ، وقول القاسم بن معن قاضى الكوفة:

إنــى زعــيم يــانـــو　　　يقـــة إن أمــنت مـــن الـــرزاح

ونجوت من عرض المنو　　　ن مـــن الغدو إلى الـــرواح [٢]

فأدخل (مِنْ) على الغدو، وقول بعض الطائيين:

من الان قد أزمعت حلماً فلن أرى　　　أعــازل خـوداً أو أذوق مدامـــا [٣]

فأدخل (مِنْ) على الآن، وقول الشاعر:

ألفت الهوى من حين ألفيت يافعاً　　　إلى الآن ممنـــوا بـــواش وعـــاذل [٤]

فأدخل (مِنْ) على حين، وقول الآخر:

ما زلت من يوم بنتم والها دنقا　　　ذا لوعة عيش من يبـلى بها عجـــب [٥]

فأدخل (مِنْ) على يوم

فهذه الكثرة الكاثرة من الشواهد الواردة فى القرآن، والحديث، والشعر تدحض رأى البصريين، وتناصر رأى الكوفيين فى استعمال (مِنْ) لابتداء الغاية فى

---

(١) هذا رجز لم أعثر على قائله وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٣٢، والهمع ١/ ١٢٥. ٢/ ١٩٩، والدر ١/ ١٧٤، ٢/ ٢٣٠، واللسان (نهض) ومعجم الشواهد ٤٧٨.

(٢) هذان بيتان من الكامل المجزوء للقاسم بن معن قاضى الكوفة، وهما من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٣٣، والأشمونى ١/ ٢٩٢، ومعجم الشواهد ٩٠.

وزعيم: أى كفيل، والرزاح: بضم الراء وكسرها: الهزال، وقوله: من الغدو إلى الرواح روى بدله الأشمونى ١/ ٢٩٢ من العشى إلى الصباح

(٣) هذا بيت من الطويل لم أقف على قائله وهو من الشواهد شرح التسهيل ٣/ ١٣٣، وشواهد التوضيح ١٣٢.

(٤) هذا بيت من الطويل لم أعثر على قائله، وهو من شواهد شرح التسهيل ٣/ ١٣٣وشواهد التوضيح ١٣٢، وألفيت: ألفاه (وجده)، وممنوا: أى مقدرا على.

(٥) هذا بيت من البسيط لم أقف على قائله، وهو من شواهد شرح التسهيل ٣//١٣٣ وشواهد التوضيح ١٣٢، وبنتم بعدتم، والوله: ذهاب العقل من شدة الوجد والدنف: المرض الملازم.

الزمان، ولا داعى للتأويل، فما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل.
قال أبو حيان فى الارتشاف ٤٤١/٢: "ومن معانيها ابتداء الغاية فى المكان نحو: خرجت من البصرة إلى الكوفة، ولا تكون لابتداء الغاية فى الزمان عند البصريين.

وقد كثر ذلك فى كلام العرب نثرها ونظمها، وقال به الكوفيون، والمبرد، وابن درستوية، وهو الصحيح، وتأويل كثرة وجوده ليس بجيد " اهـ .

وقال الرضى فى شرح الكافية ٣٢١/٢: " والظاهر مذهب الكوفيين إذ لا منع من مثل قولك: نمت من أول الليل إلى آخره، وصمت من أول الشهر إلى آخره، وهو كثير الاستعمال "اهـ .

(جـ)زعمه أن (مَعْ) الساكنة العين حرف، قال فى باب (مع) ٣٢٨- ٣٢٩٩: "اعلم أن (مع) تكون ساكنة العين، وتكون متحركتها، فإذا كانت متحركتهافهى اسم مضاف إلى ما بعدها منصوب على الظرفية وتنون، فيقال مع، وإذا سكنت عينها فهى إذ ذاك حرف جر معناه المصاحبة، والعامل فيها فعل، وما جرى مجراه كسائر حروف الجر، ولا يحكم فيها بحذف، ولا وزن، ولا يسأل عن بنائها لثبوت الحرفية فيها، ومما جاء منها حرفا قوله:

فريشى منكم وهواى معكم وإن كانت زيارتكم لماما [(١)]

فـ (معكم) هنا جار ومجرور متعلق بخبر (هواى)، لأنه مبتدأ تقديره:
وهواى كائن معكم، كما تقول: زيد من بنى تميم أى كائن أو مستقر "اهـ بتصرف
فمن خلال هذا النص ترى أن المالقى يزعم أن (مَعْ) الساكنة العين حرف، واستدل على ذلك بقول الشاعر فى البيت السابق.

(١) هذا بيت من الوافر نسبة سيبوية فى كتابه ٢٨٧/٣ هارون إلى الراعى، والحق أنه لجرير، وهو من شواهد ابن يعيش ١٢٨/٢،، ١٣٨/٥، والتصريح ٤٨/٢، ١٩٠، والأشمونى ٢٥٦/٢، و ديوان جرير ٥٠٦، ومعجم الشواهد ٣٥٥ والريش: اللباس الفاخر، أو المال ونحوه، ولماما: بكسر اللام وتخفيف الميم: وقتا بعد وقت.

ويرد: أن الساكنة العين اسم كحالها إذا كانت مفتوحة العين لا حرف، لأن معناها مبنية، ومعربة واحد، والمعنى الواحد لا يكون مستقلا، وغير مستقل و كلام سيبوية مشعر باسميتها غاية الأمر أنه يرى أن تسكين العين ضرورة قال سيبويه ٢٨٦/٣، ٢٨٧ك " وسألت الخليل عن (معكم) و(مع) لأى شيء نصبتها ؟

فقال: لأنها استعملت غير مضافة اسما كجميع، ووقعت نكرة، وذلك قولك: جاءا معا، وذهبا معا، وقد ذهب معا، وقد ذهب معه، ومن معه، صارت ظرفا، فجعلوها بمنزلة أمام، وقدام، قال الشاعر فجعلها كهل حين اضطر، وهو الراعى:

وريشى منكم وهواى معكم وإن كانت زيارتكم لماما "اهـ

فأنت ترى أن كلام سيبوية يشعر باسميه (مع) إذا كانت ساكنة العين لكنه يرى أن تسكين عينها ضرورة.

والحق أن تسكين عينها لغة ربيعة وغَنْم، [1] فهى عندهم مبنى على السكون، قيل: لجمودها للزومها الظرفية، وقيل: لتضمنها معني المصاحبة، وهو من المعانى التى حقها أن تؤدى بالحرف، وإن لم يوضع لها حرف كالإشارة، ونقل عن الكسائى أن ربيعة تقول: ذهبت مع أخيك، وجئت مع أبيك بالسكون، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

قال ابن مالك فى شرح التسهيل ٢٤١/٢، ٢٤٢: "وزعم قوم أن الساكن العين حرف، وليس بصحيح، لأن المعنى مع الحركة والسكون واحد فلا سبيل إلى الحرفية، وزعم النحاس أن النحويين مجمعون على أن الساكن العين حرف، وهذا منه عجب، لأن كلام سيبويه مشعر بلزوم الاسمية على كل حال، وأن الشاعر إنما سكنها اضطرارا" اهـ.

(١) راجع الارتشاف ٤٤٩/٢، والجنى الدانى ٣٠٥، ٣٠٦، والمغنى٣٣٣، والهمع ٢١٧/١ والتصريح ٤٧/٢، والأشمونى ٢٦٢/٢، والصبان ٣٦٥/٢.

خامسا: أنه قد ينكر سماع بعض المسائل النحوية مع ورودها فى كلام العرب.

ومن شواهد ذلك ما يلى:

(أ) زعمه أن (جلل) ليس لها فى كلام العرب إلا معنى الجواب قال ص ١٧٦: "اعلم أن (جلل) ليس لها فى كلام العرب إلا معنى الجواب خاصة يقول القائل: هل قام زيد، فتقول فى الجواب: جلل، ومعناها: نعم حكى ذلك الزجاج فى كتاب الشجرة فعلى هذا لا تعمل شيئا، إنما هى نائبة مناب الجمل الواقعة جوابا وهى بعد فى كلامهم قليلة الاستعمال" اهـ.

فنرى المالقى يزعم أن (جلل) لم تستعمل فى كلام العرب إلا حرف جواب بمعنى (نعم) وتابعه على ذلك المرادى فى الجنى الدانى ٤٣٢، ٤٣٣ قائلا: "جلل حرف من حروف الجواب بمعنى (نعم) ذكره صاحب رصف المبانى "ثم نقل نصه السابق برمته.

والحق أن (جلل) ترد فى كلام العرب - أيضا - اسما بمعنى الشىء العظيم، والصغير الهين، وهو من الأضداد فى كلام العرب.

ومن شواهد استعمالها فى الأمر العظيم قول الحارث بن وعلة:

قوم هم قتلـوا أميم أخى ... فإذا رميت يصيبنى سهمى

فلئن عفوت لأعفون جللاً ... ولئن سطوت لأوهنن عظمى[(١)].

وفى اللسان (جلل) يقال: منعت ذلك من جلل كذا وكذا، أى: من عظمه فى صدرى.

(١) هذا بيتان من الكامل للحارث بن وعلة، وهما من شواهد المغنى ١٢٠، والهمع ٧٢/٢، والدرر ٨٨/٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٢٠٤، والخزانة عرضا ٢٣/١٠ ط هارون، واللسان (جلل) ومعجم الشواهد ٣٧٢.

ومن شواهد استعمالها فى الأمر اليسير الهين قول امرىء القيس لما قتل أبوه:

بقتل بنى أسد ربهم ألا كل شىء سواه جلل[١].

أى: يسير هين، وقول لبيد بن ربيعة العامرى:

كل شىء ماخلا الله جلل والفتى يسعى ويلهيه الأمل[٢].

وقول زويهر بن الحرث الضبى:

وكان عميدنا وبيضة بيتنا فكل الذى لاقيت من بعده جلل[٣].

وفى حديث العباس قال يوم بدر: القتلى جلل ماعدا محمدا

أى هين يسير، وقال الأصعمى: يقال: هذا الأمر جلل

فى جنب هذا الأمر، أى صغير يسير.

كما ترد - أيضا - اسما بمعنى (أجل) كما قال جميل:

رسم دار وقفت فى طلله كدت أقضى الغداة من جلله[٤].

أى من أجله، ويقال: من عظمه فى عينى.

(١) هذا بيت من المتقارب لامرىء القيس، وهو من شواهد المغنى ١٢٠، والهمع ٧٢/٢ والدرر ٨٨/٢، والخزانة عرضا ٢٣/١٠ط هارون، والديوان ٢٦. واللسان (جلل).

(٢)هذا بيت من الرمل للبيد بن ربيعة العامرى، وهو من شواهد اللسان (جلل).

(٣) هذا بيت من الطويل لزويهر بن الحرث الضبى، وهو من شواهد اللسان (جلل).

(٤) هذا بيت من المنسرح مطلع قصيدة لجميل بن معمر العذرى، وهو من شواهد الخصائص ٢٨٥/١، ١٥٠/٣، والإنصاف ٣٧٨، وابن يعيش ٢٨/٣، ٧٩، ٥٢٩، والمغنى ١٢١، ١٢٦، ١٨٢، والتصريح ٢٣/٢، والهمع ٢٥٥/١، ٣٧/٢، ٢٧٢ وديوان جميل ١٨٧، واللسان (جلل).

الرسم: ماكان لاصقا بالأرض من آثار الدار كالرماد ونحوه.

والطلل: ما شخص من أثارها كالوتد، والأثافى، وكدت: جواب رب.

والغداة: ظرف بمعنى الضحوة، ومن جلله : فيه تفسيران أحدهما: يقال: فعلت ذلك من جلل كذا أى من عظمه فى صدرى، والآخر: يقال: فعلت ذلك من أجلك وجللك وجلالك.

وفى البيت شاهد آخر وهو جر (رسم) بـ (رب) المحذوفة، وهو شاذ فى الشعر.

في اللسان (جلل) "قال ابن سيده: أراد: رب رسم دار فأضمر رب وأعلمها فيما بعدها مضمرة، وقيل: من جللك أي من عظمتك.

وقالوا: فعلت ذلك من جللك أي من أجللك" اهـ

(ب) إنكاره سماع ذكر الخبر بعد (لولا) الامتناعية. قال ٢٩٤: "وقد اتفق الطائفتان أن (لولا) مركبة من (لو) التي هي حرف امتناع لامتناع، و(لا) النافية، وكل واحدة منهما باقية على بابها من المعنى الموضوعة له قبل التركيب هذا مع أن الخبر المبتدأ الذي زعموا أنه محذوف لم يسمع إظهاره في موضع من المواضع، فحكم به مع صحة تقدير الفعل في موضع (لا) والنطق به دونها" اهـ.

فنرى من خلال النص السابق أن المالقي أنكر سماع الخبر بعد لو لا الامتناعية والحق وروده في كلام العرب شعرا ونثرا، ومن شواهد وروده شعرا قول أبي عطاء السندي:

لولا أبوك ولو لا قبله عمر ألقت إليك معد بالمقاليد[(١)].

فعمر: مبتدأ، وقبله: خبر، وقول الزبير بن العوام:

ولو لا بنوها حولها لخبطتها كخبطة عصفور ولم أتلعثم[(٢)].

---

(١) هذا بيت من البسيط لأبي عطاء السندي يمدح ابن يزيد عمر بن هبيرة، وهو من شواهد شرح التسهيل ١/٢٧٧، والعيني ١/٥٦٠، وشواهد الجرجاوي على ابن عقيل ٤٠، وفتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل ٤٠، والمقاليد: جمع مقلد كمنبر وهو مفتاح كالمنجل، وقيل: إنه جمع إقليد بكسر الهمزة على غير قياس وهو المفتاح أيضا

(٢) هذا بيت من الطويل للزبير بن العوام حواري رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أي ناصره، وهو من شواهد شرح الألفية لابن الناظم ١٢٢، وتخليص الشواهد ١٧٩، والمغني ٤٣١، والعيني ١/٥٧١، ومعجم الشواهد ٣٦٠.

والضمير في بنوها: لزوجته أسماء بنت الصديق رضي الله عنهم، ولخبطتها أي ضربتها بالعضا، يقال: خبطت الشجرة إذا ضربتها بالعضا ليسقط ورقها، وتلعثم في الأمر: تمكث فيه وتأني.

(١) هذا بيت من البسيط لم أقف على قائلة، وهومن الشواهد التوضيح لابن مالك ٦٦، والأشموني

فبنوها: مبتدأ، وحولها: خبر، وقول الشاعر:

لولا زهير جفانى كنت منتصراً ولم أكن جانحاً للسلم إن جنحوا[(١)].

فزهير: مبتدأ، وجملة جفانى خبر، وقول الآخر:

لولا ابن أوس نأى ما ضيم صاحبه يوما ولا نابه وهن ولا حذر[(٢)].

فابن أوس: مبتدأ، وجملة: نأى خبره.

وقول امرأة فى عهد عمر بن الخطاب:

فو الله لو لا الله وتخشى عواقبه لزعزع من هذا السرير جوانبه[(٣)].

فالله: مبتدأ، وتخش: خبر.

وقول المعرى فى صفه سيف:

يذيب الرعب منه كل عضب فلو لا الغمد يمسكه لسالا[(٤)].

٤/ ٥٠، وشرح شواهد ابن عقيل للجر جاوى ٤٢، ومعجم الشواهد ٨٥.

(٢) هذا بيت من البسيط لم أعثر على قائله، وهو من شواهد التوضيح لابن مالك ٦٦، والأشمونى ٤/ ٥٠، ولم يتصل إلى عجزه المرحوم الشيخ عبد السلام هارون فى معجمه، بل ذكر صدره فقط نقلا عن الأشمونى فى باب اللام ٥٧٨.

(٣) هذا بيت من الطويل لامرأة فى عهد عمر بن الخطاب، وهو من شواهد سر صناعة الإعراب لابن جنى ٣٩٤، وابن يعيش ٩/ ٢٣، والمغنى ٢٧٣، وشرح أبيات مغنى اللبيب البغدادى ٥/ ١٢٢، والخزانة عرضا ١٠/ ٣٣٣ط هارون واللسان (زعع) ومعجم الشواهد ٤١. ورواية البيت فى سر صناعة الإعراب لابن جنى، وابن يعيش، والخزانة هكذا.

فو الله لولا الله لاشىء غيره لزعزع من هذا السرير جوانبه

وفى البيت شاهد آخر، وهو أن اللام الواقعة فى جواب لو لا إنما هى جوانب القسم

(٤) هذا بيت من الوافر لأبى العلاء المعرى، وليس ذكره للاستشهاد بل للتمثيل؛ لأن المعرى لا يحتج بشعره، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٢٧٦، وشرح الألفية لابن الناظم ١٢٢، والمغنى ٢٧٣، ٥٤٢، والتصريح ١/ ١٧٩، والهمع ١/ ١٠٤ والدرر ١/ ٧٧، والأشمونى ١/ ٢١٥.

والعضب: السيف القاطع، والغمد: غلاف السيف

والمعنى: أن سيف الممدوح نهاية السيوف كما أن هذا الممدوح نهاية الرجال حتى إن السيوف يذوب حديدها، فلو لا أن أغمادها تمسكها لسالت.

وخرج الجمهور بيت المعرى بعدة تخريجات منها: أن يمسكه بدل اشتمال على أن الأصل أن يمسكه ثم حذفت أن وارتفع الفعل، ومنها: أن تقدير يمسكه جملة معترضة، ومنها أن التقدير: لو لا إمساك غمده لسالا أي موجود، ومنها أن الخبير ذكر مع كونه واجب الحذف دفعا لايهام تعليق الامتناع على نفس الغمد بطريق المجاز.

(١)فى الآية ٨٣ من سورة النساء.

فالغمد: مبتدأ، وجملة يمسكه: خبر وقد خطأه بعض النحويين وهو بالخطأ أولى وخرج بيت المعرى المالقى على أن يمسكه حال قائلا: ٢٩٤، ٢٩٥:

"وأما تلحين بعضهم المعرى فى قوله........ فليس يمسكه عندى خبر الغمد ولكنه حال" اهـ بتصرف.

وهذا تخريج مردود بنقل الأخفش أنهم لا يذكرون الحال بعدها، لأنه خبر فى المعتى، وأما حكاية بعضهم: (لو لا رأسك مدهونا) فشاذة لا يعول عليها.

ومن شواهد وروده نثرا قوله تعالى: (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان)[١].

وقوله تعالى: (ولو لا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة عنهم أن يضلوك)[٢].

قال ابن الشجرى فى أماليه ٢/ ٥١٠: "وأقول إن خبر المبتدأ قد ظهر" ثم ذكر الآيتين السابقتين.

وقول النبى صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخارى فى صحيحه: "ياعائشة لو لا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين"[٣].

ويروى: حديث عهدهم بكفر. فهذا الحديث تضمن ثبوت خبر المبتدأ بعد لولا، وروى البخارى - أيضا - فى صحيحه قول عبد الرحمن بن الحارث لأبى هريرة: (إنى ذاكر لك أمرا ولو لا مروان أقسم على فيه لم أذكره لك)[٤].

(٢) فى الاية ١١٣ من سورة النساء.

(٣) راجع الحديث فى صحيح البخارى ٢/ ١٨٠ طبعة الشعب، وإرشاد السارى ١/ ٢٨٧.

(٤) راجع الحديث فى البخارى كتاب الصوم حديث ٢٢، وشواهد التوضيح ٦٦.

(١) راجع الخلاف فى شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٢٧٦، وشواهد التوضيح ٦٥ - ٦٦.=

فهذه الشواهد السابقة تؤكد سماع ثبوت الخبر بعد لو لا، وهو الحق الذى لا محيد عنه، وشواهده كفلق الصبح.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن النحاة اختلفوا فى ذكر الخبر بعد لو لا علي مذهبين:

(أ) ذهب الرمانى، والشلوبين، وابن الشجرى[١]، وابن مالك إلى أن الخبر بعد لو لا نوعان: كون مطلق، وكون مقيد، فإن كان كونا مطلقا وجب حذفه كقوله تعالى: (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)[٢] أى موجود فحذف موجود وجوبا للعلم به، وسد الجواب مسده

وإن كان كونا مقيدا، فإما أن يدل عليه دليل أولا، فإن لم يدل عليه دليل وجب ذكره نحو: لو لا زيد غائب لم أزرك، ولو لا عمرو عندنا لهلك فخبر هذا النوع واجب الثبوت، لأن معناه يجهل عند حذفه، وإن دل عليه دليل جاز إثباته نحو: لولا أنصار زيد حموه ما سلم، فحموه: خبر مفهوم المعنى فيجوز إثباته وحذفه.

(ب) وذهب الجمهور إلي أن الخبر بعد لو لا واجب الحذف مطلقا بناء على أنه لا يكون إلا كونا مطلقا، فإذا ورد ما يخالف ذلك فيؤول بجعل الكون الخاص مبتدأ، والخبر محذوف، فيقولون مثلا فى قول أبى عطاء السندى السابق. لولا سبقه عمرو قد ظلم الناس في ولايته، أو أن قبله متعلق بمحذوف حال لا خبر، بل الخبر محذوف أى ولولا عمر قد ظلم الناس فى ولايته حالة كونه سابقا قبله.

= والجنى الدانى ٥٩٩ - ٦٠١، والمغنى ٢٧٣، ٢٧٤، والتصريح ١٧٨/١ - ١٧٩، والأشمونى ٢١٥/١، ٢١٦.

(٢) فى الآية ٢٥١ من سورة البقرة.

ويرد على التخريج الأول في البيت: بأن ما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل، فالأصل عدم التأويل.

ويرد على التخريج الثانى: بأنه تكلف لا حاجة له، وأن الأخفش حكى عن العرب أنهم لا يأتون بعد الاسم الواقع بعد لو لا الامتناعية بالحال.

وتأول ابن هشام في المغنى ردا على ابن الشجرى ٢٧٣ قائلاً: "وزعم ابن الشجرى أن من ذكره (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) وهذا غير متعين لجواز تعلق الظرف بالفضل) اهـ.

كما تأول ابن أبى الربيع قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (لو لا قومك حديث عهد بكفر لأقمت البيت) على أن حديث عهدهم: مبتدأ وخبر، وهى جملة مقدمة من تأخير، والتقدير: لو لا قومك لأقمت البيت على قواعد إبراهيم، ثم قال: عهدهم بالكفر حديث قال: "على أن هذه الرواية لم أرها من طريق صحيح، والروايات المشهورة فى ذلك: لو لا حدثان قومك، ولو لا حداثة قومك، ولو لا أن قومك حديثو عهد بجاهلية ونحو ذلك"[١].

ويرد عليهما: أن ما لايحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل فطالما أن خبر المبتدأ الواقع بعد لو لا قد ظهر فى أكثر من شاهد نحوى فلا داعى للتأويل. وأما إسقاط ابن أبى الربيع الاستدلال بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. زاعما أن هناك روايات مشهورة غير الرواية المذكورة فيرد عليه:

بأن الحديث السابق ورد فى صحيح البخارى، وهو من أصح الكتب الستة

(١) راجع الاقتراح ٥٢ - ٥٥.

- كما أجمع على ذلك العلماء - بعد كتاب اللهَ تعالى، وقد استشهد به الناظم فى شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح.

وتابع أبو حيان ابن أبى الربيع وشيخه ابن الضائع فى عدم الاستشهاد بالأحاديث النبوية على الأحكام النحوية، واعترض كثيرا على الناظم فى استشهاده زاعما أنه قد يرويها من لايوثق بعربيته، كما اعترض على الحديث السابق أيضا - السيوطى فى الهمع ١/١٠٥ قائلاً: "قلت: والظاهر أن الحديث حرفته الرواة بدليل أن فى بعض رواياته: لو لا حدثان قومك، وهذا جار على القاعدة وقد بينت فى كتاب أصول[١] النحو من كلام ابن الضائع، وأبى حيان أنه لا يستدل بالحديث على ما خالف القواعد النحوية، لأنه مروى بالمعنى لا بلفظ الرسول، والأحاديث رواها العجم، والمولدون لا من يحسن العربية فأدوها على قدر ألسنتهم" اهـ.

ويرد عليهم كما نقل الصبان ١/ ٢١٦ عن ابن خلدون: "بأنها على تسليم أنها لا تفيد القطع بالأحكام النحوية تفيد غلبة الظن بها، لأن الزصل عدم التبديل لاسيما، والتشديد فى ضبط ألفاظها، والتحرى فى نقلها بأعيانها مما شاع بين الرواة، والقائلون منهم بجوار الرواية بالمعنى معترفون بأنها خلاف الأولى وغلبة الظن كافية فى مثل تلك الأحكام الشرعية، فلا يؤثر فيها الاحتمال المخالف للظاهر،وبأن الخلاف في جواز النقل بالمعنى فى غير ما يدون فى كتب أما ما دون فلا يجوز تبديل ألفاظه بلا خلاف كما قاله ابن الصلاح، وتدوين الأحاديث وقع فى الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية، وحين كان كلام أولئك

(١) هذا بيت من الكامل لم أعثر على قائله، وهو من شواهد المغني ٢٧٦، والتصريح ٢/٢٦٣، والأشمونى ٤/ ٥٠، وذكر الأشمونى (لو لا) بدلا من (لو ما) ولعله تحريف، قال ابن هشام فى=

المبدلين على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به، وغايته يومئذ تبديل لفظ يحتج به بآخر كذلك تم دون ذلك البدل، ومنع من تغييره، ونقله بالمعنى، فبقى حجة فى بابه صحيحة، ولا يضر توهم ذلك الاحتمال السابق فى استدلاهم المتأخر" اهـ.

(جـ) ادعاؤه أن (لوما) لم ترد فى كلام العرب إلا لمعنى التخصيص. قال: ٢٩٧ "اعلم أن (لوما) لم تجىء فى كلام العرب إلا لمعنى التخصيص، تقول لوما يقوم زيد، كما تقول: لو لا يقوم زيد، وهلا يقوم زيد" اهـ.

فأنت تراه قصر (لوما) على استعمال واحد فقط زاعما أنها لم ترد فى كلام العرب إلا للتخصيص.

والحق أنها وردت - أيضا - فى كلام العرب للامتناع كقول الشاعر:

لوما الإصاخة للوشاة لكان لى ... من بعد سخطك فى رضاك رجاء[1].

وقد نبه على الاستعمالين السابقين كثير من النحاة كالزمخشرى وابن يعيش ٨/ ١٤٥ وابن مالك فى شرح التشهيل ٤/١١٣، والمرادى فى الجنى الدانى ٦٠٨، وابن هشام فى المغنى ٢٧٦. ولعل المالقى تأثر بالرمانى ت ٣٨٤ هـ - وإن لم يصرح بذلك - حيث لم يذكر لها إلا استعمالا واحدا، وهو التخصيص، قال فى كتابه معانى الحروف ١٢٤: "لوما، وهى من الحروف الهوامل، ومعناها التخصيص، وهى مركبة من (لو)، و(ما) تقول: لو ما أكرمت زيدا، ولو ما أحسنت إلي عمر، وقال الله تعالى: (لوما تأتينا بالملائكة)[1]

= المغني ٢٧٦: " (لو ما) بمنزله (لو لا) تقول: لو ما زيد لأكرمتك، وفى التنزيل (لو ما تأتينا بالملائكة، وزعم المالقى أنها لم تأت إلا للتخصيص، ويرده قول الشاعر:
لو ما الإصاخة للوشاة لكان لى.... من بعد سخطك فى رضاك رجاء" اهـ
(١) فى الأية ٧ من سورة الحجر.

بمعنى هلا، ولا يليها إلا الفعل مظهرا، أو مضمرا على ما تقدم في لو لا" اهـ.

(د) زعمه أن إبدال لام التعريف ميما لم ترد إلا في حديث النمر بن تولب قال في ٣٠٩: "الموضع الثالث: أن تكون بدلا من لام التعريف، ولم يأت ذلك فيما أعلم إلا ماروى عن النمر بن تولب، قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (ليس من امبرامصيام في امسفر)(٢) المعنى: ليس من البر الصيام في السفر. قال بعض المحدثين: لم يرو النمر بن تولب عن النبي – صلى الله عليه وسلم – غير هذا الحديث، فهو من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه" اهـ.

فمن خلال هذا النص ترى أن المالقي يزعم أنه لم يرد عن العرب إبدال لام التعريف ميما إلا في الحديث السابق، وهو متأثر بكلام ابن جني في سر الصناعة ٤٢٣ حيث قال: "وأما إبدالها من اللام فيروى أن النمر بن تولب حكى قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (ليس من امبرامصيام) في امسفر) يريد ليس من البر الصيام في السفر، فأبدل لام المعرفة ميما، ويقال: إن النمر لم يرو عن النبي – صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث إلا أنه شاذ لا يسوغ القياس عليه" اهـ.

فأنت ترى أن كلام المالقي هو نفس كلام ابن جني في نصه السابق حيث اتفقا على أن إبدال لا التعريف ميما شاذ لا يسوغ القياس عليه؛ لأنه لم يرد إلا في حديث النمر بن تولب. ويرد عليهما: أن ذلك لغة قوم بأعيانهم، ولا يصح

(١) راجع الحديث في البخاري كتاب الصوم باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لمن ظلل عليه ومسلم – أيضا – في كتاب الصوم باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر.
(٢) راجع معاني الحروف للرماني ٧١.

الحكم عليها بالشذوذ، ولا بالقلة، وقد رويت عن حمير كما في اللسان (سلم) وعن الأزد كما قال ثعلب في مجالسه ٥٨/١، وعن هذيل كما في معاني الحروف للرماني ٧١، وعن طيىء كما تخليص الشواهد لابن هشام ١٣١، وعن أهل اليمن كما في الجمهرة ٢٧٤/١.

كما يرد عليهما – أيضا – أنه وردت عدة شواهد أخر تدل على إبدال لام التعريف ميما المسماة بطمطمانية حمير، ومنها كما في اللسان (صقع) قوله عليه الصلاة والسلام: (من زنى من امبكر فاصقعوه مائة) ومن كلام أبي هريرة– رضي الله عنه – لما حوصر عثمان: (طاب امضرب وحل امتقال) [١] وفي اللسان (فرسك) قال شمر: (سمعت حميرية فصيحة سألتها عن بلادها، فقالت: النخل قل، ولكن عيشتنا امقمح، امفرسك، امنعب، امحاط، (التين) طوب (طيب)، فقلت: ما الفرسك؟ قالت: امتين عندكم، وسمع الأخفش من يقول: قام امرجل، يريد: الرجل، قال أبو العباس ثعلب في مجالسه ٥٨/١: " هذه لغة للأزد مشهورة".

وقال ذو الكلاع الحميري: (عليك امرأى وعلينا امفعال) [٢] أي عليك الرأي، وعلينا الفعال، وقال ابن دريد في الجمهرة ٢٧٤/١: (وكبار في وزن (فُعَّال) وهي لغة يمانية أهل اليمن يسمون الرجل الكبير كبارا وذو كباررجل منهم، وسمعت رجلا يقول: أم شيخ ام كبار ضرب رأسه بالعصو أي العصا، وقال بجير ابن عنمة الطائي:

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة ٩٦/٣.

ذاك خليلى وذو يعاتبني		يرمى ورائي بامسهم وامسلمه [١]

يريد: بالسهم والسلمة، و(ذو) بمعنى الذى فى لغتهم.

وقال بعض الطائيين:

أإن شمت من نجد بريقا تألقا		تبيت بليل ام أرمد اعتاد أولقا [٢]

يريد: بليل الإرمد، فجر (أرمد) بكسرة مع الميم كما يجريها مع اللام.

وقال سيف بن ذِى يزن الحميرى حين قاتل الحبشة كما فى اللسان (قمع):

قد علمت ذات امنطع		أنى إذا اموت كنع

أضربهم بذا امقلع		لا أتوقى بامجزع

اقتربوا قرف امقمع

---

(١) هذا بيت من المنسرح لبحير بن عنمة، وهو من شواهد معانى الحروف للرمانى ٧١، والقطر ١٥٨ وابن يعيش ١٧/٩، ٢٠، وتخليص الشواهد ١٢٩، وشرح شواهد الشافية للبغدادى ٤٥١، والمغنى ٤٨، والهمع ٧٩/١، والدر ٥٣/١، والأشمونى ١٥٧/١، ومعجم الشواهد ٣٣٨.

وهذا البيت ركب النحاة فيه صدر بيت على عجز آخرة، والأصل هكذا:

وإن مولاى ذو يعاتبنى		لا إحنه عنده ولا جرمه

ينصرنى منك، غير معتذر		يرمى ورائى بامسهم وامسلمه

والإحنة: الضغينة والحقد، والجرمة: هو الجزم والذنب، والمسلمه: بفتح السين، وكسر اللام، واحدة السلام، وهى الحجارة.

والمعنى: هذا الرجل يعانبنى، ويسلك طريق بقاء الود، يدافع عنى مرة بالسهام، ومرة بالسلام.

وفى البيت شاهد آخر وهو استعمال (ذو) بمعنى الذى على لغة طيىء.

(٢) هذا بيت من الطويل لم أقف على قائله، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ٤٢/١، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى ١٠٨/١ والهمع ٢٤/١، والدر ٧/١، والأشمونى ٩٦/١، ومعجم الشواهد ٢٤٢.

وشمت: بكسر الشين المعجمة أى نظرت، وبريقا: تصغير برق، وتألق:لمع والأولق: الجنون وقوله: بليل ام أرمد أى بليل الأرمد..

والشاهد فيه: فإن أرمد لا ينصرف، ولكن لمادخله الميم التى هى عوض اللام على لغة أهل اليمن انجر بالكسرة، كما ينجر فيما إذا دخله اللام.

أراد الراجز: ذات النطع، وإذا الموت كنع، وبذا القلع، فأبدل من لام المعرفة ميما، وهو من ذلك، ونصب (قرف)؛لأنه أراد: يا قرف أى أنتم كذلك فى الوسخ والذل

وكما هو واضح من الشواهد السابقة تستوى أل الشمسية والقمرية قال ابن هشام فى المغنى ٤٩: " وقل: إن هذه اللغة مختصة بالأسماء التى لا تدغم لام التعريف فى أولها نحو : غلام، وكتاب، بخلاف رجل وناس ولباس، وحكى لنا بعض طلبة أهل اليمن أنه سمع فى بلادهم من يقول: خذ الرمح، واركب امفرس، ولعل ذلك لغة لبعضهم لا لجميعهم ألا ترى إلى البيت السابق، وأنها فى الحديث دخلت على النوعين "اهـ .

يقصد ابن هشام بالبيت السابق قول بجير بن عنمة الطائي السابق ذكره ويعنى بالحديث الذى رواه النمر بن تولب، قال الرمانى فى معانى الحروف ٧١: "وفى الحديث: ليس من امبرامصيام فى امفسر) يريد: ليس من البر الصيام فى السفر، وقد رواه قوم هكذا، وهذا لا يكون تناقضا؛ لأن النبى- صلى الله علبيه وسلم- كان يكلم كل قوم بلغتهم، فيجوز أنه خاطب قوما هكذا، وخاطب الآخرين على الوجه الآخر "اهـ.

(هـ) توهمه أن عنعنة تميم خاصة بإبدال همزة (أن) عينا، قال: ٣٧٠ "الموضع الثالث: أن تكون بمعنى(أنْ) وهى لغة لبنى تميم يقولون فى أعجبنى أن تقوم: أعجبنى عن تقوم، وكذلك قال بعضهم: إن غيما انفردوا بالعنعنة يعنى أنها تقول فى موضع (أن): (عن)... ولا يعقلون ذلك فى غير (أن) فاعمله "اهـ بتصرف.

فأنت تراه قصر العنعنة على قبيلة تميم فقط التى تبدل همزة (أنْ) عينا مع أن سماع العنعنة ورد أيضا عن قيس، وأسد ومن جاورهم، كما ورد سماع العنعنة- أيضا- مع (أنَّ) المشددة. وفى تهذيب اللغة ١/١١١ نقلا عن الفراء: :لغة قريش ومن جاورهم (أن) وتميم، وقيس، وأسد، ومن جاورهم يجعلون ألف (أنَّ) إذا كانت مفتوحة عينا يقولون: (أشهد عنك رسول الله،فإذا كسروارجعوا إلى الألف "اهـ، وقال ثعلب فى مجالسه ١٠٠، "فأما عنعنة تميم، فإن تميما تقول فى موضع (أنَّ) عنَّ، تقول: عن عبد الله قائم "اهـ.

وقال ابن عيش فى شرح المفصل ١٤٩/٨: "هذه لغة لتميم، وأسد يبدلون من الهمزة المفتوحة عينا، وذلك فى (أنْ، وأنْ) خاصة، إيثاراً للتخفيف لكثرة استعمالها، وطولهما بالصلة، قالوا: أشهد عن محمداً رسول الله، ولا يجوز مثل ذلك فى المكسورة "اهـ.

سادسا: أنه- أثناء حديثه عن الحروف المفردة- استطراد بذكر أقسام ليست من حروف المعانى

عنوان كتاب المالقى فى معانى الحروف هو (رصف المبانى فى شرح حروف المعانى) فأنت ترى من خلال عنوان هذا الكتاب أنه خاص بشرح حروف المعانى ومع ذلك لم يقصره المالقى على حروف المعانى، بل استطرد عند حديثه عن الحروف المفردة بذكر أقسام ليست من حروف المعانى.

وقد عثرت له على تسعة أحرف استطرد فيها وهى:

١- الاستطرد الأول:- فى (الألف من ١٠- ٣٧).

قسم المالقى الألف قسمين:

(أ) قسم أصل: وذكرله ثلاثة عشر موضعا، وهى الألف الكافة نحو: بينا زيد قائم أقبل عمرو، وألف الإشباع، وألف التأنيث نحو: حبلى، وألف التثنية التى على لغة أكلونى البراغيث نحو: ضربا الزيدان، وألف المثنى نحو: زيدان، وألف التذكر، نحو: أينا: تريد: أين أنت؟ فحذفت أنت اختصارا، وبقيت الألف مذكرة للمحذوف، دالة عليه، وألف الوقف نحو: حيهلا بمعنى أقبل، وألف الفصل بين نونى التوكيد، ونون ضمير جمع المؤنث نحو: اضربنان زيدا، وألف الندبة، نحو: يا زيداه، وألف القوافى المطلقة والألف التى تكون فى رؤوس الآيات، نحو: (وتظنون بالله الظنونا) [١] (فأضلونا السبيلا) [٢] (وأطعنا الرسولا) [٣]، وألف الاستثبات بـ (مَنْ) فى آخرها عند الوقف إذا كانت فى موضع نصب نحو قولك: إذا قيل لك: رأيت رجلا منا، وألف العوض عن ضمة أول المصغر إذا كان موصولا، أو اسم إشارة، نحو: اللذيا، واللتيا، وذيا، وتيا وألف الإنكار إذا كان قبلها مفتوح غير منون، نحو قولك: إذا أنكرت: رأيت أحمد: أأحمداه.

فهذا القسم لا يوجد فيه من حروف المعانى إلا الألف الكافة، وألف التثنية التى على لغة أكلونى البراغيث، والألف الفاصلة بين نون التوكيد، ونون الإناث وألف الندبة، وما سوي ذلك فليس من حروف المعانى.

(ب) قسم بدل من أصل: وذكر له ثلاثة مواضع وهي: الألف المبدلة من النون الخفيفة فى الوقف، نحو قولك: اضربن زيدا، إذا وقفت عليها أبدلتها ألفا فقلت: اضربا، والألف المبدلة من تنوين المنصوب نحو قولك فى رأيت زيدا

(١) فى الآية ١٠ من سورة الأحزاب.
(٢) فى الآية ٦٧ من سورة الأحزاب.
(٣) فى الاية ٦٦ من سورة الأحزاب.

عند الوقف: رأيت زيدا، والألف المبدلة من ياء الإلحاق نحو: علقى ومعزى، وهما ملحقان بجعفر، وهجرع (الأحمق).

وهذا القسم ليس فيه من حروف المعانى إلا الألف المبدلة من نون التوكيد الخفيفة، والألف المبدلة من تنوين المنصوب.

قال المرادى فى الجنى ١٧٧، ١٧٨ك " وما سوى هذه الأقسام فليس بحرف معنى، كألف التأنيث، وألف الإطلاق، وألف الإلحاق، وألف التثنية، وألف التكسير، والألف الفاصلة بين الهمزتين... وألف الأشباع... والألف الزائدة فى الوقف لبيان الحركة، وذلك ألف (أنا)على مذهب البصريين، والألف المزيدة فى آخر المبهمات إذا صغرت عوضا عن ضم أولها نحو: ذيا، واللذيا، والألف التى تلحق (من) فى الاستثبات حال النصب، نحو: منا لمن قال: رأيت رجلا.

فهذه الأقسام العشرة لا ينبغى أن يعد منها شىء فى حروف المعانى. وفى بعض الأقسام المتقدمة قبل هذه نظر "اهـ بتصرف.

وقال ابن هشام فى المغنى ٣٧٠: عن ألف الإنكار، وألف التذكر "وقد مضى أن التحقيق أن لا يعد هذان"اهـ وقال أيضا ٣٧٢: "ولا يجوز أن تعد الألف المبدلة من نون (إذن)، ولا ألف التكثير كألف قبعثرى، ولا ألف التأنيث كألف حبلى، ولا ألف الإلحاق كألف أرطى،ولا ألف الإطلاق... ولا ألف التثنية كالزيدان، ولا ألف الإشباع الواقعة فى الحكاية نحو: (منا)، أو غيرها من الضرورة.. ولا الألف التى تبين بها الحركة فى الوقف، وهى ألف (أنا) عند البصريين، ولا ألف التصغير، نحو: ذيا، واللذيا، لما قدمنا"اهـ بتصرف.

٢- الاستطراد الثانى: فى الهمزة المفردة من ٣٨- ٥٨)

قسم المالقى الهمزة المفردة قسمين:

(أ) قسم أصل: وذكر لها ثلاثة عشر موضعا، وهى همزة الوصل، وتكون فى الأسماء والأفعال، والحروف، وهمزة الاستفهام، نحو: أزيد قائم، وأقام زيد؟ وهمزة الإيجاب نحو قوله تعالى: (أتجعل فيها من يفسد فيها) [١] وهمزة التسوية كقولك: سواء على أقمت أم قعدت، وهمزة التقرير نحو قولك أأنت رأيتنى أقوم، وهمزة التوبيخ، كقوله تعالى:(ألم نربك فينا وليدا) [٢] وهمزة المضارع، وهمزة التعدية لواحد، نحو: ألقيت ما فى يدى، ولاثنين نحو: ألفيت زيدا قائما، ولثلاثة نحو: أعلمت زيدا عمرا قائما، وهمزة النقل، نحو: لاح البرق وألاح، وهمزة التعدية والنقل معا، نحو: قام زيد، وأقمت زيدا وهمزة النداء نحو: أزيد أقبل، والهمزة المعاقبة لحرف القسم نحو قولهم: الله لأفعلن، والله لأفعلن، وهمزة الإنكار التى فى أول الكلمة كقولك فى نحو جاء زيد: أزيد نيه.

فهذا القسم لا يصلح فيه من حروف المعانى إلا موضعان فقط، وهما الموضع الثانى وهو: همزة الاستفهام، والموضع الحادى عشر، وهو همزة النداء، أما الموضع الثالث وهو همزة الإيجاب، والموضع الرابع وهو همزة التسوية، والموضع الخامس، وهو همزة التقرير، والموضع السادس، وهو همزة التوبيخ فكان الأحرى أن تذكر هذه المواضع كلها تحت همزة الاستفهام، وتكون من باب خروج الاستفهام عن معناه الحقيقى، كما صنع ابن هشام فى المغنى قائلاً "فصل قد تخرج عن الاستفهام الحقيقى فترد لثمانية معان "اهـ.

(ب) قسم بدل من أصل، وقسمه ثلاثة أقسام:

---

(١) فى الآية ٣٠ من سورة البقرة.

(٢) فى الاية ١٨ من سورة الشعراء.

١- قسم بدل من ألف، وذكر له خمسة مواضع، وهى: ألف التأنيث المقصورة نحو: حبلى، والألف المبنية للتأنيث فى الضمائر عند الوقف خاصة كقول من يقول فى هو يضر بها إذا وقف يضربها، والألف المبدلة من التنوين نحو: رأيت فرسا، وألف التأنيث الممدودة نحو: حمراء،وألف الإلحاق، نحو: علباء وقرفاء الملحقين بسرداح، وفسطاط.

٢- وقسم بدل من واو، وهو فى المفرد إذا جمع نحو: حلائب جمع حلوبة.

٣- وقسم بدل من ياء (فعلية) إذا جمع على -فعائل)، نحو: كتيبة وكتائب. وكل ما ذكره من هذا القسم ليس من حروف المعانى.

قال المرادى فى الجنى الدانى ٣٠: "الهمزة حرف مهمل يكون للاستفهام وللنداء، وما عدا هذين من أقسام الهمزة فليس من حروف المعانى "اهـ .

٣- الاستطراد الثالث: فى (التاء من ١٥٨- ١٧٣)

قسم المالقى التاء قسمين:

(أ) قسم أصل: وذكر لها أربعة مواضع: الموضع الأول: تاء المضارعة.

والموضع الثانى: تاء التأنيث، وهى على ثلاثة أقسام:

١- قسم فى الاسم، وهو نوعان:

النوع الأول: اسم مفرد، وذكر له سبعة معان، وهى: المعنى الأول: الفرق بين المذكر والمؤنث، نحو: امرىء وامرأة، أو بين الصفة والموصوف، نحو: قائم وقائمة أو بين المفرد، واسم الجمع، نحو: وردة، وورد، أو بين اسم الجمع والمفرد نحو: كمء، كمأة، أو بين المفرد والجمع، نحو: بقال: وبقالة. والمعنى الثانى: التوكيد فى الصفة للمبالغة نحو: نسابة للعالم النسب، وفي الجمع نحو: جارة، وفي التأنيث

(١) فى الآية ٤٤ من سورة مريم.

نحو: شاة، وبقرة. والمعنى الثالث النسب نحو: المهالبة فى المنوين للمهلب، والمعنى الرابع: العجمة، نحو: موازجة، والمعنى الخامس: تأنيث اللفظ، نحو: عرفة، والمعنى السادس: العوض من فاء الكلمة، نحو: وعد عدة، أو من عينها نحو: أعاد إعادة، أو من ياء الجمع نحو: فرازنة والأصل: فرازين جمع فرزان، أو من ياء االإضافة نحو قوله تعالى: (يا أبت لا تعبد الشيطان)(١)؛ لأنها لا تجمع معها فى هذه المواضع.

والمعنى السابع: الإقحام.

والنوع الثانى: اسم مجموع، والتاء قد تكون فى مذكرة نحو: حمامات، وقد تكون في مؤنثه نحو: هندات.

٢- وقسم فى الفعل، نحو: قامت: هند.

٣- وقسم فى الحرف: وذكر له ثلاثة ألفاظ فقط، وهى (رب) فى قولهم:

ربتما فعلت، و(ثم) فى قولهم: ثمت قمت، و(لات) فى قولك: لات حين خروج. ويزاد لها رابع، وهو (لعلت) كما فى فى الجنى الدانى ٥٨.

والموضع الثالث من مواضع التاء: تاء الخطاب، نحو: أنت، وأنت، وأنتما، وأنتم، وأنتن.

والموضع الرابع: التاء الزائدة فى نحو: (تفاعل) كتضارب، و(تفعّل) كتعلم، و(افتعل) كاكتسب، و(استفعل) كاستخرج.

فهذا القسم ليس فيه من حروف المعانى سوى تاء التأنيث التى تلحق الأفعال والحروف، وتاء الخطاب اللاحقة للضمير المرفوع المنفصل.

وأما تاء التأنيث التى تلحق الاسم، وتاء المضارعة، والتاء الزائدة فى الصيغ السابقة، فلا تعد هذه الأقسام الثلاثة من حروف المعانى.

(ب)وقسم بدل من أصل: وذكر له موضعين: وهما: التاء التى هى يدل من واو القسم، نحو قولك: تا لله لأضربن، والأصل: والله لأضربن. والتاء التى هى بدل من همزة الوصل الداخلة على الآن، نحو قولهم فيما حكى أبو زيد: حسبك تلان: يريد: الآن.

وهذا القسم ليس فيه من حروف المعانى سوى الموضع الأول فقط وهو تاء القسم التى هى حرف من حروف الجر.

قال المرادى فى الجنى الدانى ٥٦: "التاء حرف يكون عاملا، وغير عامل، وأقسامه ثلاثة: تاء القسم، وتاء التأنيث، وتاء الخطاب، وما سوى هذه الأقسام فليس من حروف المعانى "اهـ.

وقال عن تاء التأنيث اللاحقة للاسم ٥٨: "وأما تاء التأنيث التى تلحق الاسم فلا تعد من حروف المعانى "اهـ، وقال رضى الدين الفازانى عن معانى التاء:

١-جاءت معانى التاء فيما حققوا ثلاثة لا غير عنهم فافهم

٢- تاء خطاب ألحقت بمضمر وتاء تأنيث، وتاء القسم

٤- الاستطراد الرابع: (باب الميم المفردة من ٣٠٣- ٣٠٩):

قسم المالقى الميم المفردة قسمين:

(أ) قسم أصل: وذكر له ثلاثة مواضع:

الأول: أن تكون الميم زائدة فى أول الكلمة، وذلك فى الأسماء لا غير مثل: مفتاح.

والثانى: أن تكون زائدة فى بناء الكلمة بين حروفها كقولهم: هرماس للأسد.

والثالث: أن تكون فى آخر الكلمة، وحصرها المالقى فى ثلاثة أنواع وهى:

أن تكون زائدة لغير علة، بل لبناء الكلمة، نحو قولهم: حلقوم من الحلق.

وأن تكون فى لفظ الجلالة عوضا من (يا) التى للنداء؛ كقولهم فى الدعاء: اللهم اغفرلنا وارحمنا معنا: يا الله. وأن تكون فى آخر الكلمة للتكثير، كقولهم: شدقم لكبير الشدق، وزرقم للكثير الزرقة.

(ب) وقسم بدل من أصل: وذكر له- أيضا ثلاثة مواضع، وهى: أن تكون بدلا من التنوين إذا التقى مع الياء فى كلمة أخرى نحو قولك: (عليم بذات الصدور)[١]. وأن تكون بدلا من النون فى نفس الكلمة، أو فى آخرها إذا اتصلت بها ياء أيضا فى نفس الكلمة، أو من كلمة أخرى فالتى هى فى نفس الكلمة نحو: عمبر فى : عنبر، والتى فى آخر الكلمة مع الباء من كلمة أخرى نحو قولك فى (من بعد) مم بعد. وأن تكون بدلا من لام التعريف، كما ورد فى حديث النمر بن تولب، قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: (ليس من امبرامصيام فى امسفر) أى ليس من البر الصيام فى السفر.

وكلا القسمين ليسا من حروف المعانى، ولذلك لم يذكر ابن هشام فى المغنى ٣٩٦ شيئا عن الميم المفردة، بل تحدث مباشرة عن (ما) قائلا: "حرف الميم (ما) تأتى على وجهين: اسمية وحرفية، وكل منهما ثلاثة أقسام ؛اهـ.

وقال المرادى فى الجنى الدانى عن الميم التى هى بدل من لام التعريف: ١٤٠ "قلت: فى عد هذه الميم من حروف المعانى نظر؛ لأنها بدل لا أصل، وأيضا فإن هذا مبنى على القول بأن حرف التعريف أحادى، والهمزة غير معتد بها وذكر أبو البقاء أن الميم فى (أنتم) حرف معنى "اهـ.

(١) فى الآية من سورة الأنفال.

٥- الاستطراد الخامس: فى (باب النون المفردة من ٣٢٩ - ٣٦٣)

قسم المالقى النون المفردة قسمين:

(أ)قسم فى صيغة الكلمة، وذكر له موضعين، وهما: نون الضمارعة، مثل: نضرب. والنون التى تكون فى بنية الكلمة من لفظها، وتزاد فى الأسماء أولا نحو: نبراس وثانية: نحو: قنعاس، وثالثةنحو: جحنفل، ورابعة نحو: ضيفن، وخامسة نحو: غضبان، وسادسة نحو: زعفران، وسابعة نحو: قرعبلانة. كما تزاد فى الأفعال فى (انفعل)و(افعنلل) وما تصرف منهما.

وهذا القسم بموضعيه ليس من حروف المعانى.

(ب) وقسم هى زائدة على صيغة الكلمة، وذكر له ستة مواضع وهى:

نون الإناث فى الفعل المسند إلى الظاهر على لغة (أكلونى البراغيث)نحو: ضربن الهندات، ونون التوكيد الخفيفة، والثقيلة نحو: اضربن، ونون الرفع التى فى الأفعال الخمسة نحو: الزيدان يضربان، والنون التى تلحق اخر المثنى، وجمع مذكر السالم، وأن تكون تنوينا، وذكر له خمسة معان، وهى: تنوين التمكين، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة، وتنوين العوض، وتنوين الترنم، وصرح بأن الأخفش زاد تنوينا سادسا، وسماه الغالى وأرجعه المالقى إلى تنوين الترنم، كما وضح بأن بعض المتأخرين زاد تنوينا سابعا، وهو تنوين الضرورة، ورده المالقى إلى تنوين التمكين. ونون الوقاية، وذكر لها قسمين: قسم تلزم الكلمة وهى اللاحقة للأفعال الماضية والمضارعة، والتى للأمر، واللاحقة - أيضا - لإن، وأن، كأن، ولكن وليت، ومن، وعن. وقسم يجوز أن تلحق الكلمة، وألا تلحقها، وذلك مع (لدن) و(قد) و(قط) بمعنى حسب، و(لعل) والفعل المضارع المعرب بالنون.

وهذا القسم يوجد فيه أربعة مواضع من حروف المعانى وهى: الموضع الأول
والثانى، والخامس، والسادس، أما الموضع الثانى والثالث فليسا من حروف
المعانى.

ولذلك اقتصر المرادى فى الجنى الدانى على أربعة أقسام فقط للنون المفردة
التى تعد من حروف المعانى، وهى: نون التوكيد، والتنوين، ونون الإناث أو نون
الوقاية، قال ١٤١ك " النون له فى الكلام مواضع كثيرة وإنما هنا أقسام النون
الذى يعد من حروف المعانى وهى أربعة أقسام "اهـ.

وتابعه ابن هشام فى المغنى ٣٤٩ قائلا: "النون المفردة تأتى على أربعة
أوجه" اهـ وذكر نفس الأقسام الأربعة التى تحدث عنها المرادى.

٦- الاستطراد السادس فى: (باب السين المفردة ٣٩٣- ٣٩٨)

قسم المالقى السين المفردة قسمين:

(أ) قسم تكون فى بنية الكلمة: وذكر لها موضعين، وهما: أن تكون ثانية فى
الفعل، أو ما تصرف منه إما لطلب الشىء نحو: استجديته أى طلبت جداه
وإما لاستعماله نحو: استقضيته أى استعملته فى القضاء، وإما عوضا من
حركة عين الفعل، وما تصرف منه، نحو: أسطاع. وأن تكون للوقف بعد كاف
المؤنث المضمر المخاطب، ويسمى النطق بذلك كسكسة هوازن، فيقولون فى
عليك للمؤنث إذا وقفوا: عليكس، فإذا وصلوا حذفوا السين، فقالوا: عليك
مال.

وهذا القسم ليس فيه من حروف المعانى سوى الثانى فقط.

(ب)وقسم لا تكون فى بنيتها، وهى الداخلة على المضارع تخلصه للاستقبال
وتسمى حرف تنفيس، نحو: ستخرج.

وهذا القسم يعد من حروف المعانى، قال المرادى فى الجنى الدانى ٥٩: "السين حرف مهمل يكون للتنفيس، ويكون زائدا فى الوقف لبيان الحركة " اهـ ولم يذكر غير هذين القسمين.

٧- الاستطراد السابع فى (باب الهاء المفردة ٣٩٩- ٤٠٤)

قسم المالقى الهاء المفردة قسمين:

(أ) قسم هى أصل: وذكر لها فى الكلام خمسة مواضع، وهى: أن تكون للوقف، وذلك لمعنيين أحداهما: بيان الحركة فى كل مبنى متحرك نحو قولك فى غلامى فى الوقف: غلاميه. والمعنى الثانى: بيان الألف نحو قولك فى الندبة: وازيداه، فإذا وقفت أثبت الهاء، وإذا وصلت حذفت. وأن تكون للإطلاق فى القوافى وحقق المالقى هذا الموضع بأنه راجع إلى الوقف إلا أنه فى القوافى.

وأن تكون عوضا من حركة عين الفعل، وذلك فى أهراق. وأن تكون فى جمع (أم) دلالة على من يعقل كقولهم: (أمهات) فرقا بينه وبين ما لا يعقل.

وأن تكون من بنية الكلمة، نحو: هجرع من الجرع.

وهذا القسم ليس فيه من حروف المعانى سوى الموضع الأول فقط.

(ب) وقسم بدل من أصل: وذكر لها فى الكلام أربعة مواضع وهى: أن تكون مبدلة من همزة الندبة، نحو قولك فى أرحت الماشية: هرحت الماشية. وأن تكون بدلا من ألف الوقف فى (أنا) إذا وقفت عليه قلت: أنا أو أنه. و أن بدلا من تاء التأنيث بقياس فى المفرد نحو: قائمه فى قائمة، وبغير قياس فى الجمع حكى قطرب: كيف البنون والبناه؟ فى الوقف، وقد جاءت بدلا من تاء التأنيث فى الحرف شاذا قالوا: لاه.

وهذا القسم برمته ليس من حروف المعانى؛ لأنه ليس أصلا. ولذلك اقتصر المرادى فى الجنى الدانى على هاء السكت فقط، ونفى أن تكون الهاء المبدلة من همزة الاستفهام من حروف المعانى قائلا: ١٥٣: قلت: عد الهاء من حروف المعانى مشكل؛ لأن هاء السكت قد ذكرها النحويون مع الحروف الزوائد، أعنى حروف (أمان وتسهيل) فإنهم مثلوا الهاء بهاء السكت، وإنما يذكر فى حروف (أمان وتسهيل) ما ليس بحرف معنى، وأما الهاء التى هى بدل من همزة فليست أصل.

قلت: أما كون هاء السكت حرف معنى فواضح، وقد قال ابن الحاجب وغيره: إن ذكرها مع الحروف الزوائد ليس بجيد وهو كما قال "اهـ.

كما نفى ابن هشام فى المغنى ٣٤٨ الهاء المبدلة من همزة الاستفهام أن تكون من حروف المعانى قائلا: " والتحقيق أن لا تعد هذه؛ لأنها ليست بأصيلة، على أن بعضهم زعم أن الأصل: هذا، فحذفت الألف "اهـ.

ونفى - أيضا- أن تكون هاء النتأنيث من حروف المعانى قائلا ٣٤٨:

"والتحقيق أن لا تعد، ولو قلنا بقول الكوفيين، لأنها جزء كلمة لا كلمة "اهـ.

٨- الاستطراد الثامن فى: (باب الواو المفردة من ٤١٠- ٤٤١)

قسم المالقى الواو المفردة قسمين:

(أ) قسم أصل: وذكر له قسمين: قسم أول اللفظ زائدة، وحصره فى ستة مواضع، وهى: أن تكون الواو عاطفة، وأن تكون حرف ابتداء نحو: قام زيد وأنتم اخرجوا، وأن تكون للحال نحو: جاء زيد ويده على رأسه، وأن تكون للقسم عوضا من الياء نحو: ،والله لنخرجن، وأن تكون بمعنى (مع) نحو: استوى الماء والخشبة وأن تكون ناصبة للفعل المضارع الواقع بعدها بإضمار (أن) نحو: قم وأكرمك.

وهذا القسم كله من حروف المعانى.

وقسم موضوعة فى نفس الكلمة، وحصره فى ثمانية مواضع، وهى: أن تكون علامة لجمع المذكر السالم، وأن تكون علامة للجمع فى الفعل الماضى والمضارع إذا تأخرت الأسماء عنها أى على لغة (أكلونى البراغيث) نحو: قاموا الزيدون، ويضربون العمرون، وأن تكون دلالة على التذكير فى موضع، والتذكير والجمع فى موضع، نحو: ضربتهمو، وأن تكون إشباعا للضمة نحو قولهم فى أنظر: أنظور.

وأن تكون إطلاقا للقافية المطلقة لأجل الوزن، وأن تكون للتذكر لما مضى كقولك إذا وقفت على أضرب دون زيدا أضربوا، وذلك دلالة على أن فى الكلام محذوفا بعد الكلمة هو مراد، وأن تكون للوقف، وهو نوعان: نوع فى الاستثبات بـ (مَنْ) فى باب الحكاية عن النكرة المرفوعة، نحو قولك فى استثبات من قال جاء رجل: منو، والنوع الثانى فى غير ذلك من المتونات المرفوعة عند بعض العرب، فتقول على لغتهم فى: جاء زيد فى الوقف جاء زيدو، وأن تكون فى بنية الكلمة، وتزاد ثانية نحو: كوثر، وثالثة نحو: كنهور، وخامسة نحو: كنثأو.

وهذا القسم لا يوجد فيه من حروف المعانى سوى الموضع الثانى فقط أما بقية المواضع فليست من حروف المعانى.

قال المرادى فى الجنى الدانى ١٧٣: " وبقيت للواو أقسام أخر، ذكرها النحويون ليست من حروف المعانى منها الواو التى هى ضمير الجمع، نحو: الزيدون قاموا، فهذه الواو اسم خلافا للمنازنى، فإنه قال: هى حرف، والفاعل مستكن فى الفعل، ومنها الواو التى هى علامة الرفع، نحو: جاء الزيدون، ومنها واو الإشباع، وهى الزائدة للضرورة... ومنها واو الإطلاق، وهى فى الحقيقة واو الإشباع، لكنها قياسية "اهـ بتصرف.

وقال ابن هشام فى المغنى ٣٦٨: " والثالث عشر: واو الإنكار، نحو: آلرجلُوه بعد قول القائل قام الرجل، والصواب أن لا تعد هذه؛ لأنها إشباع للحركة بدليل آلرجلاه فى النصب، وآلرجليه فى الجر، ونظيرها الواو فى (منو) فى الحكاية وفى (أنظور)... وواو القوافى... الرابع عشر: واو التذكر، كقول من أراد أن يقول: يقوم زيد، فنسى زيد، فأراد مد الصوت ليتذكر، إذ لم يرد قطع الكلام يقومو، والصواب أن هذه كالتى قبلها "اهـ بتصرف.

(ب) قسم بدل من أصل: وقسمه المالقى ثلاثة أقسام: قسم بدل من همزة، ولها ثلاثة مواضع، وهى: أن تكون بدلا من همزة الاستفهام إذا كان بعدها ألف، وهمزة مسهلة، نحو قولك فى أألبت، وآلبت، وأن تكون بدلا من همزة المضارعة فى الفعل الرباعى إذا دخلت عليها همزة الأستفهام نحو قولك فى أأكرم زيدا؟ أو كرم زيدا؟ وأن تكون بدلا من همزة التأنيث فى التثنية، والجمع، والنسب نحو قولك فى حمراوان، وحمروات، وحمراوى. وقسم بدل من ألف، وذكر له موضعين: أن يكون بدلا من الألف الزائدة الثانية فى بنية الكلمة فى التصغير، وجمع التكسير نحو قولك فى تصغير وتكسير ضارب، ضويرب وضوارب وأن تكون بدلا من ألف الندبة، وذلك إذا خيف التباس بين التثنية والجمع فى الضمير المضاف إليه، نحو قولك فى غلامهم: واغلا مكموه؛ لأنه لو بقيت الألف فقيل: واغلا مهماه لالتبس بالتثنية والجمع، فقبلت الألف واواً لأجل الضمة قبلهما فى كونه جمعا. وقسم بدل من ياء: وذكر له موضعين - أيضا- أن تكون بدلا من الياء الثانية والزائدة فى بنية الكلمة إذا بنيت لما لم يسم فاعله نحو قولك فى بيطر: بوطر، وأن تكون بدلا من ياء بدل من الألف، وذلك قولك فى مصدر (فاعلت): ضيراب من ضاربت.

وهذا القسم برمته بعيد كل البعد عن حروف المعانى؛ لأن الواو ليست أصلا قال المرادى فى الجنى الدانى ١٧٤ عن بقية أقسام الواوات التى ليست من حروف المعانى: " ومنها واو الإبدال، وهى أقسام: بدل من همزة، نحو: يومن، وبدل من ألف، نحو: خوصم زيد، لأن أصله خاصم، وبدل من ياء نحو: موقن، فإنه من اليقين، ومنها الواو الأصلية كالواو فى وعد،.وإنما ذكرت هذه الأقسام مع أنها ليست من حروف المعانى؛ لأن بعض من صنف فى حروف المعانى ذكر منها أقساما، فأوهم كلامه أنها حروف معان "اهـ.

وقد نقض المرادى المالقى فى الواو المبدلة من همزة الاستفهام قائلا ١٧٢: "العاشر: أن يكون بدلا من همزة الاستفهام، إذا كان بعدها همزة... فالواو فى ذلك بدل من همزة الاستفهام ذكر ذلك صاحب رصف المبانى، ولا ينبغى ذكر مثل هذا إذ لو فتح هذا الباب لعدت الواو من حروف الاستفهام والإبدال فى ذلك عارض، لاجتماع الهمزتين "اهـ بتصرف.

وقال ابن هشام فى المغنى ٣٦٨ - أيضا- عن الواو المبدلة من همزة الاستفهام: " والصواب ألا تعد هذه أيضا؛ لأنها مبدلة، ولو صح عدها لصح عد الواو من أحرف الاستفهام "اهـ.

٩- الاستطراد التاسع: (باب الياء المفردة ٤٤٣- ٤٥١)

قسم المالقى الياء المفردة قسمين:

(أ) قسم أصل: وحصرها فى أثنى عشر موضعا، وهى: أن تكون للمضارعة نحو: يقوم، وأن تكون للنصب والخفض فى التثنية والجمع، وأن تكون علامة تأنيث فى الفعل المضارع للمؤنثة المخاطبة، وذلك نحو: أنت تقومين يا هند،

وأن تكون للتصغير فى خالد وخويلد، وأن تكون مشددة للنسب وذلك قولك: أنصارى فى المنسوب إلى الأنصار، وأن تكون لإشباع الكسرة، وأن تكون لإطلاق القافية وأن تكون للتذكر، كقولك فى الوقف على الكلمة الأولى التى لا تتم إلا بغيرها وكانت آخرها كسرة، وذلك نحو: أنت تفعلين: أنتى. وأن تكون فى اخر الضمير المفرد المذكر دلالة على التذكير نحو: بهى، وكذلك فى ضمير الجمع المذكر دلالة على الجمع، وذلك فى عليهمى، وأن تكون للوقف خاصة، وذلك نوعان: نوع فى الاستثبات بـ (من) حكاية عن النكرة المخفوضة كقولك فى: مررت برجل، ورجلين، ورجال، وامرأة، وامرأتين، ونساء: منى فى الوقف. ، ونوع فى الوقف على المعرب المخفوض المنون فتقول فى مررت بزيد فى الوقف: بزيدى، وأن تكون للإنكار فى الوقف - أيضا- بعد التنوين أو غيره، فتقول إذا أنكرت نحو: قام زيد، أزيدنيه الياء للإنكار، والهاء للوقف، وأن تكون فى نفس الكلمة من بنيتها، فتزاد ثانية فى الاسم نحو: صيرف، وفى الفعل نحو: بيطر، وثالثة فى الاسم للمد ككريم ولغيره كعثير، ورابعة فيه نحو: سرحين للمد، وفى الفعل نحو: سلقيت وخامسة فى الاسم نحو: عنتريس، وفى الفعل نحو: احرنبيت.

(ب) وقسم بدل من أصل: وذكر المالقى لها موضعين: أن تكون بدلا من ألف قبل آخر الكلمة زائدة للمد إذا صغر أو كسر كقولك فى مفتاح مفيتيح، ومفاتيح، وكذلك المصدر من (فاعلت) بلزم قلب الألف فيه ياء، فيقال إذا جاء على (فيعال) قاتلت قيتالا. وأن تكون بدلا من ألف الندبة للفرق بين المذكر والمؤنث فى ضمير الخطاب للمؤنث نحو قولك فى غلامك: واغلامكيه فرقا بينه وبين واغلا مكاه فى اتلمذكر، ولو لا ذلك القلب لالتبس أحداهما بالآخر.

والحق أن كل ما ذكره من أقسام الياء المفردة لا يعد من حروف المعانى.

قال المرادى فى الجنى الدانى ١٨٠-١٨١: " الياء حرف مهمل له ثلاثة أقسام:

الأول: أن تكون للإنكار نحو: أزيدنيه ألحقت الياء بعد كسر التنوين.

الثانى: أن تكون للتذكار نحو: قدى إذا أردت أن تقول: قد قام فوقفت على (قد) لتذكر ما بعده، وقد تقدم ذلك فى الواو والألف.

الثالث: أن تكون حرفا يدل على التأنيث والخطاب وهو الياء فى (تفعلين) على مذهب الأخفش، والمازنى. والصحيح أنها اسم مضمر، والخلاف فى ذلك شهير، وما سوى ذلك من أقسام الياء، فلا يعد من حروف المعانى كياء التصغير، وياء النسب، وياء المضارعة، وياء الإطلاق وياء الإشباع، وغير ذلك من الياءات "اهـ .

وقال ابن هشام فى المغنى ٣٧٣: " الياء المفردة تأتى على ثلاثة أوجه وذلك أنها تكون ضميرا للمؤنثة نحو: تقومين، وقومى، وقال الأخفش والمازنى هى حرف تأنيث، والفاعل مستتر، وحرف إنكار نحو: أزيدنية، وحرف تذكار نحو: قدى، وقد تقدم البحث فيهما.

والصواب أن لا يعدا كما لا تعد ياء التصغير، وياء المضارعة، وياء الإطلاق، وياء الإشباع، ونحوهن؛ لأنهن أجزاء للكلمات لا كلمات "اهـ .

وبعد فهذه بعض تأملات لا تغض من قيمة الكتاب، ولا تحط من قدره، وإنما هى من باب لكل عالم هفوة، ولكل جواد كبوة، قال يزيد بن محمد المهلبى:

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

والله أسأل أن يتقبل منى هذا العمل المتواضع، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل المسلمين فى كل أرجاء العالم العربى والإسلامى إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

ثبت بأهم مراجع البحث

١- القرآن الكريم

٢- ارتشاف الضرب لأبى حيان تحقيق د/ مصطفى النماس- الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٣- الأزهية فى علم الحروف للهروى تحقيق عبد المعين الملوحى ١٩٩٣م.

٤- الأصول لابن السراج تحقيق د/ عبد الحسين الفتلى الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.

٥- الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطى تحقيق د/ أحمد محمد قاسم ١٩٧٦م.

٦- أمالى ابن الشجرى تحقيق د/ محمود محمد الطناحى الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٧- إيضاح المكنون للبغدادى ط دار الفكر ١٩٨٢م.

٨- البحر المحيط لأبى حيان ط دار الفكر ١٩٩٢م.

٩- بغية الوعاة للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الفكر ١٩٧٩م.

١٠- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام تحقيق د/ السيد تقى عبد السيد ١٤٠٦ هـ .

١١- الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى تحقيق د/ فخر الدين قباوة، والأستاذ محد نديم فاضل ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

١٢- حاشية الصبان على الأشمونى ط دار إحياء الكتب العلمية فيصل الحلبى.

١٣- خزانة الأدب للبغدادى تحقيق عبد السلام هارون ط مكتبة الخانجى بالقاهرة.

١٤- الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٥- دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضمية ط دار الحديث بالقاهرة.

١٦- رصف المبانى فى شرح حروف المعانى تحقيق أحمد محمد الخراط ط مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٧- سر صناعة الإعراب لابن جنى تحقيق د/ حسن هنداوى الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

١٨- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ط دار إحياء الكتب العلمية فيصل الحلبى.

١٩- شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د/ عبد الرحمن السيد و د/ محمد بدوى المختون الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٢٠- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ط دار إحياء الكتب العلمية فيصل الحلبى.

٢١- شرح جمل الزجاجى لابن عصفور تحقيق د/ صاحب أبو جناح.

٢٢- شرح شذور الذهب لابن هشام.

٢٣-شرح شواهد ابن عقيل للجرجاوى ط عيسى الحلبى.

٢٤- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ط دار الفكر.

٢٥- شرح الكافية للرضى ط دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٨٥م.

٢٦- شرح المفصل لابن يعيش ط مكتبة المتنبى بالقاهرة.

٢٧- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ط مكتبة القدسى القاهرة.

٢٨- فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل للشيخ قطة العدوى ط عيسى الحلبى.

٢٩- الكتاب لسيبوية تحقيق عبد السلام هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٠- كشف الظنون لحاجى خليفة ط دار الفكر ١٩٨٢م.

٣١- لسان العرب لابن منظور ط دار صادر بيروت.

٣٢- المحتسب لابن جنى ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٨٦ هـ، ١٣٨٩هـ.

٣٣- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل تحقيق د/ محمد كامل بركات ط جامعة أم القرى ١٩٨٤م.

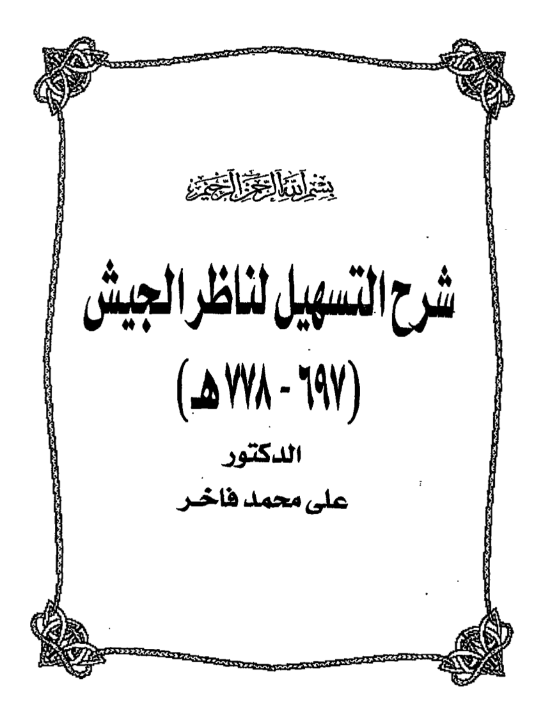
٣٤- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ط دار إحياء التراث العربى بيروت.

٣٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقى ط المكتبة الإسلامية بتركيا.

٣٦- معانى الحروف للرمانى تحقيق د/ عبد الفتاح شلبى ط المكتبة دار نهضة مصر.

٣٧- المغنى لابن هشام تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد المكتبة العصرية ١٩٨٧م.

٣٨- همع الهوامع للسيوطى ط دار المعرفة بيروت.



بسم الله الرحمن الرحيم

شرح التسهيل لناظر الجيش

(٦٩٧ - ٧٧٨ هـ)

الدكتور

علي محمد فاخر

شرح التسهيل لناظر الجيش

(٦٩٧ - ٧٧٨ هـ)

مقدمة:

يعد كتاب الفوئد وتكميل الفوائد وتكميل المقاص لابن مالك كتابا عظيما فى فنون النحو والصرف، ولأهميته شرحه كثير من العلماء منهم ابن مالك نفسه (٦٧٢ هـ) وأبوحيان (٧٤٥ هـ) والمرادى (٧٤٩ هـ) وابن عقيل (٧٦٩ هـ) وناظر الجيش (٧٧٨ هـ) والدمامينى (٨٣٧ هـ) وكثيرون غير هؤلاء، ولم يطبع من هذه الشروح أوير النور إلا أثنان فقط هما شرح ابن مالك وشرح ابن عقيل، والباقى ما زال حبيس المكتبات سواء دار الكتب أو كليات اللغة العربية فى بلدنا الحبيب وأزهرنا الشريف.

وأكثر هذه الشروح قد حققت ونال أصحابها درجات علمية بها، ولطول هذه الشروح فقد اشترك أكثر من واحد فى تحقيقها، فمثلا شرح أبى حيان المسمى بالتذييل والتكميل حققه ثمانية أعلام أجلاء، وشرح التسهيل لناظر الجيش ستة والأمر كذلك فى شرحى المرادى والدمامينى.

وكنت أحد الستة الذين اشتركوا فى تحقيق شرح التسهيل لناظر الجيش، وأجزائه الستة بل كنت أولهم لأننى الذى اكتشفته فى دار الكتب لأول مرة سنة ١٩٧٩م وصورته كله لأحققه جزءا بعد جزء بعد أن اقتنعت بالكتاب شرحا عظيما وعلما عزيزا فى النحو والصرف، أما الأول فلنيل درجة علمية وأما الباقى فللعلم ومن أجل العلم، وبحثت يومها على نسخ للشرح لأصورها وأقارن بعضها ببعض جسبما يقتضيه منهج التحقيق الصحيح فتحققت لى الثانية وهى

تصوير النسخ ولم تتحقق لى الأولى وهى امتلاك الكتاب وتحقيقه جزءا بعد الآخر حيث سارع بعض إخواتنا ورفقائنا على الدرب فى التسجيل فى الأجزاء الباقية ولم أستطع منعهم فالعلم مشاع بين أهله ولا أحد يستطيع أن يحبس شيئا منه عن أحد، فالباب مفتوح لمن يجد ويجتهد ويثابر ويكافح، وقد اجتهدنا جميعا وأخذ كل منا درجته العلمية واتجهنا يمينا ويسارا وشرقا وغربا من عشرين عاما نعلم العلم وندرسه للناس، وأثناء ذلك طلبت من بعض إخواتنا الذين حققوا الكتاب المشاركة فى طباعته وإخراجه للنور ولكن لا مجيب.

كل هذا لا شىء فيه ولا يهم القارئ إلا قليلا منه، ولكن الذى يهمه هو الحديث القادم الذى قسمته إلى فصول كالآتى:

الأول تحت عنوان: الحقيقة المؤلمة.

والثانى تحت عنوان: من مميزات شرح التسهيل لناظر الجيش.

والثالث تحت عنوان: النص الأول من باب الحال.

والرابع تحت عنوان: النص الثانى من باب التمييز.

ثم ختمت ذلك ببعض قطات المصورة من شرح التسهيل من نسخة معينة كما ختمته بدعوة أخرى لطبع الكتاب المذكور.

الفصل الأول

(الحقيقة المؤلمة)

ما كنت أريد الكتابة فى هذا الموضوع لحساسيته، ولأنه مخالف لطبعى حيث أفضل الوداعة وأبعد عما يجلب القلق لى أو للناس، لكن الواجب يحتم على أن أبين الحق، والأمانة العلمية تقتضينى أن أقول الصدق، وأن المحاباة فى المواقف التى تتعلق بالمسائل العلمية جناية عظيمة وجريمة لا تغتفر، فلابد أن أقهر تعسى وأحملها مسؤولية إظهار الحقيقة وإن كانت مؤلمة، إن الله سبحانة وتعالى هدد رسوله بقوله: ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذ تامنه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين (سورة الحاقة: ٤٤- ٤٦) وذلك لجرم التقول وبشاعة الكذب، كما مدح منطقه الصادق فى قوله: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى (سورة النجم: ٣ -٤) ولو كان بعض الناس يشاركنى فى ذلك، أو أن أحدا يعرف ما أعرف لسكت قائلاً: ينالتى من الذنب ما ينال غيرى ويصيبنى من جراء السكوت ما يصيب غيرى، لكن الأمر يتعلق بى وحدى، ويخصنى دون غيرى، لأننى الذى أملك الدليل بلا قصد أو عمد.

حين سجلت الجزء الأول من شرح التسهيل لناظر الجيش المسمى بتمهيد القواعد كان يشتمل على ثلاثة عشر بابا تبدأ من أول االكتاب وهو باب شرح الكلمة والكلام ثم يليه باب إعراب الصحيح الأخر والمعتل الأخر ثم المعرفة والنكرة وأبواب المعارف ثم باب المبتدأ والخبر وآخرها باب كان وأخواتها والحروف العاملة عمل ليس.

وكان الجزء الثانى الذى حققه زميل آخر يشتمل على أثنى عشر بابا أيضا

هى أفعال المقاربة وإن وأخواتها والفاعل ونائبه وتعدى الفعل ولزومه وبقية المفاعيل وباب التنازع.

وكان الجزء الثالث الذى حققه زميل يشتمل على اثنى عشر باب أيضا هى كالآتى: باب الاستثناء ثم الحال ثم التميز ثم باب العدد ثم أبواب نعم وبئس وحبذا والتعجب وأتصل التفضيل واسم الفاعل والصفة المشبهة وإعمال المصدر.

وكان الجزء الرابع الذى حققه زميل رابع يشتمل على عدة أبواب: أولها باب حروف الجر ثم باب الإضافة وكذلك الجزء الخامس والسادس.

(وصف نسخ الكتاب)

اقتضانى تحقيق الجزء الأول من شرح التسهيل لناظر الجيش أن أبحث عن نسخه المخطوطة فى كل مكان فى العالم، وازدادت رغبتى فى ذلك حين نويت تحقيق الكتاب كله عاجله وهو الجزء الأول وآجله وهو بقية الأجزاء، وقد بحثت عنها مدة تزيد على عامين، وقد تم لى ما أردت على النحو التالى:

١- نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠١٢ هـ ويوجد منها الجزء الأول والسادس من الكتاب المذكور.

٢- نسخة بمدينة الاسكندرية بجامع الشيخ ابراهيم باشا ويوجد منها الجزء السادس فقط، وقد صوره معهد المخطوطات برقم ٦٤ نحو.

٣- نسخة بمعهد المخطوطات العربية وهى مصورة من بلاد المغرب بالزاوية الحمزاوية ويوجد منها الأول والثانى والرابع وقد رقم الأخير بالثالث خطأ وهى بأرقام ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ مصنف غير مفهرس.

٤- نسخة أخرى بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٩ نحو، يوجد منها تسعة أجزاء شبه كاملة مرتبة على النحو التالى:

- الأجزاء الأول والرابع والخامس والسادس أجزاء كاملة يوصل بعضها إلى بعض ولا ينقص منها شيء.

- الجزء الثانى منسوب لأبى حيان خطأ داخل نسخ التذييل والتكميل تحت رقم ٦٢ نحو، وقد بدأ بانتهاء الأول وانتهت بابتداء الثالث.

- الجزء الثالث - وهو موضوع حديثنا- يبدأ حيث انتهى الثانى فى حديث عن باب الظروف وينتهى حيث يبدأ الرابع فى حديث عن حروف الجر، والواجب أن يشتمل هذا الجزء على اثنى عشر بابا وهى أبواب الاستثناء والحال والتمييز والعدد ونعم وبئس والتعجب والتفضيل واسم الفاعل والصفة المشبهة وإعمال المصدر، إلا أن هذا الجزء يسقط من داخله أكثر من مائة صفحة (خمسين ورقة مكتوبة على الوجهين) كل صفحة خمسة وعشرون سطراً وصارت أبوابة كالتالى:

* ثماينة أبواب كاملة فى نهايته من باب كم وكأين إلى إعمال المصدر.

* بابان مفقودان كلهما وهما باب الحال والتمييز.

* بابان ناقصان أى مفقود بعضهما، الأول وهو باب الاستثناء مفقود مس آخره والثانى وهو باب العدد مفقود من أوله.

٥- نسخة أتيت بها من دولة تركيا بعد جهد كبير وإتفاق كثير، وقد كانت مطبوعة على ميكرو فيلم فصورتها على ورق أبيض، وهذه النسخة من خمسة

أجزاء من الثانى الذى أوله باب كان إلى السادس حيث نهاية الكتاب (مخارج الحروف) وهذه النسخة تنقص الأول فقط وهى مكتوبة بخط نسخ جميل بتاريخ قديم، وهذه النسخة كانت لها فوائد كبيرة كالآتى:

١- أنها نسخة كاملة - ماعدا الجزء الأول - وأجزاؤها يسلم بعضها إلى بعض فلا تسقط فى جزء من أجزائها لا من الوسط ولا من الآخر.

٢- أنها تحتوى على الأبواب الأربعة الساقطة من جميع النسخ فى مصر والمغرب وهذه الأبواب هى الاستثناء والحال والتمييز والعدد.

٣- أنه بانضمام هذه النسخة إلى نسخ دار الكتب ومعهد المخطوطات تكون كل أبواب شرح التسهيل لناظر الجيش كاملة لا ينقص منها شىء والحمد لله، وأن من يريد تحقيق الجزء الثالث لابد من حصوله على هذه النسخة وإلا كان الشرح ناقصا والتحقيق غير صحيح.

٤- أن النسخة المذكورة مكتوبة بخط نسخ كبير واضح جدا يمكن قراءته بسهولة ويمكن الإعتماد على هذه النسخة فى تصحيح أخطاء موجودة فى نسخ دار الكتب ومعهد المخطوطات وصورت النسخ الموجودة من أماكنها المختلفة وأصبح لدى الكتاب كاملا لتحقيقه عاجلا وآجلا، ولكن إخوتنا كما قلت هجموا عليه وسجلوا فيه، فمن يقف على موضوع فى بحث أو رسالة فى قسم النحو والصرف يعد فارسا لضيق مجال البحث كما ظنوا وهم مخطئون.

وعبثا حاولت إثناءهم ولكنهم لم ينثنوا محتجين أن العلم ليس حكرا فقاموا بالتسجيل فى الأجزاء الكاملة وهى الثانى والرابع والخامس والسادس بنسخة دار الكتب، وقلت لنفسى سيقف النقص الذى فى الجزء الثالث عشرة دون

التسجيل فيه يهابه الباحثون لنقصانه، ويبتعد عنه المحققون لغور بحوره وانقطاع خلجانه، حيث السقط الذى فيه وهو أربعة أبواب، وذلك شيء يقبح الحسناء ويجعل العين الجميلة رمداء. ولكن زميلا فاضلا سجل فيه وحققه، وحقق بغيته، ونال درجته، وقلت لنفسى: لابد أنه حصل على الأبواب الأربعة المفقودة (الاستثناء والحال والتمييز والعدد) من أى مكان فدعوت له بالتوفيق، وقلت: مجتهد نال ثمرة اجتهاده وصائد عاد بعد المشقة باصطياده والله لا يضيع أجر العاملين، وهو خير من يضاعف الجزاء للمحسنين.

ظننته لأول وهلة حصل على الأبواب المفقودة وحققها كما حقق الموجودة ولكنى فوجئت به أنه لم يحصل عليها ولم يصل إليها، وياليته وقف عند هذا الحد وحقق الموجود وأعلن أن الباقى مفقود، ولا يضره ذلك فى بغيته ولا ينقصه من درجته: فعلى أن أسعى وليس على إدراك النجاح

وقد أدرك النجاح فالأبواب الثمانية الباقية فى المخطوط إذا حققها تكفى وزيادة لنيل ما يتمنى حيث تبلغ مائتى صفحة وستين فى كل صفحة خمسة وعشرون سطرا، أما الأبواب الأربعة المفقودة أو الناقصة فكان يجب الإعلان بفقدانها أو انقصانها ظالما لم يستطع الوصول إليها وهو ما تقتضيه الأمانة العلمية ويفرضه البحث الصحيح والتحرى الصادق، ولكن بعد اطلاعى على ما كتب وحبر، وخط قلمه وسطر، وجدت عجبا عجابا، وجدته شرح الأبواب الفقودة بطريقته وتقول على لسان الرجل، والرجل لم يقل، فزخرف القول وزين اللفظ، وطمس الحقيقة وتعالى عن إظهار الحق.

عز عليه أن يكون تحقيقه ناقصا وكتابه على حد زعمه معيبا، فأكمل

الناقص وأصلح المعيب، وما يدرى أنه بفعله ذلك قد ارتكب ما هو أشد وذاد فى الإثم والذنب.

عرف أن ناظر الجيش كان يعتمد كثيرا فى شرحه للتسهيل على شرح ابن مللك وشرح أبى حيان فأخذ شرح ابن مالك كله ووضعه، ثم أتى على شرح أبى حيان وأخذ شيئا قليلا منه، ولقب ابن مالك بالمصنف كما يلقبه ناظر الجيش ونادى أبا حيان بالشيخ كما يناديه ناظر الجيش، وكان كثيرا ما يذكر كلمات فى الشرح اشتهر بها ناظر الجيش مثل كلمة: انتهى عقب كل نقل وكلمة: ثم هاهنا إمور أو هنا تنبيهات أو هنا مباحث وهى الألفاظ التى غلبت على ناظر الجيش فى شرحه، كما نقل بعض النصوص من شرح الجمل الكبيرة لابن عصفور وشرح الألفية لابن الناظم، وشرح المفصل لابن الحاجب، وهى الكتب التى كان يرجع إليها ناظر الجيش فى شرحه.

مائة صفحة من شرح ناظر الجيش فى الأبواب الأربعة المذكورة حققها صاحبنا فى مائة وسبعين صفحة من رسالته تبدأ من صـ ١٥٧ إلى صـ ٣٢٨ ألفها ودبجها وزخرفها على أنها كلام ناظر الجيش وشرحه، وناظر الجيش منها برىء.

انز عجت وذهلت وأنا أرى الشرح المذكور وصاحبه قد دبجه وألفه، وحين عارضته وقارنته بالشرح الحقيقى من النسخة الخاصة المصورة عندى من تركيا رأيت شيئا قبيحا وأمرا عظيما حيث لم نعرف ذلك فى البحث العلمى ولا دعانا إليه ديننا الحنيف.

أما البحث العلمى فيقتضينا أن نحافظ على المخطوط وعلى لقط المؤلف

وصياغته فلا نغير ولا نبدل ولا نزيد ولا ننقص فإذا بدا لنا شئ من ذلك فى نطاق ضيق أو محيط قليل فليمكن ذلك فى الهامش مع التنبيه عليه، فإذا لم تفعل كانت الخيانة العظمى التى لا تمحى والذنب الكبير الذى لا يغفر.

أما تأليف أبواب وكتابة فصول وشرح موضوعات فلم يعهد ذلك فى البحث العلمى مطلقا يقول الأستاذ عبد السلام هارون فى كتابه تحقيق النصوص ونشرها [١].

«لا ريب أن إحداث التغيير والتبديل فى النسخة العالية يخرج بالمحقق عن سبيل الأمانة العلمية ولاسيما التغيير الذى ليس وراءه إلا تحسين الأسلوب أو تنمية العبارة أو رفع مستواها فى نظر المحقق فهذه تعد جناية علمية صارخة إذا قارنها صاحبها بعدم التنبيه على الأصل، وهو أيضا انحراف جائر عما ينبغى إذا قرن ذلك بالتنبية» ويستمر الأستاذ عبد السلام هارون قائلا: ومن مذاهب أداة النصوص قديما وحديثا ألا يلجأ المحقق إلى أى تغيير أو تبديل إلا ما تقتضيه الضرورة الملحة ويحتمه النص مما هو واضح الشمس، متعين لدى النظرة الأولى، أو يكون المؤلف قد نص على إجازة إصلاح أخطائه، وصح فلابد لصاحب هذا المذهب من التنبيه على صورة الأصل.

والذى فعله صاحبنا ليس تغييرا اللفظ أو تبديلا لقول، وإنما هو طمس للحقيقة وتقول على الناس.

أما ديننا الحنيف فيأمرنا بالأمانة ويدعونا إلى الصدق ولا يرضى لنا الكذب قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)[٢]وقال (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) [٣].

(١) أنظر الكتاب صـ ٧٩ (الطبعة الرابعة: ١٩٧٧م).
(٢) سورة الأنفال آية: ٢٧. (٣) سورة النحل آية: ١٠٥.

وقال (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) [١].

وماذا أقول لمن غره منصب زائل، وأغراه كسب باطل ونسى أن البحث جد واجتهاد وتلفه الأمانة ويحدوه الصدق، وعلى الباحث ألا يدخر فى البحث راحة أو جهدا، ولا يفضل عليه مالا ولا ولدا، فإذا فعل ذلك ثم عاد بالفشل فلا اعتراض عليه ولا لوم يقدم إليه فقد اجتهد وهذا قدره، وبذل حتى عيل صبره:

على طلاب العز من مستقره   ولا ذنب لى إن لما عارضتنى المقادر

وقد نقلت لك - أخى القارئ - موضوعين فى هذا البحث واحد فى باب الحال كما شرحه ناظر الجيش حقا، وآخر فى باب التمييز كما كتبه صدقا لتقارن بين الكلامين وتحكم بين الشرحين فتؤمن بالدعوى وتصدق الكلام.

وما قصدت من وراء ذلك أن أهدم مكانة سما الباحث إليها أو درجة علمية حصل عليها فليس ذلك همى ولا مطلبى ولا هو مبتغاى أو مأربى وإنما قصدت بيان الحقيقة وأن أقتص لهؤلاء الذين صاروا فى ذمة الله حيث قولناهم مالم يقولوا وأسندنا إليهم مالم يفعلوا.

هل ظن صاحبنا أن كلامه أو شرحه يكون كلام ناظر الجيش أو شرحه؟ لا فهيهمات بين الكلامين والشرحين والبعد بينهما كالبعد بين المشرقين والمغربين تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا إن يقولون إلا كذبا.

---

(١) سورة البقرة آية: ٤٢.

الفصل الثانى

(من مميزات شرح التسهيل لناظر الجيش)

هى ستة عشر أمرا أخذتها وقد أردت أن أبين بها المميزات التى أمتاز بها شرح التسهيل لناظر الجيش راستشهدت لها من التضمين للذين نقلتها فى الفصلين الثالث والرابع لأبين أنه لا يجوز أبدا بأي حال من الأحوال أن يتقمص مؤلف شخصية مؤلف آخر فقد خلق الله الناس مختلفين فى كل شىء وجعلهم شعوبا وقبائل.

١- أين المسائل التى كان يتركها ابن مالك ثم يأتى ناظر الجيش فيكملها ويستدركها؟

- يقول: القسم الثالث مما يجب فيه تقديم الحال على عاملها وهو الذى لم يتعرض إليه المصنف وذلك إذا كان الحال اسم استفهام نحو كيف جاء زيد؟ وكيف كلمت عمرا؟

٢- أين النقود التى كان يغمز بها ناظر الجيش ابن مالك، سواء كان فى ذلك فى كلامه فى متن التسهيل أو فى شرحه للمتن؟

- يقول فى موضع: والحكم صحيح إلا أن هذا ليس موضعه.

- ويقول: فعلى هذا لا حاجة إلى الاحتراز بقوله: ولم يكن نعتا.

- ويقول: ولم يذكر فى الشرح ما احترز عنه بغالبا فى قوله: واغتفر توسيط ذى التفصيل بين حالين غالبا.

- ويقول عن حده للتمييز: ولا يخفى ما فى هذا الحد من القلق وأن قوله:

وإحترز مما فيه من معنى من الحال لا يحتاج إليه مع أن الجنس لا يؤتى به للاحتراز، لكن المصنف لا يعتبر ذلك وكأنه لما لم يتعين عنده المذكور أولا للجنسية جاز أن يحترز به كما يحترز بالفصول ولكن ترك هذا أولى.

٣-أين الدفاع عن ابن مالك وتخريج قوله على ما يوافق قواعد اللغة وما يقتضيه الكلام؟

- يقول: اللهم إلا أن يلغى المحذوف ويجعل الأول الثانى مبالغة فصح نسبة العمل إلى المشبه به ولعل ذلك مراد المصنف.

- ويمكن صرف غير الغالب فى كلام المصنف إلى ذلك والله تعالى أعلم.

٤- أين الردود التى كان يوجهها ناظر الجيش إلى أبى حيان دفاعا عن ابن مالك وإبطالا لاعتراضاته عليه؟

- يقول بعد شرح لمسألة طويلة منعها أبو حيان: وفى كون هذه المسألة ممنوعة من جهة تقديم الضمير على مفسرة نظر.

- ويقول عقب مسألة أخرى: وإلى هذا أشار بقوله: ذلك فلا يرد عليه ما ناقشه الشيخ.

- ويقول عنه عقب نقل ونقد: انتهى وفى بعض كلامه نظر.

٥- أين الموازنات التى كان يعقدها ناظر الجيش بين ابن مالك وابن عصفور إذا اختلفنا فى مسألة لينتصر لأحدهما أو يبين فضله؟

- يقول: وأما المصاحب لحرف مصدرى فكالمصاحب لأل عند المصنف ولابن عصفور فيه تفصيل وهو أنه إن كان الحرف المصدرى عاملا امتنع التقديم، وإن

كان غير عامل جاز تقديمه على مصحوبه دونه نحو عجبت مما ماشيا جاء زيد والأصل مما جاء زيد ماشيا ، وهذا التفصيل المذكور بالنسبة الى الأدوات المذكورة لم يتعرض له المصنف بل حكم يمنع التقديم على العامل من غير تفصيل.

٦- أين النقول التى نقلها ناظر الجيش من كتب ضاعت وفقدت، كما لا تجد هذه النقول فى كتب أخرى غير شرح التسهيل لناظر الجيش هذا؟

- يقول: وقال الشيخ جمال الدين بن عمرون فى شرح المفصل: ذكر بعضهم تقديم الحال على الصفة ... الخ.

- ويقول: وقال ابن عصفور فى شرح الإيضاح: اعلم أن نصب الاسمين (هذا بسرا أطيب منه رطبا) لا يجوز إلا فى ثلاثة أماكن.... الخ.

- ويقول: والأقرب فى حد التمييز ما ذكره ابن الحاجب وهو ما يرفع الإبهام المستقر عن ذات مذكورة أو مقدرة.

٧- أين النقول التى كان ينقلها ناظر الجيش من كتب العلماء، أو الآراء التى كان يطلع عليها ويسندها لأصحابها من كتبهم تكملة لنقص أو توضيحا لإبهام؟

- يقول: وأما حرف التمنى والترجي فهما ليت ولعل، وذكر المصنف كأن أيضا فى الكافية.

- كما يقول بعد النقل السابق: وصرح بذكر الثلاثة صاحب المفصل أيضا.

- وعلل الفارسى منع ذلك فى الحلبيات.

- لا تعمل همزة الاستفهام وما النافية وحرف الاستثناء فى الحال،نص عليه أبو على فى البصريات.

٨- أين تعليقات ناظر الجيش على النقول التى كان ينقلها إما قدحا وإما مدحا؟

- يقول قادحا (ابن عمرون): انتهى وفى كلامه غموض فليتأمل الواقف عليه.

- ويقول مادحا (ابن مالك): وأما الصورة الثانية وهى التى أشار إليها المصنف فى متن الكتاب فيجوز فيها الوجهان ويحكم برجحان النصب لنزول القرآن العزيزية كقوله تعالى (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها).

٩- أين التلخيص الذى كان يذهب إليه فى ناظر الجيش عندما يجد أبا حيان قد توسع فى الموضوع كثيرا وجمع فى شرحه مايفيد وما لا يفيد؟

- يقول: وبسط الشيخ الكلام على هذه المسألة فنقلت كلامه ملخصاً ممزوجاً بكلام غيره.

١٠- أين الإختصارات غير المخلة والإشارات التى يكتفى بها؟

- يقول فى تخريج خمسة أبيات من الشعر: وقد تأول المانع ذلك كله بما يقرب تأويله وما يبعد . ثم إنتقل لموضوع آخر.

١١- أين الآراء الكثيرة التى يذكرها ناظر الجيش فى المسألة الواحدة؟

- يقول فى قول الأعشى: يا جار تاما أنت جاره: ما استفهامية أو نافية ، والنافية إما حجازية فتعمل وإما تميمية فيبطل عملها، والأمر كذلك فى جارة إما حال وإما تمييز. ثم أسند كل رأى إلى صاحبه، وفى آخر الشرح يقول: وهذا عجز بيت وصدره : بانت لتحزننا عفارة.

١٢- أين بحثه تفاصيل المسائل والوقوف على دقائقها مع إسناد الآراء إلى أصحابها فى كل ما يذكره؟

- يقول مسألة: وأما الظرف وشبهه فنحو زيد عندك مقيما، وعمرو فى الدار قائما، وفى تقدم الحال على العامل هنا خلاف:

مذهب سيبويه المنع مطلقاً صريحة كانت الحال أوغير صريحة.

ومذهب الأخفش والكسائى والفراء الجواز مطلقاً.

والمذهب الثالث لابن برهان وهو التفصيل بين أن يكون الحال ظرفاً أو شبهه فيصبح التقديم أو غير ذلك فيمتنع.

- وانظر حديثه على مسألة أفعل التفضيل إذا توسط بين حالين كما فى قولك أهذا يسرا أطيب منه رطباً.

- وانظر حديثه على مسألة: إذا وجد اسم مخبر عنه مع ظرف أو جار ومجرور وقد يصحبهما اسم آخر (زيد فى الدار قائما).

١٣- أين ميزة التقسيم التى إمتاز بها ناظر الجيش إبتغاء الحصر والضبط والتى غلبت عليه فى كثير من مسائل النحو؟

- يقول: وكما إنقسم التقديم على صاحب الحال إلى ثلاثة أقسام كذلك انقسم التقديم على العامل إلى ثلاثة أيضاً: قسم يجب فيه التقديم، وقسم يمتنع فيه ذلك أو قسم يجوز فيه الأمران.

١٤- أين الزكاء الحاد والقريحة المتوقدة فى فهم القواعد وتطبيقها على النصوص ؟

- يقول فى مسألة: ولا يظهر لى أن قول الشاعر: وقد كان يتكلم ماؤه بمكان مما نحن بصدده لأن متكلم المحكوم بحالتيه قد يقوم على العامل العفوى وعلى

المخبر عنه، وقد تقدم أن من شرط الجواز أن لا يتقدم على المخبر عنه، وإنما يحسن الإستشهاد بقول الشاعر:

فعلت له لما تكشر ضاحكاً وقائم سيفى من يدى بمكان

أى وقائم سيفى كاءنا من يدى بمكان

١٥- أين الفوائد التى كان يأتى بها ناظر الجيش ليزين بها شرحه ويفيد بها قارئه من نكتة بلاغية أو مقارنة نحوية؟

- يقول: وقال جمال الدين بن عمرون: قال السخاوى: إذا قلت هذا زيد قائما إنما أصبح إذا كان المخاطب يعرف زيدا ولا يجوز إذا أردت تعريف المخاطب بزيد لأن معنى الكلام إذ ذاك هذا زيد فى حال قيامه دون حال قعوده وذا محال، فإذا كان المخاطب يعرف زيدا كانت الفائدة فى الحال، وإذا كان يجهله فى المعرفة به.

- ويقول: واعلم أن التمييز مناسب للحال من وجوه ومفارق لها من وجوه ومضى يذكر لكل واحد من المناسبة والمفارقة أربعة أو خمسة

١٦- أين المباحث اللغوية التى كان يبحثها ناظر الجيش أثناء حديثه عن القواعد النحوية والتى كان ينفرد بها شرحه كثيراً دون بقية شروح التسهيل؟

- يقول فى بيان كلمة تمييز: هو فى الأصل مصدر ميز الشئ إذا فصله وأفرده من غيره والثلاثى فيه ماز يقال مذ ذا من ذا أى افصله ومنه قوله تعالى (وإمتازوا اليوم أيها المجرمون).

والآن إلى الفصل الثالث والرابع وهما عبارة عن نصين هو واحد من باب الحال وآخر من باب التمييز وهما من شرح التسهيل لناظر الجيش كلامه الفعلى

وشرحه الحقيقي ليرى القارئ الفرق بين الكلامين والشرحين ويأسى كما أسيت
والنصان عبارة عن عشرين صفحة نقلها دون تحقيق أو تعليق فذلك له وقت آخر
ومكان غير ذلك.

الفصل الثالث

(نص من باب الحال)

(ص) فصل (يجوز تقديم الحال على عاملها إن كان فعلاً متصرفاً أو صفة تشبهه ولم يكن نعتا ولا صلة لأل أو حرف مصدرى، ولا مصدرا مقدرا بحرف مصدرى، ولا مقروناً بلام الابتداء أو القسم، ويلزم تقديم عاملها إن كان فعلا غير متصرف أو صلة لأل أو حرف مصدرى أو مصدراً مقدراً بحرف مصدرى أو مقروناً بلام الابتداء أو القسم أو جامداً ضمن معنى مشتق أو أفعل تفضيل أو مفهم الشبيه واغتفر توسيط ذى التفضيل بين حالين غالباً، وقد يفعل ذلك بذى التشبيه، فإن كان الجامد ظرفاً أو حرف جر مسبوقاً بخبر عنه جاز على الأصح توسيط الحال بقوة إن كان ظرفاً أو حرف جر ويضعف إن كان غير ذلك.

شرح صاحبنا هذا المتن فنقل كلام ابن مالك فى هذا الموضوع من شرح التسهيل [١]، ثم أتبعه بتعليق لأبى حيان ومناقشة له على كلام ابن مالك [٢]، ثم نقل كلاما لابن مالك من شرح الكافية الشافية [٣]، ثم ختم شرحه لهذا الموضع بنقل عن ابن عصفور[٤].

أما ناظر الجيش فقد شرحه قائلاً:

(ش) لما أنهى الكلام على تقديم الحال بالنسبة إلى صاحبه شرع فى الكلام على التقديم بالنسبة إلى العامل فى الحال، وكما إنقسم التقديم إلى ثلاثة أقسام

(١) شرح التسهيل لابن مالك جـ٢ صـ٣٤٢ - ٣٤٨ تحقيق د/عبد الرحمن السيد ود/بدوى المختون.
(٢) التنزيل والتكميل لأبى حيان : الجزء الثالث تحقيق د/حماد البحيرى (باب الحال).
(٣) شرح الكافية والشافية جـ٢ ص٧٥٢ - ٧٥٣ تحقيق د/عبد المنعم هريدى.
(٤) شرح الجمل الكبير لابن عصفور: جـ١ صـ٣٢٥ تحقيق د/صاحب أبو جناح.

كذلك انقسم التقديم على العامل إلى ثلاثة أيضاً:

قسم يجب فيه التقديم، وقسم يمتنع فيه ذلك، وقسم يجوز فيه الأمران وقد ذكر المصنف قسمى الجائز والممتنع وأنا أشير ألى الأقسام الثلاثة قسما قسما مع مراعاة لفظ المصنف وترتيبه (أى فى المتن).

القسم الأول: ما يجوز فيه الأمران وهو إذا كان العامل فعلا متصرفا نحو أتيت مسرعا وضربت اللص مكتوفا، أو صفة تشبه الفعل المتصرف فتضمن معنى الفعل وحروفه وقبول علامات الفرعية لأنها فى قوة الفعل يستوى فى ذلك اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة كقول الشاعر:

لهنك سمح ذا يسار ومعدماً   كما قد ألفت الحلم مرضى ومغضباً

قال المصنف: فلو قيل فى الكلام إنك ذا يسار ومعدماً سمحا جاز لأن سمحا عامل قوى بالنسبة إلى أفعل التفصيل لما تقدم.

وقال الشيخ جمال الدين بن عمرو فى شرح المفصل: ذكر بعضهم تقديم الحال على الصفة المشبهة وهو سهو لأن الصفة لا يتقدم معمولها عليها.

ثم إنه قد يعرض للعامل المذكور ما يمنع تقديم الحال علية، وإلى ذلك أشار المصنف بقوله: ولم يكن نعتا إلى قوله: ولا مقروناً بلام الابتداء أو القسم إلا أن المصنف عد من جملة ذلك كون العامل مصدرا مقدراً بحرف مصدرى ولم يدخل تحت قوله الأول ليخرجه كما أخرج المذكورات معه، والحكم صحيح إلا أن هذا ليس موضعه، وتقدير كلام المصنف: ولم يكن العامل نعتا ولا كذا ولا مصدرا مقدرا بحرف مصدرى ومثاله: يعجبنى ضرب اللص مكتوفا فلا يجوز يعجبنى مكتوفا ضرب اللص.

فمن المواقع وقوع العامل نعتا كقولك: مررت برجل ذاهبة فرسه مكسورا سرجها فلا يجوز أن يقال: مررت برجل مكسورا سرجها ذاهبة فرسه قال الشيخ: فعلى ما قرره المصنف يمتنع فى مررت برجل مسرع ضاحكاً، مررت برجل ضاحكاً مسرع قال: وهذا وهم منه لأن النحاة نصوا على جواز تقديم معمول النعت عليه من مفعول به وحال وظرف ومصدر ونحوها وإنما منعوا من تقديم المنعوت فيجوز فى مررت برجل يركب الفرس مسرجاً يركب الفرس قال: وامتناع تقديم مكسوراً سرجها ليس للذى ذكره بل حيث قدم المضمر على مفسره انتهى.

وفى كون هذه المسألة ممنوعة من جهة تقديم الضمير على مفسره نظر، لأنه وإن تقدم عليه لفظاً فهو مؤخر رتبة لأن مكسوراً حال من فرسه المرفوع بذاهبة ورتبة صاحب الحال قبلها فلم يتقدم الضمير إلا على مفسر مقدم الرتبة وإن كان مؤخراً لفظا وحينئذ يحصل الإشكال لأن الشيخ سلم المنع فى هذه الصورة، وأسنده إلى شئ لم يثبت والظاهر دعوى الجواز فى المثال المذكور إذ لامانع منه فعلى هذا لا حاجة إلا الإضرار بقوله: ولم يكن نعتاً

ومن الموانع أيضاً وقوع العامل صلة لأل نحو أنت المصلى فذا وأنا المعتكف صائماً، أو الحرف مصدرى نحو ذلك أن تنتقل دائماً ولا إختصاص للحال بذلك بل كل شئ تعلق بالعامل الواقع صلة لأل أو لحرف مصدرى حالا أو غيرها ممتنع تقديمه عليه، فلو كان العامل صلة اسم غير أل لم يمتنع تقديم الحال عليه كما لا يمتنع تقديم غيرها مثل قولك فى: من الذى جاء مفاجئاً من الذى مفاجئاً جاء.

ومنها كون العامل مقروناً بلام الابتداء نحو لأصبر محتسباً، ولام القسم نحو لأ قومن طائعاً.

واعلم أن معمول مصحوب الأدوات التى تقدم ذكرها من حال أو غيره قد يمتنع تقديمه على الأداة مع جواز تقديمه على مصحوبها كالمقرون بلام الابتداء أوالقسم كما تقول لمحتسبا أصبر ولطائعا أقومن، وأما المصاحب لحرف مصدري فكالمصاحب لأل عند المصنف، ولابن عصفور فيه تفصيل وهو أنه إن كان الحرف المصدري عاملا امتنع التقديم، وإن كان غير عامل جاز تقديمه على مصحوبه دونه نحو عجيب مما ماشياً جاء زيد والأصل مما جاء زيد ماشياً وهذا التفصيل المذكور بالنسبة إلى الأدوات المذكورة لم يتعرض له المصنف بل حكم التقديم على العامل من غير تفصيل.

القسم الثانى: ما يمتنع فيه التقديم، وليعلم أن الموجب لمنع التقديم أمران: أحدهما يرجع إلى ذات العامل، والآخر يرجع إلى أمر عارض له، والأول منحصر فى خمسة أشياء وهى كون العامل غير متصرف، أو مصدرا مقدرا بحرف مصدري أو جامد اضمن معنى المشتق، أو أفعل التفضيل أو مفهم تشبيه، وأما الأمر الآخر فمنحصر فى ثلاثة وهى الأمور التى أوردها المصنف فى قسم الجائز على أن عدمها شرط لجواز التقديم ككون العامل صلة إما للألف واللام أو لحرف مصدري أو مقروناً بلام الابتداء أو مقروناً بلام القسم وإلى تفصيل صور الأمرين معاً أشار إلى المصنف بقوله: ويلزم تقديم عاملها إن كان فعلاً غير متصرف .. إلى آخره.

وإنما فصل المصنف فى الذكر بين الفعل غير المتصرف وبين الجامد ومابعده وكان من حقه أن يذكره مقروناً بتلك الأمور من جهة أن المنع فيها يرجع إلى العامل نفسه لأن المصنف أراد أن يجرى على بعض الشروط التى تقدم له ذكرها فى قسم الجائز فذكرها مرتبة ثم أتبعها غيرها وقد علمت أن أمور هذا القسم

ثمان، وتقديم تمثيل المصدر المقدر بحرف مصدري والعامل الواقع صلة لأل أو الحرف مصدرى والعامل المقرون بلام الابتداء والمقرون بلام القسم.

وأما الفعل غير المتصرف فمثاله ما أنصرك مستجدا، وأما الجامد المضمن معنى حكشتق فإما أن يكون ظرفاً أو شبهه وسيذكران، وإما غيرهما وذلك أما وحرف التنبيه والتمنى والترجى واسم الإشارة والاستفهام المقصود به التعظيم والجنس المقصود به الكمال والمشبه هكذا أوردها المصنف من غير زيادة، وبسط الشيخ الكلام عليها فنقلت كلامه ملخصاً ممزوجاً بكلام غيره، أما أمّا فمثل لها بقولهم: أما علما فعالم وأما صديقاً فأنت صديق وهو غير واضح لأن العامل ليس أما وقد تقدم الكلام على هذه المسألة.

وأما حرف التنبيه واسم الإشارة فنحو هذا زيد قائما، وقد أجازوا أن يكون العامل ها لأنه بمعنى أنبه، وأن يكون ذا لأنه بمعنى أشير فنصب قائما بأحدهما وهو حال من زيد فى اللفظ وفى المعنى من الضمير فى أنبه عليه أو أشير إليه والمختار أن يكون العامل اسم الإشارة لقربه

وإذا تقرر هذا علم امتناع قائما هذا زيد لتدمه عليهما، وأما ها قائما ذا زيد فجائز إن كان العامل حرف التنبيه لا إن كان العامل اسم الإشارة هذا مذهب الجمهور وهو جواز نسبة العمل إلى كل منهما وذهب ابن أبى العافية إلى أن العامل اسم الإشارة ولا يجوز أن يكون حرف التنبيه قال لأن الحرف أتى به إختصارا واستغناء عن الفعل فإعماله بما فيه معنى الفعل يرجع عما إعترفوه من الاختصار ويقوى ماذهبإليه أن همزة الاستفهام وحرف الاستثناء وما النافية لا يعمل شئ منها فى الحال .

وذهب السهيلى إلى أن العامل ليس شيئا منهما، وإنما العامل أنظر مقدرا دل عليه اسم الإشارة فإذا قلت هذا زيد قائما فكأنك قلت أنظر إليه قائما ومنع تقديم الحال على شئ من أجزاء الجملة قال: لأن العامل المقدر يشبه العامل المعنوى واسم الإشارة هو الدال عليه فلم يجز التقديم

وقد رد مذهب السهيلى بأنه يلزم منه تقرير عامل لم يلفظ به قط وإن الكلام يصير فى تقدير جملتين وظاهر الكلام أنه جملة واحدة وبأنه قد سمع التقديم على بعض أجزاء الجملة وهو قد منعه قال الشاعر:

أترضى بأنا لم تجف دماؤنا   وهذا عروساً باليمامة خالد

وعلى اسم الإشارة أيضاً قال الشاعر:

ها بينا ذا صريح النصح فاصغ له   طع فطاعة مهد نصحه رشد

وفى هذا البيت الثانى رد على فذهب ابن أبى العافية فإنه جعل اسم الإشارة عاملا ولو كان عاملا لم يتقدم الحال عليه.

وقال جمال الدين بن عمرون: قال السخاوى: إذا قلت: هذا زيد قائما إنما صح إذا كان المخاطب يعرف زيدا، ولا يجوز إذا أردت تعريف المخاطب بزيد لأن معنى الكلام إذ ذاك هذا زيد فى حال قيامه دون حال قعوده وذا محال فإذا كان المخاطب يعرف زيدا كانت الفائدة فى الحال وإذا كان يجهله كانت فى المعرفة به.

وأما حرف التمنى والترجى فهما ليت ولعل وذكر المصنف كأن أيضاً فى الكافية فقال بعد ذكر تلك كذلك ليت ولعل وكأن فزاد التشبيه، وقد صرح بذكر الثلاثة صاحب المفصل أيضاً وذلك نحو ليت زيدا مقيما عندنا ولعله وكأنه وقال

الشيخ: الصحيح أن ليت ولعل وباقى الحروف لا تعمل فى حال ولا فى ظرف ولا يعلق بها حرف جر إلا كأن وكاف التشبيه قال النابغة:

كأنه خارجاً من جنب صفحته ۔ سفود شرب نسوه عند مفتأد

ويدل على ذلك أنك لو قلت ليت زيدا اليَوم ذاهب غدا ونحوه لم يجز ذلك بإجماع قال: وعلل الفارسى منع ذلك فى الحلبيات بأنها فى دلالتها على المعانى قصد بها غاية الإيجاز فالألف تغنى عن أستفهم وما عن أنفى وإن عن أؤكد فلو أعملت فى الظرف والحال ومكنت تمكين الفعل لكان نقضاً لما قصدوه، قال: وهذا التعليل هو الذى أشار إليه ابن أبى العافية فى منع عمل حرف التنبيه انتهى. وقال جمال الدين ابن عمرون: إن قيل: إن ها حرف فلم جاز أن يعمل فى الحال وكذا يا وليت وكأن ولعل ولم يجز عمل ما فى الحروف من معنى الفعل، لأن الحرف أتى به للاختصار وكذا لا تعمل همزة الاستفهام وحرف الاستثناء وما النافية فى الحال نص عليه أبو على فى البصريات.

قيل إن يا نفس الفعل المعبر عنه بناديت وها هى نفس الفعل المعبر عنه نبهت وكذا ليت وكان ولعل فلما كن نفس الفعل المعبر عنه بالفعل فى تمنيت وشبهت وترجيت ونبهت وناديت صارت مشاهدتك الفعل دليلا على العبارة عنه كما إذا رأيت من يضرب فتقول: زيدا قامت مشاهدتك الفعل مقام لفظك با ضرب فلذا عملت بخلاف الهمزة فى الاستفهام فليست المعبر عنه باستفهمت لأن استفهمت عبارة عن طلب الفهم فلو قال أفهم لصح أن تقول أستفهم فعملت أن الهمزة فى أزيد عندك ليست المعبر عنها باستفهمت، وكذا حرف الاستثناء فإن الاستثناء له فإن الاستناد عبارة عن المحدود وبذلك وكذا النفى ليس عبارة عن المحدود عن ما فحصل الفرق انتهى، وفى كلامه غموض فليتأمله الواقف عليه.

ومنهم من جوز إعمال ليت ولعل فى الحال كما أشار إليه المصنف قال الشيخ: وكما فارقت أن أخواتها فعملت فى الظرف رالحال فارقتها أيضاً فى وقوعها نعتا لنكرة وحالا من معرفة وخبراً لكان وأخواتها قال الشاعر:

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة   من الرقش فى أنيابها السم ناقع

وأما الاستفهام المقصود به التعظيم فنحو قولهم: (يا جار تاما أنت جاره) فجارة منصوب على الحال، والعامل فيها ما الاستفهامية بما تضمنه من معنى التعظيم فكأنه قال ما أعظمك جارة قال الشيخ: وهذا تفسير معنى، وتفسير الإعراب أى عظيمة أنت فى حال كونك جارة وهذا عجز بيت للأعشى وصدره: بانت لتحزننا عقارة

وأجاز الفارسى أن تكون منصوبة على التمييز بدليل جواز دخول من عليه كما قالل الآخر: يا سيداً ما أنت من سيد

وقد ذكره المصنف فى باب التمييز وسيأتى وجوز بعضهم فى ما أن تكون نافية تيمية أو حجازية والنفى على وجهين:

أحدهما: ما أنت جارة لبينونتك عنا الثانى: ما أنت جارة بل أعظم من ذلك كقوله تعالى: ما هذا بشراً.

وأما الجنس المقصود به الكمال فنحو أنت الرجل علما وقد تقدم الكلام عليه وأما المشبه به فنحو هو زهير شعراً وتقدم الكلام عليه أيضاً ومقتضى كلام المصنف هنا أن العامل فى الحال المشبه به ولهذا امتنع تقديمها عليه لكن قد تقدم أن التقرير فى ذلك هو مثل زهير فى حال شعر وحينئذ لا يكون العامل المشبه به بل مثل المحذوفة ويكون امتناع تقديم الحال من جهة أن العامل صفة لا تشبه

الفعل المتصرف وقد تقدم إستثناؤه، اللهم إلا أن يلغى المحذوف ويجعل الأول والثانى مجازاً للمبالغة فصح نسبة العمل إلى المشبه به ولعل ذلك مراد المصنف.وأما أفعل التفصيل فنحو هو أكفاهم ناصرا وكان حق أفعل التفضيل أن يجعل له مزية على الجوامد المتضمنة معنى الفعل لأن فيه ما فيهن من معنى الفعل ويفوقهن بتضمن حروف الفعل ووزنة ومشابهة أبنية المبالغة فى إقتضاء زيادة المعنى وفيه من الضعف لعدم قبول علامة التأنيث والتثنية والجمع ما إقتضى إنحطاطه عن درجة اسم الفاعل والصفة المشبهة فجل موافقاً للجوامد إذا لم يتوسط بين حالتين كالمثال المتقدم، وجعل موافقاً للصفة المشبهة إذا توسط نحو: تمرنا يسراً أطيب منه رطباً وسيأتى الكلام عليه.

أما مفهم التشبيه فنحو زيد مثلك شجاعاً وليس مثلك جواداً، وكذا إذا حذف مثل وضمن الشبه معنى كقولك زيد زهير شعراً، وأبو يوسف أبو حنيفة فقها ومنه:

فإنى الليث مرهوباً حماه وعندى زاجر دون إفتراسى

هكذا ذكره المصنف.

وقد يقال: إذا ذكرت مثل فالمانع من التقديم كون العامل صفة تشبه الفعل المتصرف لا كونه أفهم التشبيه وإن إتفق أن كذلك، وكذا إذا لم يذكر مثل لأنها مرادة، ومع ذلك فقد فهم هذا الحكم من قوله أولا عن تعديد أقسام الجامد المضمن معنى مشتق والمشبه به ومثله بنحو زهير شعراً فلا فائدة إذ لقوله: أو مفهم تشبيه وأما الظرف وشبهه فنحو زيد عندك مقيماً وعمرو فى الدار قائما وفى تقدم الحال على العامل هنا خلاف: مذهب سيبون المنع مطلقا أى صريحة

كانت الحال أو غير صريحة، ومذهب الأخفش والكسائى والفراء الجواز ومطلقاً والمذهب الثالث ونسبه الشيخ إلى ابن برهان التفصيل بين أن يكون الحال ظرفاً أو شبهه فيصح التقديم أو غير ذلك فيمتنع.

والخلاف المذكور جار فيما إذا تقدمت الحال على عاملها المذكور دون المسند إليه نحو زيد قائما عندك أو فى الدار، أما إذا تقدمت عليها فهى ممتنعة بلا خلاف نحو قائما زيد فى الدار ولهذا قال المصنف: مسبوقاً بخبر عنه، فجعل السبق قيداً فى الجواز، ومستند سيبويه أن العامل مفعول فلا يقوى فى تقدم معموله عليه وإذا منعوا أن يتقدم معمول الفعل غير المتصرف فمعمول المعنى أحرى يالمنع. واستدل الأخفش ومن واقعة بقراءة بعض السلف: والسموات مطويات بيمينه ويقول ابن عباس رضى الله تعالى عنه: نزلت هذه الاية ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) متوارياً بمكة ويقول الشاعر:

بنا عاذ عوف وهو بادى ذلة ... لديكم فلم يعدم ولاء ولا نصراً

ويقول النابغة:

رهط ابن كوز محقبى أدراعهم ... فيهم ورهط ربيعة بن جذار

ويقول الآخر أنشده الفارسى

أبو كليب فى الفخار كدارم ... أم هل أبوك مدغدغاً كعقال

ويقول الآخر:

ونحن متعنا البحر أن تشربوا به ... وقد كان منكم ماؤه بمكان

وقد تأول المانع ذلك كله بما يقرب تأويله وما يبعد.

واختار المصنف جواز التقديم غير أنه جعله قويا (إن كانت الحال ظرفاً أو شبهه وضعيفاً إن كانت غير ذلك فقال: ويضعف القياس على الصريحة لضعف العامل وظهور العمل، ولا يضعف القياس على تقديم غير الصريحة لشبه الحال فيه بخبر إن إذا كان ظرفاً فكما استحسن القياس على إن عندك زيدا لكون الخبر فيه يلقط الظرف الملغى ولتوسعهم فى الظروف بما لا يتوسع فى غيرها مثله، كذا يستحسن القياس على: وقد كان منكم ماؤه بمكان انتهى

ولايظهر لى أن قول الشاعر: وقد كان منكم ماؤه بمكان مما نحن بصدده.لأن منكم المحكوم بحاليته قد تقدم على العامل المعنوى وعلى المخبر عنه معا، وقد تقدم أن من شرط الجواز ألا يتقدم على المخبر عنه، وإنما يحسن الاستشهاد بقول الآخر:

فقلت له لما تكشر ضاحكاً وقائم سيفى من يدى بمكان

أى وقائم سيفى كائناً من يدى بمكان.

ثم قال المصنف: ولا يجرى العامل الظرفى من العوامل المعنوية باتفاق لأن فى العامل الظرفى ماليس فى غيره من كون الفعل الذى ضمن معناه فى حكم المتطوق به لصلاحية أن يجمع بينه وبين الظرف دون استقباح بحلاف غيره فإنه لازم التضمين غير الصالح للجمع بينه وبين ما تضمن معناه فلهذا اختفى العامل الظرفى بجواز تقدم الحال عليه دون غيره من العوامل المعنوية.

وأجاز الأخفش فى غيرها أيضاً فى الجملة الحالية المقرونة بالواو إذا كان العامل ظرفاً ما أجاز فى غيرها فاستحسن أن يقال: زيد وماله كثير فى البصرة.

القسم الثالث: ما يجب تقديم الحال على عاملها وهو الذى لم يتعرض إليه المصنف وذلك إذا كان الحال اسم استفهام نحو كيف جاء زيد؟وكيف كلمت عمرا؟

ولترجع إلى الكلام على أفعل التفصيل إذا توسط بين حالين وذلك قولك هذا يسراً أطيب منه رطباً، وهذا المثال هو كالعلم على هذه المسألة وقد إختلف فى ذلك فقيل العامل فى يسراً اسم الإشارة وقيل حرف التنبيه والعامل فى رطبا أطيب على القولين، وقيل العامل فيهما كان التامة أي هذا كان يسراً أطيب منه إذا كان رطبا وقيل العامل كان الناقصة فيسراً خبراً لها وكذا رطباً فعل الأقوال الثلاثة الأول لم يتقدم الحال على عاملها المعنوى ولاغيره، وعلى القول الرابع ليس فى المسألة حال.وقيل العامل فيهما معا أفعل التفصيل وهو أطيب وإياه قصد المصنف.

أما القول الأول فنسب إلى حماعة منهم الفارسى...إلخ

ونص ناظر الجيش ينسب الأقوال الخمسة إلى أصحابه ويضعف بعضها ويذكر وجوه الضعف حتى انتهى من ذلك كله ثم قال:

وقال ابن عصفور فى شرح الإيضاح: اعلم أن نصب الاسمين لا يجوز إلا فى ثلاثة أماكن:

أحدها: أن يكون للشئ انتقالان لصحتها صفة تلك الصفة أقوى بالنظر إلى أحدهما منها بالنظر إلى الآخر وذلك نحو هذا يسراً أطيب منه رطباً

وهذا مادحاً أقوى منه قادحاً.

والآخر: أن يكون الشئ الواحد تعتوره صفتان وتلك الصفتان تصحبهما صفة هى فى أحدهما أكثر منها فى الأخرى أو أقل وذلك نحو قولك زيد قاعداً

أخطب منه قائماً، وزيد فارساً أولى مضاء منه راجلا.

والثالث: أن يشترك شيئان فى صفة واحدة وتلك الصفة لأحدهما فى حال من أحواله أكثر منها للآخر فى حال من أحواله أو أقل، وذلك نحو قولك: زيد راجلا أمضى من عمرو فارسا وزيد فارسا أمضى من عمرو فارساً وزيد فارسا أقل مضاء من عمرو راجلا وماعدا ذلك لا يجوز فيه نصب الاسمين بل رفعهما وذلك إذا اشترك الشيآن فى صفة واحدة هى لأحدهما أكثر منها للآخر على كل حال وذلك نحو قولهم: هذ يسر أطيب منه عنب فيسر خبر هذا وأطيب مبتدأ وعنب خبره والجملة فى موضع الصفة ليسر، لا يجوز أن يكون أطيب خبراً مقدما وعنب مبتدأ وجاز الابتداء بالنكرة لعمومها انتهى. وقال ابن عصفور فى الشرح أيضاً: ورغم الزجاج أن السبب فى أن لم تتقدم الحالان فيقال هذا يسرا رطبا أطيب منه أو تؤخران فيقال هذ أطيب منه يسرا رطبا أنهم أرادوا أن يفصلو بين المفضل والمفضل عليه لئلا يقع الإلباس بينهما، وهذا التعليل حسن إلا أنه لا مانع عندى من أن يقال هذا أطيب يسرا منه رطبا على أن يكون يسرا حالا من الضمير المستتر فى أطيب ورطبا حال من الضمير المجرور بهم، لأن تقدم إحدى الحالتين على من وتأخر الأخرى عنها فاصل بين المفضل والمفضل عليه إذ لا يكون بعد من إلا المفصول انتهى.

ولم يذكر فى الشرح ما احترز عنه بغالباً فى قوله: واغتفر توسيط ذى التفضيل بين حالين غالباً، ويحتمل أن فى غير الغالب قد تقدم الحالان أو تؤخران لكن قد علمت من كلام الزجاج أن تقديمها وتأخيرها غير جائز لعدم السماع، إلا أن ابن عصفور أجاز تأخيرهما بالشرط الذى تقدم ذكره، فيمكن صرف غير الغالب فى كلام المصنف إلى ذلك والله تعالى أعلم.

وقول المصنف:

وقد يفعل ذلك بذى التشبيه أى يتوسط بين حالين فيعمل فى أحدهما متقدماً وفى الآخر متأخراً كما فعل التفضيل، وأنشد المصنف شاهداً على ذلك:

أنا فذا كهم جميعاً فإن أمدد أبدهم ولات حين بقاء

وأنشد أيضاً:

تعيرنا أننا عالة ونحن صعاليقك أنتم ملوكاً

قال: أراد ونحن فى حال تصعلكنا مثلكم فى حال ملككم فحذف مثلاً وأقام المضاف إليه مقامه مضمنا معناه وأعمله بما فيه من معنى التشبيه، ومراد المصنف بقوله: وقد يفعل ذلك أنه إذا عمل فى حالين جاز تقديم أحدهم وتأخير الآخر كما كان ذلك مغ أفعل التفصيل، وإلى هذا أشار يقوله: ذلك فلا يرد عليه ما ناقشه الشيخ.

وقل الشيخ: وما ذهب إليه المصنف من أن أداة التشبيه تعمل فى حالين يتقدم إحداهما عليها وكذلك الضمير لقيامه مقام الأداة لا يصح لأنها ليست لأفعل التفصيل فإنه ناب مناب عاملين، وأداة التشبيه ليست كذلك ولأن تقديم الحال على أداة التشبية غير جائز ولأن أعمال الضمير لا يجوز فالصحيح أن ينتصب فذا وصعاليك على إضمار إذا كان كأنه قال: أنا إذا كنت فذاكهم جميعاً ونحن إذا كنا صعاليك انتهى وفى بعض كلامه نظر.

(ص) (ولا تلزم الحالية فى نحو: فيها زيد قائما بل ترجح على الخبرية وتلزم هى فى نحوو فيك زيد راغب، خلافاً للكوفيين فى المسألتين).

(ش) إذا وجد اسم مخبر عنه مع ظرف أو جار مجرور وقد يصحبهما اسم آخر فقد يحسن السكوت على المخبر عنه مع الظرف أو المجرور أى تتم بهما الفائدة وقد لا يحسن أى لا تتم الفائدة بهما فهاتان مسألتان:

أما الأولى فلها ثلاث صور: إحداها: ألا يتكرر الظرف ولا المجرور ولا المخبر عنه، والثانية: أن يتكرر أحدهما دون المخبر عنه، والثالثة: أن يتكرر أحدهما والمخبر عنه:

أما الصورة الأولى فيجوز فيها جعل ذلك اسم المصاحب المخبر عنه والظرف خبراً وحالا بخلاف نحو فى الدار زيد قائما فمع النصب يتعين الظرف للخيريه، ومع الرفع جاز كونه خبراً عند من يرى جواز تعدد الخبر، وجاز كونه فى محل نصب متعلقا بذلك الاسم الواقع خبرا، وظاهر كلام سيبويه حمله على الثانى: قال الشيخ: إن قدمت الظرف فى هذه الصورة على المخبر عنه كان النصب فى الاسم الثالث مختارا عند سيبويه نحو: فى الدار زيد قائما لئلا تلغى الظرف متقدما، وإن أخرته عن المخبر عنه كان الرفع هو المختار عنده قل: وقال أبو العباس التقديم والتأخير فى هذا واحد انتهى.

وكأن أبا العباس سوى بين النصب والرفع قدم الظرف أو أخر.

وأما الصورة الثانية وهى التى أشار إليها المصنف فى متن الكتاب فيجوز فيها الوجهان أيضاً ويحكم يرجحان النصب بنزول القرآن العزيز به كقوله تعالى:

(وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها) وكقوله تعالى (فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها) وإدعى الكوفيون أن النصب فى مثل هذا لازم، لأن القرآن العزيز نزل به لا بالرفع.

والجواب أن هذا لا يدل على أن الرفع لايجوز بل يدل على أن النصب أجود منه، ولا فرق فى إختيار النصب هنا بين أن يتأخر الظرف عن الاسم كما فى الآيتين الكريمتين، أو يتقدم على الاسم نحو فى الدار زيد قائما فيها.

وأما الصورة الثالثة فهى كالصورة الثانية فى جواز الوجهين لكن الرفع راجح فيها على النصب لنزول القرآن العزيز به كقوله تعالى (وأما الذين إبيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون).

وأما المسألة الثانية وهى أن يكون الظرف أو حرف الجر فيها غير مستغنى به فيتعين جعل الاسم المصاحب فيها خبرا وأشار المصنف إلى ذلك بقوله تعالى: وتلزم هى الى آخرى أى الخبرية، وسواء تكرر الظرف نحو: فيك زيد راغب فيك أو لم يتكرر نحو فيك زيد راغب، وأجاز الكوفيون نصب راغب وشبهه على الحال وأنشدوا:

فلا تلحنى فيها فإن بحبها أخاك مصاب القلب جما بلابله

قال المصنف: والراوية المشهورة مصاب القلب جم بالابله، على أن لا تمنع رواية المصنف النصب بل نجوزها على أن يكون التقدير فإن بحبها أخاك شغف أو فتن فإن ذكر الباء داخلة على الحب دل على معنى شغف أو فتن، كما أن ذكر فى داخلة على زمان أو مكان يدل علمه علي معنى استقر وليس كذلك ذكر فى داخلة على الكاف فى قولهم فيك زيد راغب فلا يلزم من جواز نصب مصاب القلب الحكم بجواز نصب راغب ونحوه، وقد علمت من هذا معنى قول المصنف خلافا للكوفين فى المسألتين يعنى أنهم يوجبون الحالية فى المسألة ويجوزونها فى المسألة الثانية.

الفصل الرابع

(نص من باب التمييز)

(تعريف التمييز)

(ص) باب التمييز: (وهو ما فيه من الجنسية من نكرة منصوبة فضله غير تابع).

شرحه صاحبها فقال: قال المصنف (ويقصد به ابن مالك وقد نقل كلامه من شرح التسهيل جـ٢ ص ٣٧٩ مطبوع، تحقيق د/ عبد الرحمن السيد ود/ بدوى المختون) التمييز والتبين والتفسير والمميز والمبين والمفسر أسماء للنكرة الرافعة للإبهام فى نحو امتلأ الإناء وماء زيد حسن وجها وله رطل زيتا ومدبرا وذراعان حريرا وعشرون درهما، وحدد جرى بما فيه معنى من احترازا من الحال فإنها تشاركه فيما سوى ذلك من القيود، وقيدت بالجنسية ليخرج ما فيه من وليست جنسية كذنبا من قول الشاعر:

إستغفر الله ذنبا لست محصية رب العباد إليه الوجه والعمل

فإن فيه ما فى التمييز من التنكير والنصب والفضلية وعدم التابعية ووجود معنى من إلا أنها غير الجنسية، فلذلك لم يجعلوا ذنبا تمييزا بل مفعولا به، وقيدت التمييز بنكرة احترازاً من المعرفة المنتصبة على التشبية بالمفعول به فى نحو حسن وجهه فإن فيه ما فى حسن وجها إلا التنكير فبذلك افترقا ولم ينتصبا من وجه واحد، وذكر النصب احتراز من النكرة المضاف إليها وفيها معنى من الجنسية نحو له رطل زيت، وخرج بفضلة اسم لا المحمولة على إن نحو: لا خيرا من زيد فيها فإن ما فيه ما فى التمييز إلا الفضلية ففيه ضدها وخرج بغير

تابع ما جعل تابعا للعدد من جنس المعدود نحو قبضت عشرة دراهم فإن دراهم فيه من معنى الجنسية وهو نكرة منصوبة فضله لكن تابع فلم يتناوله التمييز، ومثل هذا أسباطا فى قوله تعالى (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا) وخرج أيضا بغير تابع صفة اسم لا المنصوبة فإنها نكرة منصوبة فضلة بمعنى من الجنسية لنكرة تابع ففارقت التمييز.

ثم نقل خمسة وجوه لأبى حيان ينقد فيها تعريف ابن مالك السابق للتمييز من كتابه التذييل والتكميل (جـ٤ ص ٥ تحقيق الدكتور الشربينى أبو طالب) ثم نقل بقية الكلام من شرح التسهيل لابن مالك لأنه ضم متنا من التسهيل إلى المتن السابق.

أما ناظر الجيش فقد شرح المتن السابق فقط قائلا:

(متن) المقصود بالحد المذكور يطلق عليه التمييز والتبيين والتفسير والمميز والمبين والمفسر، والتمييز أغلب ألقابه وهو فى الأصل مصدر غير الشيء إذا فصله وأفرده من غيره والثلاثى منه ما يقال مزذا من ذا أى افصله ومنه قوله تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فقوله: ما فيه معنى من يشمل التمييز نحو امتلأ الإناء ماء وله رطل زيتا وثانى منصوب استغفر كذنبا من قول الشاعر:

استغفر الله ذنبا لست محصبه   رب العباد إليه الوجه والعمل

والمنصوب على التشبيه بالمفعول به فى نحو هو حسن وجهه والنكرة المضاف إليه فى نحو رطل زيت واسم لا المحمولة على إنّ نحو لا خيرا من زيد فيها وتابع العدد إذا كان من جنس المعدود نحو قبضت عشرة دراهم ونحو

أسياطبا من قوله تعالى (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً) وصفة اسم لا المنصوبة نحو لا زجل طريفا فيها.

فأخرج ثاني منصوبي استغفر بقوله: الجنسية، والمنصوب على التشبيه بالمفعول به في المثال المتقدم بقوله: نكرة، والنكرة المضاف إليها المفيدة للتمييز بقوله: منصوبة، واسم لا بقوله: فضلة، وتابع العدد المذكور وصفة اسم لا المنصوبة بقوله: غير تابع.

قال المصنف: واحترز بما فيه معنى من الحال فإنها تشارك التمييز فيم سوى ذلك من القيود.

ثم قال ناظر الجيش شارحا: ولا يخفى ما في هذا الحد من القلق وإن قوله: وأحترز مما فيه معنى من الحال ل يحتاج إليه مع أن الجنس لا يؤتى به للاحتراز لكن المصنف لا يعتبر ذلك وكأنه لم لم يتعين عنده المذكور أولا للجنسية جاز أن يحترز به كما بالفصول ولكن ترك هذا أولى.

وقد ناقشه الشيخ في قوله: ما فيه معنى من قال: إن التمييز المنقول ليس فيه معناه وفي قوله: غير تابع قال: لا يحتاج إليه لأن التابع لا يلزم نصبه إنما هو بحسب المتبوع قال: وكذا صفة اسم لا لا يحترز منها لأنها يجوز رفعها بخلاف التمييز فإنه يلزم فيه النصب وأيضا ليس في الصفة المذكورة معنى من فلم يدخل أولا ليحرز عنه ثانيا انتهى.

أما قوله: إن التمييز المنقول ليس فيه معنى فظاهر إل أن يدعى المصنف التعميم، ويقول: لا يلزم من عدم جواز ظهور من معه فيما ذكرتم ألا يفسر بها المعنى فكم من مقدر معنى وظهوره ممتنع. وأما قوله: إنه لا يحتاج لقوله غير

تابع لأن التابع لا يلزم نصبه، فالمصنف إنما احترز به على تقدير تبعيته للأول ما دام منصوبا، وأما قوله: إن صفة اسم لا لا يجوز رفعها فنقول: ما احترز منها إلا ما دامت منصوبة، وإما قوله إن صفة اسم لا ليس فيها معنى من فصحيح.

والأقرب فى حد التمييز ما ذكره ابن الحاجب وهو: ما يرفع الإبهام المستقر عن ذات مذكورة أو مقدرة.

فقوله: يرفع الإبهام يشمل التمييز وغيره كالحال.

وقوله: عن ذات يخرج غير التمييز.

وقوله: المستقر يخرج به نحو مبصرة من قولك عين مبصرة لأنه يرفع الإبهام عن ذات وليس بتمييز لأن الإبهام فيها غير مستقر بخلاف نحو عشرين فإنه موضوع لذات منبهمة فى أصل الوضع، وعين وضع دالا على كل واحد من مدلولاته، وإنما عرض الإبهام فيه من جهة تعدد الوضع.

وقوله: مذكورة أو مقدرة تقسيم للتمييز فإنه يكون عن ذات ذكرت كعشرين درهما ويكون عن ذات مقدرة كحسن زيد زيا لأن حسن مسند فى اللفظ إلى زيد وهو فى المعنى مسند لمقدر متعلق بزيد وذلك المقدر مبهم لاحتمال متعلقاته كلها فإذ قلت أبا فقدر رفعت الإبهام عن الذات المقدرة كما رفعت الإبهام فى عشرين درهما عن الذات المذكورة ومميز الذات المذكور هو مميز المفرد ومميز الذات المقدرة هو مميز الجملة، وحقيقة الذات المقدرة أنها النسبة الحاصلة بين منتسبين فكل ما ميز نسبة أطلق عليه مميز جملة، وما لم يميز نسبة فهو مميز مقرد، ويعبر النحويون عن القسم الأول أعنى مميز الجملة بأنه المنتصب عن تمام

الكلام وعن القسم الثانى بأنه المنتصب عن تمام الاسم. واعلم أن التمييز مناسب للحال من وجوه ومفارق لها من وجوه:

أما المناسبة: فكونهما نكرتين، وبأيتان بعد تمام الكلام ويبينان هيئة فالتمييز يبين هيئة الذوات، والحال يبين بها الهيئات.

وأما المفارقة: فمن جهة أن الحال بابها الاشتقاق والتمييز به الجمود.

والحال يحسن معها تقدير فى والتمييز يحسن معه تقدير من.

والحال ليس فى تقديمها على العامل المتصرف خلاف بين البصريين وفى التمييز خلاف.

والحال تكون منتقلة فى أحد أقسامها والتمييز لا يكون منتقلا.

والحال يقع جملة والتمييز ليس كذلك.

دعوة لطبع هذا الكتاب

بعد أن فرغنا من الأمر الذى نريد أن ننبه عليه، وبعد أن كشفنا الحقيقة عن موضوع كنا نؤجله من سنين، بعد ذلك كله ننحى هذا الأمر جانبا ونتركه وننساه إلى أمر آخر نذكره دائما وندعو إليه فنقول: إن شرح التسهيل لناظر الجيش كتاب عظيم فى النحو والصرف، قرأت كثيرا منه قراءة متأنية واستفدت منه فى تآليفى المختلفة، فهو موسوعة علمية كبيرة يلم بالموضوع من كل جوانبه، وبالباب من كل نواحيه، فلا يترك صغيرة ولا كبيرة مع أسلوب جزل وألفاظ قوية تنساب كما ينساب الماء، ويحتوى علي نقول من كتب ضاع غالبها كشرح الإيضاح لابن عصفور وشرح الإيضاح لابن هشام الخضراوى وشرح المفصل لابن عمرون والتذكرة لأبى على الفارسى، وهو كتاب جامع يحتوى على شرحين للتسهيل وهما شرح ابن مالك وشرح أبى حيان، كما يمتاز بدفاع المؤلف طوال الكتاب عن ابن مالك أمام تجنى أبى حيان وسلاطة لسانه عليه.

هذا الكتاب الكبير العظيم يجب أن يطبع ويخرج إلى النور ليكون بأيدى الناس يستفيدون منه وينهلون من علم صاحبه، أما أن يظل حبيساً بين رفوف المكتبات وخزائن دور الكتب فهو أمر شديد على النفس حيث يفقد قيمته وتضيع فائدته، والمشكلة ذات شقين كلاهما صعب:

الأول: كيف يجتمع هؤلاء الستة الذين حققوا الكتاب ونالوا به أرفع الدرجات العلمية؟ كيف يجتمعون ويجلسون ليعيدوا القراءة مرة أخرى ويكتبون التحقيق مرة ثانية منخولا مصفى يخلو من الحشو والتطويل حيث أن هناك فرقا بين التحقيق لنيل درجة علمية والتحقيق لطبع الكتاب وإخراجه فى أيدى الناس فالتعليقات فى الأول تكون مطولة وفى الثانى موجزة، لأن القارىء فى

الرسالة العلمية يهمه الوقوف على شخصية الباحث من خلال تعليقاته بالدرجة الأولى، وأما القارىء الآخر فيهمه النص المحقق، كيف يجتمع هؤلاء وإذا اجتمعوا فلابد أن ترصد لهم مكافآت وأجور تبلغ فى جملتها خمسين ألف جنيه على الأقل، إن بعضهم من مصر وبعضهم من خارجه ومن يدرى لعل بعضهم قد انتقل إلى الرفيق الأعلى والأمر كذلك فى الثمانية الذين حققوا شرح أبى حيان فقد انتقل منهم اثنان إلى العالم الآخر، أرأيت أخى القارىء أن الأمر صعب.

الثانى: أن طبع هذا الكتاب وهو شرح التسهيل لناظر الجيش يحتاج إلى مبلغ كبير على الأقل مائة ألف جنيه لطبع ألف نسخة من الكتاب فمن يستطيع من الأفراد تدبير هذا المبلغ وهو أمر أشق من الأول.

وعلاجا لذلك أقول: إن تدبير المبلغ المذكور وهو حق التأليف وحق الطبع يكون من أحد جهتين:

- رجال من أهل الخير يبتغون به وجه الله كما ينشئون مدرسة ويبنون مسجدا ويطبع من الكتاب ألف نسخة توزع منها خمسائة على المكتبات المختلفة كهدايا، وما بقى يباع بثمن يرد لأهل الخيرة مرة أخرى ينفقون منه على طبع كتاب آخر.
- رجال من أصحاب الأعمال ممن يريد المكاسب ويبغون إستثمار أموالهم - إن واحدا وإن جماعة وإن شركة وإن بنكا للمال - وسيطبع من الكتاب ألف نسخة تباع الواحدة بخمسمائة جنيه ليكون ثمن الكتاب نصف مليون جنيه، وأنا ضامن لهؤلاء أن كتابا سيباع فى أقل من ستة أشهر يستردون ما أنفقوه

مع أرباحهم، ولا عجب فى ذلك فرجال الأعمال يستثمرون أموالهم فى إنتاج أفلام تعرض على القنوات المرئية والمسموعة وبنوك المال تبنى عمارات سكنية بغية الربح وإنماء المال.

الأمر هنا أسرع من ذلك كله وأضمن ربحا وعائدا، وأمامن أمثلة من ذلك فكثير من تجار الكتب قد كسبوا أموالا هائلة من ورائه وهم يعرفون أن طالب العلم يوفر من قوته ليشترى الكتاب كما يعرفون لهفة من يحتاج إلى الكتاب واستعداده لشرائه بأى ثمن بل إله عجز نسخته أثناء الطباعة.

(دورى فى هذا الموضوع)

أما أنا فلدى استعداد أن أكون عضوا فى لجنة التحقيق المذكورة أعمل بأجرا وبغير أجر، وأن أجمع إخوتنا الأحياء الذين حققوا الكتاب ليعيدو التحقيق مرة أخرى وهو اختصار لما فعلوه، كما أجمع بعض إخوتنا الذين لهم باع فى النحقيق من غير السابقين، وبعض الكتاب الذين يتفرغون للنقل وإعادة كتابة النص وينفق على هذه اللجنة من المبلغ المرصد ولها ويتم هذا العمل فى أقل من عام ثم يدفع الكتاب كله للطباعة على أن يشرف على الطباعة علميا بعض أعضاء اللجنة السابقة وبلا أجر.

وفوق ذلك كله فإنى مستعد أن أتبرع للجنة بجميع نسخ الكتب التى عندى دون مقابل وبخاصة النسخة التى صورتها من تركيا والتي تحتوى على الأبواب الأربعة المفقودة والتى لا توجد فى نسخ بار الكتب أو معهد المخطوطات.

وهذه دعوى أطلقها من فوق منبر هذه المجلة لعلها تجد آذانا صاغية من رجال الخير أو رجال الأعمال حيث يقرأ أحدهما المجلة أو تصل إليه عن طريق

بعض الناس، أما أن تتكل على الدولة لتطبع هذه الكتب، أو تكلف الجامعات المختلفة أخراجها إلى النور، أو نترك كل واحد يطبع عمله وبحثه فهى أمور بعيدة المنال.

وما قلته فى شرح التسهيل لناظر الجيش أقوله فى:

١- شرح التسهيل لأبى حيان المسمى بالتذييل والتكميل.

٢- شرح السيرافى لكتاب لسيبويه.

٣- شرح الشاطبى للألفية.

وكتب أخرى لا حصر لها وتخصصات كثيرة غير ذلك ألا قد بلغت اللهم فاشهد والله يوفقنا لما فيه الخير.

د/ على محمد فاخر

الأستاذ بكلية اللغة العربية جامعة

الأزهر بالمنصورة

المراجع والمصادر

١- تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبد السلام هارون (الطبعة الرابعة ١٩٧٧م).

٢-التذييل والتكميل (شرح التسهيل لأبى حيان جـ٣) تحقيق د/ حماد البحيرى رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

٣- التذييل والتكميل (شرح التسهيل لأبى حيان جـ٤) تحقيق الدكتور الشربينى أبو طالب رسالة دكتوراه بالكلية والجمعة السابقة.

٤- تسهيل القوائد وتكميل المقاصد لابن مالك تحقيق محمد كمل بركات الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٧.

٥- تمهيد القواعد بشرح التسهيل الفوائد (شرح التسهيل لنظر الجيش) عدة وسائل دكتوراه بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة.

٦- ديوان الأعشى: تحقيق حنا نصر - دار الكتاب العربى - بيروت ١٩٩٢م.

٧- ديوان البارودى - دار الكتب المصرية.

٨- ديوا النابغة الذيبانى - كرم البستانى - دار صدر - بيروت.

٩- شرح التسهيل لابن مالك (د/ عبد الرحمن السيد - د/ محمد بدوى مختون دار هجر - أربعة أجزاء في مجلدين).

١٠- شرح التسهيل لناظر الجيش نسخ مخطوطة مصورة من أماكن مختلفة (دار الكتب - معهد مخطوطات - تركيا).

١١- شرح الجمل الكبير لابن عصفور (الشرح الكبير) تحقيق جعفر أبو جنح (الفرق - جزآن - ١٩٨٢).

١٢- شرح الكافية الشافية لابن مالك تحقيق د/ عبد المنعم هريدى - جامعة أم القرى (خمسة أجزاء).

١٣- شرح المفصل لابن الحاجب المسمى بالإيضاح فى شرح المفصل تحقيق سوى بناء العليلى - جزآن - وزارة الأوقاف بالعراق.

١٤- شرح المفصل لأبن يعيش (عشرة أجزاء) عالم الكتب بيروت - مكتبة المتنبى (القاهرة).

١٥- همع الهوامع شرح الجوامع للسيوطى - دار المعرفة - بيروت - جزآن فى مجلد.



لمحات عن (يا) في التراث

الدكتورة

رقية محمد صالح بن إبراهيم الخزامى

الأستاذة المساعدة فى كلية اللغة العربية

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

تقديم :

- وردت (يا) فى العربية نداءً وتنبيهاً، اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، عاملة وهاملة، مذكورة ومحذوفة، متعددة الدلالات واللغات والأغراض، وسوف أتناول فى هذه الدراسة كل أولئك تفصيلاً وتوضيحاً ، وقبل أن أتطرق إلى الحديث عن هذه اللمحات ينبغى أن أقدم لها ببيان عن زصل (يا) وأصل الألف فيها فأقول وبالله التوفيق :

أصل (يا) :

الذى يظهر لى أن أصلها (ياء) فقصرتها العرب واستعملتها فى النداء فاختصت به، وصارت علما عليه، كلما قُصِرَت تاء الفاعل وتاء التأنيث وياء المخاطبة فى قول ابن مالك – رحمه الله :

*** بتا فعلت وأتت ويا افعلى ...... ***

أى : بتاء فعلت، وهى تاء الفاعل ، وتاء أتَتْ وهي تاء التأنيث وياء افعلي وهي ياء المخاطبة [١].

كنا نرى ابن مالك قد جمع بين الإتمام والقصر فى التاء فقال :

علامة التأنيث تاء أو ألف ** وفى أسامٍ قدّروا التا كالكتف [٢]

كما نراه قصر الياء بصدد مايقلب ألفه ياءً فى باب التثنيه فقال :

*** كذا الذى اليا أصله نحو الفتى .. *[٣]**

(١) انظر إعراب الألفية المسمي تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب للشيخ خالد الأزهرى ٧ وانظر التصريح بحاشية ياسين ١/ ٣٩، وحاشية الصبان على الأشموني ، ١/ ٤٠ ومنحة الجليل بتحقيق ابن عقيل ١/ ٢٢ ، ٢٣.
(٢) ألفية ابن مالك ٥٦.
(٣) ألفية بن مالك ٥٧.

وقال فى باب الإمالة بصدد مايمال من الألفات.

❋ الألفَ لمبدلَ من (يا) فى طرف .... ❋ [١].

وغير ذلك كثير .

أصل ألـــف (يا) :

بالرجوع إلى مظان ذلك وجدت أن القياس يقتضى أن يكون أصل ألف (يا) واواً وهو ماذهب إليه أبو عليّ الفارسي وابن جنيٍّ.

قال ابن جني : سألني أبو علي عن ألف (يا) من قوله في قافية هذا البيت (يا لا)، وذلك فيما أنشده أبوزيد :

فخيرٌ ، نحنُ عن الناس منكم ❋❋ إذا الداعي المثوِّبُ قال يالا

فقال : أمنقلبةٌ هي ؟ قلت: لا. لأنها في حرف أعني (يا)(٢) فقال: بل هي منقلب فاستدللت علي ذلك ، فاعتصم بأنها قد خلطت باللام بعدها ووقف عليها فصارت اللام كأنها جزء منها فصارت (يال) بمنزل قال (٣)، والألف في موضع العين، وهي مجهولة (٤) فينبغى أن يحكم عليها بالانقلاب عن واو، وأراد: يالَ بني فلان ونحوه (٥).

وذهب الكسائى إلى أن أصلاه (الياء) حيث أجاز (يَيَّيْتَ ياءاً) اجتمعت أربع ياءات متوالية قلبوا الياءين المتوسطين ألفاً وهمزة للتخفيف[٦].

---

(١) ألفية ابن مالك ٦٤.

(٢)معنى هذا أن ابن جنى يمنع أن تكون الألف فى (يا) منقلبة عن غيرها؛ لأن القلب تصريف، والتصريف لا يدخل الحروف ولا ما أشبهها من الأسماء والأفعال.

(٣) يريد أبو على إجراء المنفصل مجري المتصل.

(٤) إذ الألف المجهولة تقلب واواً عند إرادة التصغير كما قالوا في صاب وعاج: صويب وعويج.

(٥) انظر ترتيب اللسان ٤٦٨/١٥ وانظر سر صناعة الإعراب لابن جنى ٧٩٣.

(٦) انظر تاج العروس ٣٥٨/١٠.

قال ابن جنى وأما المسموع المحكى عنهم فأن يقولوا: (يَيَّيْتُ وتَيَّيْتُ - وحيَّيْت وخيَّيْت وطَيَّيت وظَيَّيْتُ ويَيَّيْتُ باءً حسنة) وكذلك بقية أخواتها، فظاهر هذا القول يدل من رأيهم عن أنهم اعتقدوا أن الألف فى نحو (باء، تاء، حاء، خاء) بدل من ياء، وجعلوا الكلمة من باب (حَيِيتُ) و(عَيِيتُ) ونحوهما مما عينه ولامه ياءان.

والذى حملهم على هذا عندى سماعهم الإمالة فى ألفاتهن قبل التسمية وبعدها[١] ألا تراك تقول إذ تهجَّيتَ (بِا - تِا - ثِا - حِا - خِا - رِ - طِا - ظِا - فِا - هِا - يِا) وقالوا بعد التسمية والنقل:[٢] (باِء - وتاِء - وثاِء - وجاِء - وحاِء - وطاِء - وظاِء) فلما رأوا الإمالة شائعة فى هذه الألفات قبل النقل وبعده حكموا لذلك بأن الألفات منهن منقلبات عن ياءات، وأنها قد لحقت فى الحكم بالألفات المنقلبة من الياءات، فلذلك قالوا: حَيَّيْت حاءً، وطَيَّيْتُ طاءً ونحو ذلك....[٣].

مما تقدم يتبين لنا أن الألف فى (يا) الندائية أو التنبيهية منقلبة عن ياء أو واو حيث تنازعها القياس والسماع، فالأول يقتضيها واواً، والثانى يقتضيها ياءاً وهو ما نرجحه وذلك للأمور الآتية:

أحدهما: أنه إذا تعارض والقياس والسماع قُدِّم السماع على القياس لأنه المعول علية فى إثبات اللغة.

الثانى: أن الألف: فى (يا) أميلت. ولا تمال الألف إلاّ إذا كان أصلها الياء، وإنما أميلت ألفها لتأكيد المشابهة بينهاو وبين الفعل[٤].

الثالث: أننا لو سَّمينا بها، وأردنا تثنيتها وجمعها لقلبناها ياءً، فنقول (يَيَوان)

---

(١) يريد التسمية بالحرف كأن يسمى إنسان ما بـ (باء) وآخر (تاء) وثالث (ثاء)...إلخ.
(٢) يعنى النقل من الحرفية إلى الاسمية والعلمية معاً.
(٣) سر صناعة الإعراب لابن جنى ٧٩٣، ٧٩٤.
(٤) انظر جواهر الأدب للإربلى، ٣٦٠، ٣٦١، وشرح الكافية للرضى ٣٤٦/١.

كحيوان إذ الأصل فيها (ييبان) والتثنية مما يردّ الأشياء إلى أصولها، إلا أن الياء الثالثة تبدل واواً كإبدالها فى (حيوان) كراهة توالى الأمثال.

الرابع: أن الياء الثانية فى (يَيَّيْتُ) أبدلت ألفاً على مذهب الكسائى اكتفاءً بجزء العلة، كما أبدلت ألفاً فى (طائى) حالة النسب إلى (طَيّى) وأصلها (طيْئِىّ) وكذلك أبدلت ألفاً فى (آى) جمع آية، و(أيّة) فقالوا: (آى) وآية[1]. والله أعلم.

لغاتها:

قد ذكرنا فيما تقدم أن أبا على الفارسى ذهب إلي أن أصل الألف فى (يا) من نحو (يالا) منقلبة عن واو، وهذا ما يقتضيه القياس عنده، حيث قال: إنها من وادى طويت لكثرته، وليست من وادى حييت لقلته، وذهب الكسائى إلى أن أصل الألف ياءً بدليل ورود يَيَّيْتُ ياءً.

ومن المعلوم أن (يا) عند الجمهور حرف، والحرف وشبهه لا يدخله التصريف.

قال ابن مالك:

حرف وشبهه من الصرف برى ** وما سواها بتصريف قرى[2].

ولّما كانت (يا) قد اختلف فيها أهل العربية، فمن قائل: إنها حرف، ومن قائل: إنها اسم، ومن قائل إنها فعل[3]. دخلها التصريف بالقلب كما تقدم، وبالحذف كما فى (آ) وبالزيادة كما فى (أيا) وبالإبدال كما فى (هيا) وبالقلب

(١) انظر الكتاب ٣٩٨/٤.
(٢) ألفية ابن مالك ٦٥.
(٣) انظر الهمع السيوطى، ٢٥/٢ ، ٢٦.

المكانى كما فى (أىْ) و(آىْ) وهذا التصريف الذى دخل (يا) وقع نظيره فى أحرف أخرى، لما دخلها من مشابهة الاسم مثل (ربّ)[١] ولغاتها، ومشابهة الفعل مثل: (لعل)[٢] ولغاتها.

وسنفصل هذه الأنواع من التصريف فيما نحن بصدده، وهو اللغات الواردة فى (يا) إذ اللغات التى وردت فى (يا) لم تصرحْ بها كتب النحو، غير أننا نجد ابن كيسان[٣] يسمِّيها أوجهاً حيث يقول: فى حروف النداء ثمانية أوجه (يازيدُ - وازيدُ - أزيدُ - أيازيدُ - هيا زيدُ - أىْ زيدُ - آىْ زيدُ - آزيدُ).

وسماها صاحب التهذيب لغات، يقول: إذا ناديت الرجل: آفلان، وأفلان، وآىْ فلان، بالمدّ، وفى (يا) النداء لغات، تقول: يافلان، أيا فلان، آىْ فلان، أفلان، هيا فلان، الهاء مبدلة من الهمزة فى (آيا فلان)[٤].

وإليك بيان كل لغة، وما تدخل عليه من أنواع المنادى قربا أو بعداً أو توسطاً.

اللغة الأولى (يا):

(يا) الأصل، ولذا توسعوا فيها بمالا يتوسعون فى فروعها، وهى أعم أدوات النداء حيث تدخل على القريب والبعيد والمتوسط[٥]، كما تدخل فى نداء الأحياء والأموات نحو قول جرير:

(١) انظر التذكرة والتبصرة للصيمرى ١/ ٢٩١ ورصف المبانى للمالقى، ٢٧٠ وجواهر الأدب للاربلى، ٤٥٧، وشرح الكافية للرضى ٢٨٧/٤، ومغنى اللبيب لابن هشام، ١٣٨، والجنى الدانى للمرادى ٤٤٧.

(٢) انظر حاشية الصبان على الأشمونى ١/ ٢٧١، ٢٧٢.

(٣) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان أبو الحسن النحوى، قيل إنه حفظ المذهب البصرى والكوفى لأنه أخذ عن المبرد وثعلب، له عدة مؤلفات منها علل النحو، توفى سنة ٢٩٩ وقيل سنة ٣٢٠، انظر بغية الوعاة ١/ ١٨.

(٤) انظر ترتيب اللسان ١٥/ ٤٦٨.

(٥) انظر رصف المبانى للمالقى، ٥١٣، ٥١٤.

حُمِّلتَ أمراً عظيماً فاصطبرت له ** وقمتَ فيه بأمر الله يا عمرا

قال ابن مالك:

...ووا لمن ندب ** أو يا وغير وا لدى اللبس اجْتُنِب[١].

وتدخل (يا) كذلك على الأسماء والأفعال والحروف والجمل[٢]، وهى أمّ الباب، لذا خصُّوها بأمور ليست لأخواتها، وذلك لأنهم يتوسعون فى أمهات الأبواب بما لا يتوسعون فى غيرها، مثل (كان)[٣] و(أن)[٤] و(ظن)[٥] و(إلاّ)[٦] و(باء)[٧] و(واو)[٨] العطف و(أن)[٩] المصدرية و(إن)[١٠] الشرطية، وهمزة[١١] الاستفهام.

ماتدخل عليه (يا):

قال السيوطى: من أدوات النداء (يا) وهى أم الباب، ومن ثمّ قال أبو حيان: إنها أعم الحروف، وإنها تستعمل للقريب والبعيد مطلقاً، وإنه الذى يظهر من استقراء كلام العرب.

- وقال ابن مال: هى للبعيد حقيقة أو حكماً، كالنائم والساهى.

- وفى المغنى لابن هشام (يا) حرف لنداء البعيد حقيقة أو حكماً.

(١) ألفية ابن مالك ٤٤.
(٢) انظر الإنصاف للأنباري ٩٩ فما بعدها.
(٣) انظر الأشباه والنظائر للسيوطى، ٢/٥٦.
(٤) المرجع السابق ٢/٥٨.
(٥) المرجع السابق ٢/ ٦١.
(٥) المرجع السابق ٢/ ٧٤.
(٧) المرجع السابق ٢/ ٨٢.
(٨) المرجع السابق ٢/ ٩٣.
(٩) المرجع السابق ٢/١٠٦، ١٠٨.
(١٠) المرجع السابق ٢/١٠٨، ١٠٩.
(١١) المرجع السابق ٢/١١١

وقد ينادى بها القريب توكيداً. وقيل: هي مشتركة بين البعد والقريب، وقيل بينهما وبين المتوسط، وذكر ابن الخباز[١] عن شيخه أن (يا) للقريب. وهو خرق للإجماع[٢].

اللغة الثانية: (أى):

(أَيْ) بالفتح والقصر والسكون، وهى عكس (يا) إذ تقدمت الألف على الياء، فصارت (اْ) و (يْ) ولما كانت الألف ساكنةً، ولا يتبدأ بساكن والياء ساكنة كذلك، فالتقى ساكنان فهمزوا الألف للتخلص من التقاء الساكنين فصارت (أَيْ)، ونظير ذلك همزهم الألف فى (احمارّ واسوادّ ودابّة وشابّة والضالّين) فقالوا فيها: احمأرّ واسوأدّ ودأبّة، وشأبّة، والضألّين)[٣].

ويدلك على أن (أَيْ) عكس (يا) ماذكره الحريرى من الإلغاز فيها حيث قال: وما العامل الذى متصل آخره بأوله، ويعمل معكوسه مثل عمله[٤]. ويفسّر الحريرى هذا اللغز فيقول: وأما العامل الذى يتصل آخره بأوله، ويعمل معكوسه مثل عمله فهو (يا) ومعكوسها (أَيْ) وكلتهاهما من حروف النداء، وعملهما فى الاسم المنادى سيان، وإن كانت (يا) أجول فى الكلام، وأكثر فى الاستعمال، وقد إختار بعضهم أن ينادى بـ (أَيْ) القريب فقط كالهمزة[٥].

مما سبق يتبين لنا الأمور الآتية:

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالى الشيخ شمس الدين بن الخباز الإربلى الموصلى النحوى الضرير، كان أستاذاً بارعاً فى النحو واللغة والفقة والعروض والفرائض، شرح ألفية ابن معط، توفى سنة ٦٣٧هـ، انظر بغية الوعاة، ٣٠٤/١.

(٢) الهمع السيوطى ٢٧/٢ وانظر تاج العروس للزبيدى، ١٠/ ٤٥٨، والتصريح بمضمون التوضيح ١٦٤/٢ والمغنى لابن هشام ٣٧٣.

(٣) انظر سر صناعة الإعراب لابن جنى ٧٢/١، ٧٣، وانظر الممتع فى التصريف بمضمون التوضيح ١٦٤/٢ والمغنى وشرح الشافية للرضى، ٢٤٩/١، ٢/ ٢٤٨.

(٤) المقامات الأدبية للحريرى ١٨١.

(٥) المقامات الأدبية للحرترى ١٨٦.

الأول: أن الحريرى - رحمه الله- قد فتح لنا الباب إلى معرفة اللغات، فى (يا) التي سنتكلم عنها فيما بعد.

الثانى: أن (يا) أكثر استعمالاً من (أىْ).

الثالث: أن بعض أهل العربية ذهب إلىَ أنَ (أىْ) بمنزلة الهمزة فى نداء القريب.

ماتدخل عليه (أى):

- قال السيوطى: وفى معناها أقوال: قيل للقريب كالهمزة، وعليه المبرد والجزولى.

- وقيل للبعيد كـ (يا) وعليه ابن مالك، وقيل للمتوسط، قال الشاعر:

ألم تسمعى أى عبدً فى رونق الضحى ❋❋ بكاء حمامات لهن هديل

وفى الحديث (أىْ ربى) وقد تمد ألفها[١].

وفى الكليات للكفوى: (أىْ) بالفتح والسكون لنداء القريب، قال المبرد والبعيد قاله سيبويه، والمتوسط قاله ابن برهان[٢].

اللغة الثالثة (آى):

(آىْ) أصلها: (أىْ مطلت حركة الهمزة فصارت (آىْ) ولذا يقول الحسن بن قاسم المرادى: وقد تمدّ (أىْ) فيقال: (آىْ) حكاها الكسائى، وقال بعضهم: يجوز مدّها إذا بعدت المسافة فيكون المدّ فيها دليلاً على البعد[٣].

وقال الإربلى: وقد نقل الكوفيون حرفين آخرين وهما: (آ).... ووافقهم

---

(١) انظر الهمع للسيوطى، ٢/٢٦، ٢٧، وترتيب اللسان ١٥/ ٤٦٨، والمغنى لابن هشام ٧٦، والجنى الدانى للمرادى، ٢٣٣، وجواهر الأدب للإربلى، ٢٥٦.

(٢) الكليات للكفوى، ٢٢٢.

(٣) انظر الجنى الدانى للمرادى ٢٣٣ والمغنى لابن هشام ٧٦.

الأخفش في نقلها، و(آي) فصارت أحرف النداء بالنقل الصحيح سبعة[١] وهذا واتفقوا على أن ... (آ) للبعيد، وأمَّا (آيْ) و (أيْ) فأكثرهم جعلهما للمتوسط، وبعضهم ذهب إلى أن هذين الحرفين (آ، آيْ) للقريب أيضاً، وكأنهم لم يثبتوا توسطاً[٢].

وقال المرادي: (آيْ) بالمد حرف نداء حكاه الكوفيون، ولم يذكره سيبويه.

قال ابن مالك: رواها الكوفيون عن العرب الذين يثقون بعربيتهم، ورواية العدل مقبولة، وهي لنداء البعيد كسائر حروف النداء إلا الهمزة[٣].

يتبين مما تقدم أن أحرف النداء كلها للبعيد عن ابن مالك إلا الهمزة فإنها للقريب وإلا (يا) فإنها للقريب والبعيد كما قال:

وللمنادى النا ء أو كالنا ء (يا) ** وأي وآكذا أيا ثم هيا

والهمز للداني[٤] .... ** ....

اللغة الرابعة (الهمزة) (أ):

(أ) أصلها عندي: (أيْ) حذفت منها الياء، مثل قول امرىء القيس:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل ** وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي[٥]

وقول الآخر:

* أخالدُ مأواكم لمن حلّ واسع *[٦]

---

(١) انظر جواهر الأدب للاربلي ٢٢١.
(٢) المصدر السابق ٢٢١.
(٣) الجنى الداني للمرادي ٤١٨.
(٤) ألفية ابن مالك ٤٤.
(٥) الهمع للسيوطي ٢/٢٦.
(٦) ترتيب اللسان ١٥/ ٤٦٨.

وقول الآخر:

أتخذل ناصري وتعزّ عبسا ✸ ✸ أيربوعَ بنَ غيظ للمعَنّ[١]

ما تدخل عليه الهمزة:

اختلف أهل العربية فيما تدخل عليه الهمزة: فالجمهور على أنها للقريب، قيل: إن سيبويه روى عن العرب أن الهمزة للقريب، وماسواها للبعيد، وزعم ابن الخباز[٢] أنها للمتوسط قال ابن هشام في المغنى: وهو خرق للإجماع، وذكر في شرح التسهيل أن النداء بها قليل في كلام العرب، وتبعه ابن الضائع[٣] في حواشي المغني، وما قالاه مردود.

- قال السيوطي: فقد وقفت لذلك على أكثر من ثلاثمائة شاهد وأفردتها بتأليف[٤].

اللغة الخامسة (آ):

(آ): تحتمل عندي أن يكون أصلها: (أ) مقصورة فمطلت حركة الهمزة كما يحتمل أن يكون أصلها: (آيْ) حذفت منها الياء للتخلص من التقاء الساكنين، وهي حرف نداء حكاه الأخفش والكوفيون[٥].

ماتدخل عليه (آ):

قال ابن هشام (آ) بالمد حرف لنداء البعيد، وهو مسموع لم يذكره سيبويه، وذكره غيره[٦].

---

(١) حاشية البغدادي المجلد الثاني ٥٧٥/١، ٥٧٦.

(٢) سبقت ترجمته ص٨.

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف الكتامي الإشبيلي، بلغ الغاية في فن النحو، ولازم الشلوبين، له شرح الجمل، وشرح كتاب سيبويه، توفي سنة (٦٨٠) انظر بغية الوعاة ٢٠٤/٢.

(٤) انظر الهمع للسيوطي ٦٢/٢ وجواهر الأدب الإربلي ٢٢٢ وترتيب اللسان ١٥/ ٤٦٨ والمغني لابن هشام ١٣.

(٥) الجنى الداني للمرادي ٢٣٢. (٦) المغني لابن هشام ٢٠.

وذكر الإربلي أن الكوفيين قد نقلوا الحرفين (آ) و(آيْ) ووافقهم الأخفش في نقلهم[١].

وزعم ابن عصفور[٢] أنه للقريب كالهمزة[٣]، وذكر غيره أنه للبعيد، وهو الصحيح[٤].

اللغة السادسة (أيا):

(أيا): أصلها (يا) زيدت عليها الهمزة، وهي للبعيد، وذلك نحو قوله:

أيا ظبيةَ الوعساء بين جُلاجل ** وبين النقا آ أنت أم أمُّ سالم[٥].

ماتدخل عليه (أيا):

قال المالقي: اعلم أن (أيا) معناها التنبيه، وينادى بها كما ينادى بـ (يا) إلاّ أنها تكون لازمة لنداء البعيد مسافة، أو حكماً، كالنائم والغافل، ولذلك كانت على ثلاثة أحرف آخرها ألف تحتمل المدّ إن شئت؛ لأن مدّ الصوت يتمكن...

قال الشاعر:

أيا ظبيةَ الوعساء بين جُلاجل ** وبين النقا آ أنت أم أمُّ سالم[٦].

وقال الآخر:

أيا راكبا إما عرضت فبلغنْ ** نداماىَ من نجرانَ ألاّ تلاقيا[٧].

(١) انظر جواهر الأدب للإربلي ٢٢١، والهمع للسيوطي، ٢/٢٧، ٢٨.
(٢)هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي، حمل لواء العربية في زمانه بالأندلس له الممتع في التصريف، توفي سنة ٦٦٣ هـ، انظر بغية الوعاة، ٢/ ٢١٠.
(٣) وذلك حملاً للفروع على الأصل.
(٤) الجنى الداني للمرادي ٢٣٢.
(٥) الهمع للسيوطي، ٢/٢٧ وترتيب اللسان ١٥/ ٤٦٨.
(٦) الهمع للسيوطي، ٢/٧٢ وترتيب اللسان ١٥/ ٤٦٨.
(٧) انظر رصف المباني للمالقي ٢١٥.

وقال ابن مالك: (أيا) حرف كذلك يريد مثل (آ) وفى الصحاح أنه حرف لنداء القريب والبعيد، وليس كذلك، يريد للبعيد فقط، قال الشاعر:

أيا جبلىْ نعمانَ بالله خليَّا ** نسيم الصبا يَخْلُصْ إلى نسيمُها[١].

اللغة السابعة (هيا):

وهى للبعيد، قال الشاعر:

هيا أمَّ عمرو هل لىَ اليوم عندكم ** بغيبة أبصار الوشاة سبيلُ

قال السيوطى: وهاؤه أصل، وقيل: بدل من همزة (أيا) وعليه ابن السكيت[٢] وجزم به ابن هشام فى المغنى[٣].

والقول بأن الهاء بدل من الهمزة (أيا) هو الراجح عندى حيث إن (هيا) فرع (أيا) و(أيا) فرع (يا) بزيادة الهمزة.

- قال ابن هشام: وقد تبدل همزتها (هاء) كقوله:

فأصاخ يرجو أن يكون حيًّا ** ويقول من فرح: هيا ربا

- وزعم ابن السكيت أن هاء (هيا) بدل من الهمزة فى (أيا)[٤].

اللغة الثامنة (وا):

(وا) أصلها: (يا) وهذا مارأه راجحاً، حيث قلبت ياؤها واواً، إذ حروف العلة يعاقب بعضها بعضاً.

---

(١) المغنى لابن هشام ٢٠.
(٢)هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، ولد فى بغداد وأخذ عن الأصعمى وأبى عبيدة والفراء وغيرهم، له إصلاح المنطق وكتاب الربدال وغيرهما (ت ٢٤٤)هـ، انظر معجم المؤلفين ١٣/ ٢٢٤.
(٣) الهمع للسيوطى، ٢٧/٢ وترتيب اللسان ١٥/ ٤٦٨.
(٤) انظر المغنى لابن هشام ٢٠.

قال أبو الحسن:[١] أخبرنا ثعلب أن العرب تقول: سواسية وسَوَاسُوة، وسِوَاسِوة عن ابن الإعرابى[٢].

وكذلك قالوا: النِّقْوُ بالواو وزان حمْل: كل عظيم ذى مُخ... والنِّقْىُ بالياء لغة[٣]، وقالوا: دحا الله الأرض يدحوها دحواً... بطها، ودَحاها يدحوها دحياً لغة[٤]، وقال الله تعالى: (واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا)[٥] وفى قراءة عبد الله (ظلما وعُليًا)....[٦]

وقالوا انتشر صوته فى الناس، بمعني الصيت، قال ابن سيده: والصوت فى الصيت لغة[٧]. وأهل الحجاز يقولون فى اسم المفعول من رضى: مرضوٌ، وغيرهم يقول: مرضىٌ، وباللغة الأخيرة جاء التنزيل (وكان عند ربه مرضيا[٨])[٩].

وقال ابن سيده: ومما اعتقب عليه الياء والواور زائدتين من بنات الأربعة... جعلته على حنديرة عيني، وجندورة عينى، إذا جعلته نصب عينك... ويقال لبن صمكيك وصمكوك - وهو اللزج.

ومما جاءنا نادراً مما قلبت فاء الفعل منه واواً استيدهت الإبل، واستودهت إذا جتمعت، ومن النادر قوله: هو يمشى الخيزلى والخوزلى، والخوزرى

(١) هو أبو الحسن بن مبارك اللحيانى، أخذ عن الكسائى وأبى زيد له النوادر المشهورة، انظر بغية الوعاة ١٨٥/٢.
(٢) هو محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابى، من موالى بنى هاشم، كان نحوياً عالماً باللغة والشعر، له مؤلفات فى فنون مختلفة منها كتاب النوادر، توفى سنة ٢٣١، انظر بغية الوعاة ١٠٦/١.
(٣) المصباح المنير للفيومى، مادة (نقى).
(٤) المصباح المنير للفيومى، مادة (دحا)
(٥) سورة النحل آية ١٤.
(٦) معانى القرآن للفراء ٢٨٨/٢.
(٧) تاج العروس للزبيدى مادة (صيت).
(٨) سورة مريوم آية ٥٥.
(٩) معانى القرآن للفراء ١٦٩/٢، ١٧٠.

والخيزرى،وهى مشية فيها تفكك... وهو العبيثران والعبوثران، لضرب من النبت طيب الريح[١].

- قال المالقى: واختلف فيها فقيل: واوها بدل من ياء؛ لأن (يا) هى أم حروف النداء لاستعمالها فى هذا الباب، وغيره، وفى المسافة القريبة والوسط والبعيدة، وإنما وضعت بالواو فى هذا الباب، يريد (الندبة) لوجود حرف من حروف التأوُّه فيها، وهو الواو.

وقيل: هى أصل بنفسها فى هذا الباب، وهو الصحيح، إذ لو كنت بدلاً من الياء لاستعملت فى غير هذا الباب فى الاستغاثة إذ فيه التأوُّ، لما يحدث على المستغيث، فعدم كونها هناك دلّ على أنها هنا أصل بنفسها والألف بعدها لمدّ الصوت، فاعلمه[٢].

والذى يترجح عندى هو الأول لأمرين:

الأول: أن حروف العلة يعاقب بعضها بعضاً على الموضع الواحد كما أسلفت وكما قالوا: حيث وحوث وحاث[٣].

الثانى: أن ما عدا (وا) بباب الندبة، وغالباً، قال ابن هشام: (وا) على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرف نداء مختصا بباب الندبة، نحو (وازيداه) وأجاز بعضهم استعماله فى النداء[٤] الحقيقى..[٥].

وقال المالقى: اعلم أن (وا) حرف للنداء مختص بباب الندبة، وهى التفجّع

(١) انظر المخصص ١٤/٢٥، ٢٦.
(٢) انظر رصف المبانى للمالقى ٥٠٣، ٥٠٤، والجنى الدانى للمرادى، ٣٥٢.
(٣) انظر سر صناعته الإعراد لابن جنى ٣٣٨.
(٤) وقال الرضى: والظاهر أن جار الله لم يحدد المنادى لظهوره.. فإن المنادي عنده كل مادخله (يا) وأخونها. والمندوب منادى على وجه التفجع، فإذا قلت: (وامحمداه) فإنك تناديه، وتقول له: تعال فإنى مشتاق إليك، انظر شرح الرضى على الكافية ١/٣٤٥.
(٥) انظر المغنى لابن هشام ٣٦٩.

على الميت، وذكره بأشهر أسمائه؛ ليكون ذلك عذراً في التفجع عليه، والتفجع على ماناله من مكروه، وهو من فعل النساء غالباً، لشدة تفجعهن، وقلة صبرهن على المكاره، وضعف عقولهن... وحكمها أن يندب بها البعيد لمدّ الصوت بها[١].

قال الشاعر:

وافقعسا وأينَ مني فقعس

والجمهور يرون أنها مختصة بالندبة، لا تستعمل في غيرها وحكى بعضهم أنها تستعمل في غير الندبة قليلاً، كقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - واعجبا لك ياابن العاص.

تعقيب:

بعد هذا العرض للّغات الواردة في حرف النداء (يا) واستعمال كل لغة في المنادى باعتبار قربه وبعده وتوسطه يتبين لنا أمران:

الأول: تقسيم الأدوات باعتبار رتب المنادى قرباً وبعداً وتوسطاً وهي كالآتي:

الرتبة الأولى: القربى وتختص بها الهمزة إجماعاً لتناهي قصر الصوت فيها.

الرتبة الثانية: الوسطى، ولها (أيْ) على الراجح لتوسط الصوت فيها.

الرتبة الثالثة: القصيا ولها ما عدا ذلك وهي (يا وأيا وهيا وآيْ وآ) - على خلاف في (آيْ) و(آ) - وذلك لطول الصوت فيهن.

الثاني: بيان وجه كل لغة من اللغات الواردة في أحرف النداء، وهي كالآتي:

---

(١) انظر رصف المباني للمالقي ٥٠٣ والجنى الداني للمرداي ٣٥١، ٣٥٢ وجواهر الأدب للإربلي ٣٥٨، ٣٥٩.

اللغة الأولى (يا):

وهى الأصل، وما عداها فرع، وهى الأم حيث خصوها بأمورٍ ليست لغيرها وهى الأعم لتوسعهم فيها بما لا يتوسعون فى غيرها.

وأصلها (ياء) قصرت بحذف الهمزة فصارت (يا) وأصل الياء (ييى) قلبت الثانية ألفاً والثالثة همزة كراهة تولى الأمثال.

اللغة الثانية (أيا):

وهى الأصل (يا) زيدت عليها الهمزة فى الأول فأصبحت (أيا).

اللغة الثالثة:

وهى بالزيادة والإبدال، حيث أن أصلها (يا) زيدت عليها الهمزة فصارت (أيا) ثم أبدلوا الهمزة، (هاء) على الأصح كما سبق فصارت (هيا).

اللغة الرابعة (أىْ):

وهى ماكانت بالقلب المكانى والإعلالى كما ذهب إليه الحريرى، فهى عكس (يا) قدمت الألف فيها على الياء، وهو قلب مكانى، ثم قلبت الألف همزة، وهو قلب إعلالى على قولٍ فى ذلك، ولّما كانت الألف لا تكون إلاّ ساكنة، وقد وقعت فى أل الكلمة ولا يمكن تحريكها، ولا البدء بساكن همزت فصارت، (أىْ).

اللغة الخامسة (آىْ):

وهى ماكانت بإشباع حركة الهمزة، فتولد عنها الألف إذ أصلها (أىْ) ثم أشبعوا حركة الهمزة المنقلبة عن الألف المتقدمة على الياء فصارت (آىْ) فالتقى الساكنين كقراءة بعضهم (ومحياىْ) وإنما استسيغ ذلك دون تغيير حفاظاً على إطالة الصوت. إذ لو حركت الياء بالفتح فقيل (آىَ) ك (هوايا) لقصر الصوت فيضيع الغرض.

اللغة السادسة (أ):

وهى ماكانت بالحذف فقط، وهى (أ) بالقصر، إذ أصلها (أىْ) حذفت منها الياء.

اللغة السابعة: (آ):

وهى ماكانت بالحذف والإشباع! وهى فرع (أىْ) حذفت الياء وأشبعت فتحة الهمزة فتولدت الألف قصداً إلى إطالة الصوت فصارت (آ).

اللغة الثامنة: (وا):

إذ أصلها (يا) أبدلت الياء واواً على غير قياس، وإنما أبدلت الياء (واواً) إشارة إلى التأوّه الناتج عن ألم الحدث الواقع، والله أعلم.

دلالتها:

وردت (يا) فى العربية نداءاً فقط، وتنبيهاً فقط، ونداءً وتنبيهاً على خلاف، وهو كما يلى:-

أولاً: تكون نداءً فقط:

وذلك إذا دخلت على اسم معرف قبل النداء نحو: يازيدُ، وفروعه تثنيه وجمعاً ونحو يافاطم كذلك، أو مغريا بالنداء مذكَرا كان أو مؤنثا، مثنى أو جمعاً، نحو: يارجلُ ويافتاةُ، أو كان مضافاً نحو: ياعبدَا اللّه، أو شبيهاً به نحو: ياطالعاً جبلاً، أو نكوة غير مقصوده نحو: ياغافلاً والموت يطلبه[1].

ثانياً: تكون حرف تنبيه فقط:

وذلك عند ابن جنى والكوفيين، قال ابن جنى: فإذا دخلت يعنى (ألا) - على (يا) خلصت (ألا) افتتاحاً. وخص التنبيه بـ (يا) وذلك كقول نُصيب:

(١) انظر التصريح بحاشية ياسين ٢/١٦٥.

ألا ياصبا نجد متى هجتِ من نجد ** فقد زادني مسراكِ وجداً على وجدِ [1]

ثالثاً: تكون نداءً وتنبيهاً:

وذلك على خلاف بين أهل العربية، وتكون كذلك إذا دخلت (يا) على غير الاسم من نحو الأفعال والحروف والجمل.

* **مثال: دخولها على الجملة الفعلية** نحو (يا نعمَ المولى ونعمَ النصير)، ونحو قوله تعالى: في قراءة الكسائي وأبي جعفر المدني ويعقوب الحضرمي وأبي عبد الرحمنِ السلم والحسن البصيرى وحميد الأعرج: (ألا يا اسجدوا الله)...

وقول الأخطل:

ألا يااسلمى ياهندُ هندَ بنى بدرٍ ** وإن كان حيّاناً عِدًى آخر الدهر.

وقول ذى الرمّة:

ألا يااسلمى يادار مَىّ على البلى ** ولازال منهلاً بجرعك القطر

وقول المرقش:

ألا يااسلمى لا صَرْمَ لى اليوم فاطما ** ولا أبداً مادام وصلك دائماً.

وقول الآخر:

ألا يااسلمى قبل الفراق ظعينا ** تحية من أمسى إليكِ حزينا

وقول الكيت:

ألا يااسلمى ياترب أسماءَ من تربٍ ** ألا يا اسلمى حييتِ عَنِّى وعن صحبى

(١) انظر خصائص لابن جنى ٢/٢٧٩.

وقلول العجاج:

يادار سلمى يااسلمى ثم اسلمى ** بسَمْسَمٍ وعن يمين سَمْسَمِ

وقول الآخر:

أمسلم يا اسمع يابن كل خليفة ** وياسائس الدنيا ويا جبل الأرض

وقول الآخر:

وقال ألا يا اسمع نعظك بخطة ** فقلت: سمعيا فانطقى فأصيبى [١]

وقول الآخر:

ياحبذا جبلُ الريان من جبلٍ ** وحبذا ساكنُ الريان من كانا [٢]

وقول الأخر:

ياقاتل الله صبيانا تجىء بهم ** أم الهنيبر من زند لها وارى

قول الآخر:

يالعن الله بنى السعلاة ** عمرو بن ميمون شرار البنات [٣]

* ومثال دخولها على الجملة الاسمية قول الشاعر:

يالعنة الله والأقوام كلهم ** والصالحين على سمعان من جار

وقول الآخر:

يالعنة الله على أهل الرَّقَم ** أهل الحمير والوقير والخزم [٤]

(١) انظر الانصاف للأنبارى ٩٩ - ١٠٢ وانظر رصف المبانى للمالقى ٥١٣.
(٢) شواهد التوضيح لابن لك ٨ والجنى الدانى للمرادى ٣٥٧.
(٣) الانصاف للأنبارى ١١٩.
(٤) الانصاف للأنبارى ١١٨ وانظر الجنى الدانى للمرادى، ٣١٦.

* ومثال دخولها على الحرف قول الراجز:

يارُبَّ سارٍ ماتوسَّدا ** إلاّ ذراع العين أوكف اليد[١]

وقول الشاعر:

ماوِيّ ياربتما غارة ** شعواء كاللذعة بالميسم[٢]

ونحو قول ورقة بن نوفل: ياليتنى أكون حيا[٣]، وقوله تعالى: ﴿ياليتنى كنت معهم﴾[٤].

- هذا - وقد اختلف أهل العربية فيما تقدم من النصوص.

فذهب البصريون إلى أن (يا) فيها على بابها، وأن المنادى محذوف لدلالة حرف النداء عليه، والتقدير فيها جميعها ياقوم[٥].

وقد جعل ابن مالك (يا) الداخلة على غير الأمر والدعاء والنهى سواء أكان مدخولها جملة فعلية أم اسمية أم حرفاً للتنبيه فقط، وخو مذهب الكوفيين، إذ لا يحذف المنادى عندهم إلاّ قبل الأمر، أو ما يجرى مجراه من الطلب والنهى، وكذلك لا يكاد يوجد فى كتاب اللّه العزيز نداء ينفك عن أمرٍ أو نهيٍ(٦).

وقد ضعف ابن مالك مذهب البصريين القائل بأن (يا) على بابها، والمنادى محذوف بدلالة (يا) عليه بأمرين:

أحدهما: أن القائل ياليتنى قد يكون وحده فلا يكون معه منادى ثابت ولا محذوف كقول مريم عليها السلام ﴿ ياتينى متُّ قبل هذا﴾ [٧].

(١) شواهد التوضيح لابن مالك ٩. (٢) خزانة الأدب للبغدادى ٤٧٩/٤.
(٣) أخرجه البخارى فى: ١- كتابه بدء الوحى، ٣ باب حدقنا يحى ين بكير، وانظر شواهد التوضيح لابن مالك ٤.
(٤) سورة النساء آية ٧٣.
(٥) انظر الانصافللأنبارى، ١١٧ - ١١٨.
(٦) انظر الانصاف للأنبارى ١٠٣.
(٧) سورة مريم آية ١٩.

والآخر: أن الشيء إنما يجوز حذفه مع صحة المعنى بدونه، إذا كان الموضوع الذى ادعى فيه حذفه مستعملاً فيه ثبوته. كحذف المنادي قبل أمر أو دعاء. فإنه يجوز حذفه لكثرة ثبوته. فإن الآمر والداعى يحتاجان إلى توكيد اسم المأمور والمدعو بتقديمه على الأمر والدعاء[1].

وكذلك ضعف المالقى مذهب البصريين بأمرين:

أحدهما: أن (يا) نابت مناب الفعل، لكونه لازماً للحذف بعدها؛ لأن المراد (أدعو وأنادى) فلو حذف المنادى معها لحذفت الجملة بأسرها وذلك إخلال. ..

والآخر: أن المنادى معتمد المقصد فإذا حذف تناقض المراد، فلزم على هذا أن تكون (يا) لمجرد التنبيه من غير نداء..[2].

- وقال العكبرى عند إعراب قوله ﴿ ياليتنى﴾ المنادى محذوف تقديره: ياقوم ليتنى، وقال أبو على فى نحو هذا: ليس فى الكلام منادى محذوف، بل يدخل (يا) على الفعل والحرف للتنبيه[3].

وخلاصة ما تقدم أن (يا) إذا دخلت على الجملة الفعلية، أو الاسمية، أو الحرف فضيها ثلاثة مذاهب.

الأول: مذهب بعض البصريين، وهو أن (يا) على بابها والمنادى محذوف[4].

الثانى: مذهب أبى على الفارسى، وابن جنى، حيث يريان أنّ (يا) للتنبيه مطلقاً إذ قال الفارسى: يدخل (يا) على الفعل والحرف للتنبيه[5].

---

(١) شواهد التوضيح لابن مالك ٤.
(٢) انظر رصف المبانى للمالقى ٥١٤.
(٣) التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ٣٧٢/١.
(٤) انظر الإنصاف للأنبارى ١١٧ فما بعدها. وانظر المغنى لابن هشام ٣٧٤.
(٥) الانصاف: ١١٧ فما بعدها، والتبيان للعكبرى ٣٧٢/١.

وقال ابن جني: فإن قلت: فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ألا يا اسجدوا﴾[١].

وقد قال غيلان السلمي:

* ألا يا اسلمي يا دارميّ على البلى *

* وقال: يا دار هند يا اسلمي ثم اسلمي *

فجاء (يا) ولا منادى معها، قيل: (يا) في هذه الأماكن قد جردت من معنى النداء وخلصت تنبيهاً[٢].

وقد ارتضى هذا المذهب المالقي[٣]، وكذلك المرادي حيث قال: تكون (يا) لمجرد التنبيه، لا للمنادى، ويليها أحد خمسة أشياء.

- الأمر، نحو: ﴿ ألا ياسجدوا ﴾[٤] في قراءة الكسائي، وقول الشاعر:

* ألا يا اسقياني قبل غارة سنجال *

- والدعاء كقول الشاعر:

يالعنة الله والأقوام كلهم * والصالحين على سمعان من جار

- وليت، نحو (ياليتني كنتُ معهم)[٥].

- ورب، نحو:

* يارب سارٍ بات ماتوسدا *

(١) سورة النمل آية ٢٥.
(٢) الخصائص لابن جني، ٢٧٨/٢، ٢٧٩ وانظر المغني لابن هشام ٣٧٤.
(٣) انظر رصف المباني للمالقي، ٥١٤.
(٤) سورة النحل آية ٢٥.
(٥) سورة النساء آية ٧٣.

- وحبذا، كقول الشاعر:

يا حبذا جبل الريّان من جبل ** وحبذا ساكن الريان من كانا

فـ (يا) في هذه المواضع حرف تنبيه، لا حرف نداء. هذا مذهب قوم من النحويين.

الثالث: وهو مذهب الكوفيين وابن مالك أن (يا) إذا دخلت على حرف، أو جملة اسمية، أو جملة فعلية فعلها خبرى كانت للتنبيه وإذا دخلت على جملة فعلية فعلها طلبى أمراً كان أو نهياً أو دعاءً، كانت على بابها، والمنادى محذوف لكثرة الاستعمال.

- مثال ثبوت المنادى قبل الأمر قوله تعالى ﴿**يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾[1] ... وقوله ﴿ **يايحيى خذ الكتاب بقوة**﴾[2] وقوله: ﴿ **يابُنَىَّ أقم الصلاة**﴾[3].

- مثال حذف المنادى المأمور قوله تعالى فى قراءة الكسائي: ﴿**ألا ياسجدوا**﴾[4]. أراد: ألا ياهؤلاء اسجدوا.

- ومثال ثبوت النداء قبل الدعاء قوله تعالى: ﴿**ياموسى ادع لنا ربك**﴾[5]...

وقول الراجز

يا ربِّ هب لى من لدنك مغفرهْ ** تمحو الخطايا وألقَى المعذرهْ

(١) سورة البقرة آية ٣٥.
(٢) سورة مريم آية ١٢.
(٣) سورة لقمان آية ١٧.
(٤) سورة النحل آية ٢٥.
(٥) سورة الأعراف ١٣٤.

- ومثال حذف المنادى قبل الدعاء، قول الشاعر

ألا يا اسلمي يادرامي على البلى ** ولازال منهلا بجرعائك القطر

فحسّن حذف المنادى قبل الأمر والدعاء اعتياد ثبوته في محل ادعاء الحذف[١] والله اعلم.

حقيقتها:

اختلف أهل العربية فى حقيقة (يا) وأخواتها. فالأكثرون على أنها حروف؛ قال ابن هشاك (يا) حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكماً، وقد ينادى بها القريب توكيداً.

- وقيل هى مشتركة بين البعيد والقريب.

- وقيل بينهما وبين المتوسط[٢].

- وقيل: إ أدوات النداء أسماء أفعال بمعنى (أدعو) كـ (أفّ) بمعني أتضجر وليس ثم فعل مقدر[٣].

وهذا المذهب عزاه ابن يعيش فى شرح المفصل إلى أبى على الفارسي، حيث قال: وكان أبو على يذهب فى بعض كلامه إلى أن (يا) ليس بحرف، وإنما هو اسم من أسماء الفعل[٤].

وهذا المذهب لا بأس به عندى حيث يعضده وقوع (وا) اسما للفعل، قال المرادى: ولـ (وا) اسم آخر وهو أن تكون اسم فعل بمعني التعجب والاستحسان.

(١) انظر شواهد التوضيح لابن مالك، ٥، ٦، ٧ وخزانة الأدب البغدادى ٤٧٩/٤، والجنى الدانى للمرادى، ٣٥٧، ٣٥٨، والمغني ٣٧٣، ٣٧٤.

(٢) المغنى لابن هشام ٣٧٣ وانظر رصف المباني للمالقى ٥١٣ والجنى الدانى للمرادى ٣٥٤ والهمع السيوطى، ٢٥/٢، والارتشاف، ٢١٧٩.

(٣) الهمع السيوطى ٢٦/٢ والارتشاف / ٢١٧٩.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ١٢٧/١ وانظر الأمالى النحوية لابن الحاجب، ١٣٣/٢.

كقول الشاعر:

وابأبي أنت وفوك الأشنب ** كأنما ذر عليه الزرنب[١].

لكن يعترض على هذا المذهب بأمرين:

أحدهما: أنها لو كانت كذلك لتحملت الضمير، وكان بجوز اتباعه كما سمع في سائر الأسماء الأفعال، ولا كُتُفِيَ بهادون المنصوب؛ لأنه فضلة، ولا قائل بأنها تسشتقل كلاما، أي كما يقال (صه ومه) اكتفاءً بهما[٢].

والآخر: أرى أنها لو كانت اسم فعل لجزم الفعل في جوابه كما يقال صه نكرمْك، أو ينصب بعد الفاء حين يقال: صه فنكرمَك، عند الكسائي[٣].

وقيل: إنها أفعال[٤]. وردّ بأنه كان يلزم اتصال الضمير معها كما يتصل بسائر العوامل[٥]. وقد قالوا: (يا إياك) منفصلاً، ولم يقولوا: (إياك) فدل على أن العامل محذوف[٦].

مما تقدم يتبين لنا من الآراء السابقة أن (يا) وسط بين الحرف والاسم والفعل كما ورد في المذاهب الثلاثة، إذ لا يُردّ مذهب بآخر، حيث إن جميعها محتملة فإن شئنا قلنا: إنها فعل حيث وقعت موقع الفعل الممنوع إظهاره في الكلام، فعملت عمله، حيث نابت عنه، كما أنها أُمليت لهذا السبب، ولو كانت حرفا لما دخلتها الإمالة،[٧] والله أعلم.

---

(١) الجنى الداني للمرادي ٣٥٢، والمغنى لابن هشام ٣٦٩. (٢) انظر الهمع للسيوطى ٢٦/٢.

(٣) انظر نجاح السالك لعبد الرحمن إسماعيل ٣٥٣.

(٤) ووجه هذا الرأي أن (يا) بوقوعها موقع الفعل (أدعو) و(أنادي) صارت بالموقع فعلاً كما صارت (لّما) اسما حين وقعت موقع حين في نحو قولهم: لّما جئتَ جئتُ. وكما صار المضارع مبتدأ دون سابك في قول العرب (تسمع بالمعيدى خير من أن تراه). كما امتنع الإخبار عن قائم في قولنا (أقائم الزيدان)؛ لأنه وقع موقع الفعل المضارع (يقوم) إذ الانفعال لا يخبر عنها فقالوا: الزيدان فاعل سدّ مسدّ الخبر ولم يقولوا هو خبر.

(٥) ليس هذا على إطلاقه فهناك من العوامل ما لا يستتر فيه الضمير عند الجمهور، ولا يتصل به مثل نعم وبئس فلم يقولوا: نعمك ولا بئسة ولم يسمع ذلك.

(٦) الهمع للسيوطى ٦٢/٢.

(٧) انظر القول بإمالتها في مجموعة الشافية ٢٧٤/١، وشرح المفصل ١٢٧/١، وشرح الكافية ٣٤٦/١.

إعمالها وإهمالها:

اختلف أهل العربية فى الناصب للمنادى، وذلك على ثلاثة مذاهب:

الأول: أن الناصب له فعل محذوف، وهو مذهب الجمهور، قال ابن هشام: أصل قولك (ياعبدا لله): ياأدعو عبدا الله و (يا) حرف تنبيه، و(أدعو) فعل مضارع قصد به الإنشاء، ولا الإخبار، وفاعله مستتر، و(عبدا لله) مفعول به، ومضاف إليه، ولّما علموا أن الضرورة داعية إلى استعمال النداء كثيراً أوجبوا فيه حذف الفعل اكتفاء بأمرين.

أحدهما: دلالة قرينة الحال:

والآخر: الاستغناء بما جعلوه كالنائب عنه، والقائم مقامه،[١] وهو (يا) وأخواتها[٢].

وقال الرضى: وانتصاب المنادى عند سيبويه على أنه مفعول به، وناصبه الفعل المقدر، وأصله عنده (يا أدعوا زيدا) فحذف الفعل حذفاً لازماً لكثُرة الاستعمال، ولدلالة حرف النداء عليه، وإفادته فائدته[٣].

فعلى هذا المذهب تكون (يا) مهملة لمجرد التنبيه، والعامل الفعل المحذوف، وقد نسخ لفظه من الكلام، وبقى حكمه وعمله، وأقيمت (يا) مقامة للدلاله عليه:

الثانى: أن (يا) هى العاملة، والفعل (أدعو أو أنادى) قد نسخ لفظه وعمله وقد ذهب هذا المذهب المبرد.

---

(١) إذ (يا) فى قولنا: ياعبدا الله عوض عن إدعو، وهم لا يجمعون بين العوض والمعوض عنه، ونائبة كذلك، وهم لا يجمعون بين النائب والمنوب عنه.

(٢) شرح شذور الذهب لابن هشام ٣١٥.

(٣) شرح الرضى على الكافية ٣٤٦/١، وانظر شرح المفصل لابن يعيش ١٢٧/١ وانظر الأمالى النحوية لابن الحاجب ١٣٣/٢ وانظر جواهر الأدب للإربلى ٣٦٠ والارتشاف ٢١٧٩.

قال ابن يعيش: وكان أبو العباس المبرد يقول: الناصب نفس (يا) لنيابتها عن الفعل، قال ولذلك أجازوا إمالتها[١].

وقال الرضى: وأجاز المبرد نصب المنادى على حرف النداء لسده مسد الفعل قال الرضى: وليس ببعيد؛ لأنه يمال إمالة الفعل، فلا يكون إذن من هذا الباب أي: ما انتصب على المفعول بعامل واجب الحذف[٢].

وقال ابن الخشاب: والمفرد (يعني في باب النداء) لا يخلو من أن يكون معرفة أو نكرة، فالنكرة الباقية على أصلها منصوبة بحرف النداء لأنّ المنادى مفعول وحرف النداء نائب عن الفعل إلاّ أنه فعل لا يصح إظهار لأنه لو ظهر لكان خبراً، والنداء ليس بخبر لأنه أصل من أصول الكلام، لايحتمل الصدق ولا الكذب، ولذا عُدّ ركنا من أركان الكلام، كما عد الخبر ركناً، والاستفهام ركناً، وغيرهما ولأن هذا الفعل لا يمكن تمثيله وهو باقٍ على معناه.. لأنّ حرف النداء لما قام مقام الفعل نفسه لا العبارة عنه قوى وتمكن فتنزل منزلة الفعل الصريح، وذلك أدون أحواله، ولهذا ضمنه بعضهم ضميراً مرفوعاً من ضمير المنادى، وأمِيل، فقيل (يازيدُ) كما تُمال الأفعال.[٣]

وقال ابن جنى: فإن قلت: فقل قالوا (يا عبدا لله - وياخيراً من زيدٍ) فأعملوا (يا) في الاسم الصريح، وهي حرف، فكيف القول في ذلك؟ قيل: لـ (يا) في هذه خاصة في قيامها مقام الفعل ليست لسائر الحروف، وذلك أن (هل) تنوب عن أستفهم، و(ما) تنوب عن (أنفى) و (إلاّ) تنوب عن (أستثنى)، وتلك الأفعال النائبة عنها هذه الحروف هي الناصبة في الأصل. فلما انصرفْت عنها إلى الحروف طلباً للإيجاز، ورغبة في الإكثار أسقطت عمل تلك الأفعال، ليتم ما انتحيته من الاختصار. وليس كذلك (يا) وذلك أن (يا) نفسَها هي العامل

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ١٢٧/١ والارتشاف ٢١٧٩.
(٢) شرح الرضى على الكافية ٤٦/١ وانظر الجواهر الأدب للإربلى، ٣٦٠/ ٣٦١.
(٣) المرتجل لابن الخشاب ١٩٢.

الواقع على زيد، وحالها فى ذلك حال (أدعو) و(أنادى) فى كون كل واحد منهما هو العامل فى المفعول...وقولك: (أنادى عبد الله وأدعو عبدا الله) هنا ليس هنا فعل واقع على (عبدا لله) غير هذا اللفظ، و(يا) نفسَها فى المعنى كـ (أدعو) ألا ترى أنك إنما تذكو بعد (يا) اسما واحداً كما تذكره بعد الفعل المستقل بفاعله إذا كان متعدياً إلى مفعولٍ واحدٍ، كضربت زيداً، ولقيت قاسماً.. فلما قويت (يا) فى نفسها، وأوغلت فى شبه الفعل تولت بنفسها العمل!!

فإن قلت: فإنما تذكر بعد (إلاّ) اسما واحداً أيضاً، قيل: الجملة قبل (إلاّ) منعقدة بنفسها و (إلاّ) فضلة فيها، وليس كذلك (يا)؛ لأنه إذا قلت: (ياعبدا لله) تم الكلام بها وبمنصوب بعدها فوجب أن تكون هى كأنها الفعل المستقل بفاعله، والمنصوب هو المفعول بعدها، فهى فى هذا الوجه كـ (روي زيداً)[١].

ومن وجه آخر أنّ قولك: (يازيدُ) لما إطرد فيه الضم، وتم به القول جرى مجرى ما ارتفع بفعله أو بالابتداء، فهذا أدون حالى (يا)أعنى أن يكون كأحد جزئى الجملة، وفى القول الأول هى جارية مجرى الفعل مع فاعله فلهذا قوى حكمها، وتجاوزت رتبة الحروف التى إنما هى ألحاق وزوائد على الجمل فلذلك عملت (يا) ولم تعملْ (هل) ولا (ما) ولا شيء من ذلك - النصب بمعنى الفعل الذى دلت عليه، ونابت عنه، ولذلك (يا) ما وُصِلَتْ تارة بنفسها فى قولك: (يا عبدا لله)وأخرى بحرف الجر، نحو قولك: (يالبكر) فجرت فى ذلك مجرى ما يعمل من الفعل تارة بنفسه، وأخرى بحرف الجر...[٢].

الثالث: أن العامل فى المنادى معنوى، وهو القصد، وليس الفعل ولا الحرف، وقد

---

(١) فى هذه العبارة إشارة من ابن جنى إلى مذهب شيخه أبى علي القائل بأن حروف النداء أسماء أفعال وعليه تكون أدوات النداء هى العاملة فى المنادى سواء أكانت أسماء أفعال كما هو مذهب الفارسي، أم حروفا نابت عن (أدعو) ودلت عليه فعملت عمله.
(٢) انظر الخصائص لابن جنى ٢/٢٧٦: ٢٧٨ وانظر ترتيب اللسان ١٥/٤٦٨.

ذهب هذا المذهب أبو القاسم السهيلى حيث قال: وأما حروف النداء فعاملة فى المنادى عند بعضهم[١].

والذى يظهر لى الآنَ أن (يا) تصويت بالمنادى، نحو (جوت): دعاء للإبل إلى الماء، و(هاً) ونحو ذلك، والمنادى منصوب بالقصد إليه، وإلى ذكره لما تقدم من قولنا فى كل مقصود إلى ذكره مجرداً عن الإخبار عنه: إنه منصوب ويدلك على أن حرف النداء ليس بعامل وجود العمل، فى الاسم دونه نحو: صاحبَ زيد أقبل.. و(يوسفُ أعرض عن هذا)[٢] وإن كان مبنيًا عندهم، فإنه بناء كالعمل ألا تراه ينعت على اللفظ كما ينعت المعرب، ولو كان حرف النداء عاملاً لما جاز حذفه وبقاء عمله[٣].

يفهم من نص السهيلى السابق أن العامل فى المنادى ليس لفظيا، فلا تعمل (يا) فيه؛ لأنها لو كانت عاملة لما جاز حذفها لأنها من قبيل العوامل الضعيفة التي إذا حذفت لا تقوى على العمل، ولا يكون لها تأثير فى الكلام.

وهذا المذهب عندى خارق للإجماع وغير مصتور فى الأفهام، إذ فيه إنكار العامل فى المنادى فعلاً كان أو حرفاً أو اسماً. والذى يبدو لى من المذاهب المتقدمة أن (يا) وسط بين الإعمال والإهمال، فإن شئنا قلنا بإعمالها، وقد نسخ فعل النداء لفظاً وعملاً، وإن شئنا قلنا بإهمالها، والعمل لفعل النداء الذى نسخ لفظه وبقى عمله، والله أعلم.

ذكر (يا) وحذفها:

ورد الاستعمال العربى بذكر (يا) وحذفها جوازاً ووجوباً، وسنفصِّل كلاً على حده بعد، من ذلك قولنا: (يازيدُ - ياأيها الرجل - ياعبدا لله) فإنه يجوز

(١) انظر أسرار العربية للأنبارى ٢٢٧.
(٢) سورة يوسف آية ٣٩.
(٣) انظر نتائج الفكر فى النحو للسهيلى ٧٨/٧٧ وانظر الهمع، للسيوطى، ٢٥/٢.

لنا فى هذه الأمثلة حذف (يا) فنقول: (زيدُ - أيها الرجل - ياعبدا للّه) غير أن الكثير ذكر (يا) وهو الأصل لأمورٍ:

الأول: أن (يا) عوض عن فعل النداء (أدعو - أنادى) فإذا حذفت (يا) كان فى ذلك محظور نحوىّ وهو حذف العوض والمعوض معاً، وهم لا يجمعون بين العوض والمعوض عنه ذكراً أو حذفاً.

الثانى: أن الغرض من حرف النداء مدّ الصوت ومطلة تنبيهاً للمدعو على المقصود فإذا حذف حرف النداء نقض الغرض الذى من أجله وضع حرف النداء.

الثالث: أنهم قد يحذفون المنادى فإذا حذفت أداة النداء كذلك صار إجحافاً لما يترتّب عليه من حذف جملة النداء برمتها، وهو غير مسموع ولامستساغ.

قال ابن يعيش إن الغرض بالنداء التصويت بالمنادى ليقبل، والغرض من حروف النداء امتداد الصوت وتنبيه المدعو، فإذا كان المنادَى متراخياً عن المنادى أو معرضاً عنه لا يقبل إلاّ بعد اجتهاد، أو نائماً قد استثقل فى نومه استعملوا فيه جميع حروف النداء ما خلا الهمزة وهى: (يا - أيا - هيا - أىْ) ليتمد الصوت بها ويرتفع، فإن كان قريباً نادوه بالهمزة، نحو قول الشاعر:

أزيدُ أخاو رقاءَ إن كنتَ ثائرا

لأنها تفيد تنبيه المدعو، ولم يُرد منها امتداد الصوت لقرب المدعو.. وقد يجوز حذف حرف النداء من القريب نحو قوله:

جار ابن كعب ألا أحلامَ تزجركم[1]

بعد هذا يتبين لنا ان (يا) تذكر تارة جوازاً وتارة وجوباً، وكذلك حذفها وإليك بيان كل:-

(١) شرح المفصل لابن يعيش ١٥/٢.

أولاً: ذكر (يا):

ورد ذكر (يا) فى القرآن الكريم، فى واحد وستين وثلاثمائة موضع وإليك أنواع ماتدخل عليه:

الأول: دخولها على العلم نحو: (ياإبراهيم[١] - ياآدم[٢] - يايحيى[٣] - ياداود[٤] - يازكريا[٥] - ياسامرى[٦] - ياشعيب[٧] - ياعيسى[٨]) إلى غير ذلك.

الثانى: دخولها على النكرة المقصودة نحو قوله تعالى: (ياأرض[٩] - يابشرى[١٠] - ياجبال[١١] - ياسماء[١٢]) إلى غير ذلك.

الثالث: دخولها على (أىّ) نحو قوله تعالى: ﴿ **ياأيتها النفس**[١٣] - **ياأيها الساحر**[١٤]﴾ إلى غير ذلك.

الرابع: دخولها على (المضاف) نحو قوله تعالى: ﴿ **ياأختَ هرون**[١٥] - **ياأهلَ الكتاب**[١٦] - **ياابنَ أمَّ**[١٧] - **يابنى ادمَ**[١٨] - **ياحسرتى**[١٩] - **ياذا القرنين**[٢٠]﴾ إلى غير ذلك.

الخامس: دخولها على النكرة غير المقصودة، نحو قوله تعالى: ﴿**ياحسرةً**[٢١]﴾ إلى غير ذلك.

---

(١) سورة هود آية ٧٦.
(٢) سورة البقرة آية ٣٣.
(٣) سورة مريم آية ١٢.
(٤) سورة ص آية ٢٦.
(٥) سورة مريم آية ٧.
(٦) سورة طه آية ٩٥.
(٧) طورة الأعراف آية ٨٨.
(٨) سورة المائدة آية ١١٠.
(٩) سورة هود آية ٤٤.
(١٠) سورة يوسف آية ١٩.
(١١) سورة سبأ آية ١٠.
(١٢) سورة هود آية ٤٤.
(١٣) سورة الفجر آية ٢٧.
(١٤) سورة الزخرف آية ٤٩.
(١٥) سورة مريم آية ٢٨.
(١٦) سورة آل عمران آية ٦٤.
(١٧) سورة طه آية ٩٤.
(١٨) سورة الأعراف ٢٦.
(١٩) سورة الزمر آية ٥٦.
(٢٠) سورة الكهف آية ٨٦.
(٢١)سورة يس آية ٣٠.

السادس: دخولها على (ليت) نحو قوله تعالى: ﴿ **ياليتنا**[١] - **ياليتنى**[٢] -**ياليتها**[٣]﴾ إلى غير ذلك.

السابع: دخولها على (ويل) نحو قوله تعالى: ﴿ **ياويلتا**[٤] - **ياويلتنا**[٥] - **ياويلنا**[٦]﴾ إلى غير ذلك.

هذا وقد وجب ذكر (يا) فى مسائل ذكر الزمخشرى - رحمه الله ضابطها فقال: ولا يحذف - يعنى حرف النداء - عمّا يوصف به (أىٍّ) فلا يقال: رجلُ، ولا هذا يريد: يارجلُ، وياهذا.

قال ابن يعيش: كل ما يجوز أن يكون وصفاً لـ (أىٍّ) ودعوته فإنه لا يجوز حذف حرف النداء منه، لأنه لا يجمع عليه حذف الموصوف وحذف حرف النداء منه، فيكون إجحافاً لذلك لا تقول: (يارجلُ أقبلْ) ولا (غلامُ تعالَ) ولا (هذا هلم) وأنت تريد النداء، حتى يظهر حرف النداء؛ لأن هذه الأشياء يجوز أن تكون نعوتاً لـ (أى) نحو (ياأيها الرجلُ) و(ياأيها الغلامُ) وياأىُّ هذا)؛ لأن (أيّاً) مبهم، والمبهم ينعت بما فيه الألف واللام، نحو قوله: ﴿ **ياأيها الناس....**﴾ وقول الشاعر:

ياأيها الرجل المعلم غيره ** هلا لنفسك كان ذا التعليم

أو بما كان مبهماً، نحو قول الشاعر:

ألا أيهذا الباخع الواجدُ نفيه

فوصف (أيّا) باسم الإشارة كما وصفه بما فيه الألف واللام، إذ كان مبهماً، مثله، كما يوصف ما فيه الألف واللام بما فيه الألف واللام، واحتج سيبويه بأن

(١) سورة الأنعام آية ٢٧.
(٢) سورة الفرقان آية ٢٨.
(٣) سورة الحاقة آية ٢٧.
(٤) سورة هود آية ٣١.
(٥) سورة الكهف آية ٤٩.
(٦) سورة الأنبياء آية ١٤.

أصل هذا أن يستعمل بالألف واللام فتقول (ياأيها الرجلُ) فلم يجز حذف ما كان يتعرف به، وتبقيته على التعريف إلاّ بعوض، وكذلك المبهم، يكون وصفاً على ماتقدم لـ (أيٍّ) فإذا حذفت (أياً) صار (يا) بدلاً فى هذا، كما صار بدلاً فى (رجل)[١].

هذا مجمل ما يجب فيه ذكر (يا) وإليك التفصيل فى المسائل الآتية:-

المسألة الأولى:-

المندوب نحو قول جرير يندب عمر بن عبد العزيز:

حملت أمراً عظيماً فاصطبرت له ** وقمت فيه بأمر الله ياعمرا

المسألة الثانية:

المستغاث به، نحو (يا لَله) ومنه المتعجب منه نحو (ياللماءِ ولِلعُشْبِ) إذا تعجبوا من كثرتهما.

المسألة الثالثة:-

المنادى البعيد نحو: (يازيدُ) إذا كان بعيداً منك، وإنما لم يحذف حرف النداء فى هذه المسائل الثلاث لأن المراد فيهن إطالة الصوت بحرف النداء، والحذف ينافيه.

المسألة الرابعة

اسم الجنس غير المعين، كقول الأعمى: يارجلاً خذ بيدى... لأن حذف حرف النداء لايجوز إلاّ إذا كان المنادَى مقبلاً على المنادِى ومتهيأ لما يقول له وهذا إنما يكون فى المعرفة دون النكرة.

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١٥، ١٦.

المسألة الخامسة:-

المضمر المخاطب، لأن الحذف معه يفوت الدلالة على النداء، والمضمر نداؤه شاذ... ويأتى على صغيتى المنصوب والمرفوع، فالأول كقول بعضهم: (يا إياك قد كفيتكِ) والثانى نحو قول الأحوص:

يا أبجر ابن بجريا أنتا **أنت الذى طلقت عام جعتا

قد أحسن الله وقد أسأتا

المسألة السادسة:-

اسم الله تعالى نحو (ياا لله) إذا لم يعوّض فى آخره الميم المشدودة[١] عن حرف النداء ك لأن نداء اسم الله تعالى على خلاف القياس[٢] فو حذف حرف النداء لم يدل عليه دليل وأجازه بعضهم وعليه قول أمية بن أبى الصلت الثقفى:

رضيت بك اللهم ربا فلن أرى **أدين إلها غيرك الله راضيا

أي: (يا الله).

المسألة السابعة والثامنة:-

اسم الإشارة واسم الجنس لمعين لأن حرف النداء فى اسم الجنس كالعوض من أداة التعريف[٣]، فحقه ألاَّ يحذف كما لا تحذف الأداة، واسم الإشارة فى معنى اسم الجنس، فجرى مجراه... خلافاً للكوفيين فيهما، حيث احتجوا على جواز

(١) فإنه إذا عوض عنها بالميم المشدّدة كما فى (اللهم) وجب حذف (يا) لأنهم لا يجمعون بين العوض والمعوض عنه إلاَّ فى الضرورة.

(٢) ووجه ذلك أن لفظ الجلالة فيه (أل) ونداء ما فيه (أل) سواء أكانت للتعريف كما فى الرجل، أو للتعويض كما فى لفظ الجلالة (الله) أو كانت زائدة كما فى (الذى) و(التى) و(الحارث) و(النعمان) أو كانت موصولة كما فى نحو (الضارب)، و(المضروب) فإن (يا) لاتجامع (أل) بأنواعها المختلفة، إلاَّ أنه لما صارت (أل) العوضية كالجزء من لفظ الجلالة استسيغ دخول (يا) عليها، والله اعلم.

(٣) أي أن رجلا تعريفه بـ (أل) فيقال فيه الرجل، فإذا نودى حذفت منه (أل) لمنافاتها (يا) وصارت (يا) فى تعريفه عوضاً عن (أل) فيقال: يارجل، فلو حذفت (يا) وقيل: (رجل) لترتب عليه حذف العوض والمعوض عنه معاً، وهو مرفوض فى القياس، كما يوقع أيضاً فى اللبس.

حذف (يا) قوله تعالى: ﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ أي: يا هؤلاء، ويقول ذي الرمّة:

إذا هملت عيني لها قال صاحبي ** بمثلك هذا لوعة وغرام

يريد: ياهذا[1]... وقولهم: أطرق كرا إن النعام في القرى...[2] أي: أطرق ياكروان فرخّم على لغة من لا ينتظر، فقلبت الواو ألفا وافتدِ مخنوقُ[3].. أي: افتدِ يامخنوق، وأصبحْ ليلُ.[4]... أي: ياليلُ.

وهذا عند البصريين ضرورة في النظم، وشذوذ في النثر[5].

ثانياً: حذف يا:-

تقدم أن حذف (يا) على خلاف الأصل ومنافٍ للغرض الذي يستعمل فيه، حيث جيء بها عوضاً عن فعل النداء (أدعو وأنادي) ونائبة عنه إيجازاً واختصاراً، فإذا حذفت كان إجحافاً واختصاراً للمختصر، وهذا لا يجوز، غير أنه قد ورد حذفها وهو ضربان:

أحدهما: حذفها جوازاً وضابطه أن يكون المنادَى مقبلاً على المنادي ومتهيآً لما يقول له وهذا لا يكون إلاّ في المعرفة دون النكرة. سواء أكان المنادى مفرداً، نحو قوله تعالى: ﴿ يوسف أعرض عن هذا﴾[6] أي: يايوسفُ،

(١) انظر شواهد التوضيح والتصحيح للابن مالك ٢١١، وقد قال ابن مالك: وإجازته أصَحُّ ثبوتها في الكلام الفصيح.

(٢) هو مثل يضرب فيمن تكبّر، وقد تواضع من هو أشرف منه، أي: طأطيء ياكروان رأسك واخفض عنقك للصيد فإن أكبر منك وأطول عنقا وهي النعام قد صيدت وحملت من البدو إلى القرى، والتصريح للأزهري ٢/ ١٦٥.

(٣) هو مثل يضرب لكل مضطر وقع في شدة، وهو يبخل بافتداء نفسه بماله، التصريح للأزهري ١٦٥/٢.

(٤) هو مثل يضرب لمن يظهر الكراهية للشيء،، انظر التصريح للأزهري ٢/ ١٦٥.

(٥) انظر التصريح بحاشية ياسين ١٦٤/٢، ١٦٥، والأشموني في حاشية الصبان ١٣٤/٣: ١٣٧ وانظر الأشباه والنظائر ٩٨/٢، ٩٩.

(٦) سورة يوسف آية ٢٩.

أو جاريا مجرى المفرد نحو قوله تعالي: ﴿ **سنفرغ لكم أيهَ الثقلان** ﴾[١] أي: ياأيها الثقلان، أو مضافاً، والحذف معه. كثير، نحو قوله: ﴿ **أن أدّوا إلىّ عباد الله** ﴾[٢] فى أحد إعرابيه، أي يا عباد اللّه[٣]. نحو قوله: ﴿ **رب قد آتيتنى من الملك .. فاطر السموات والأرض** ﴾[٤] أى: ياربى، يافاطر السموات... وقوله: ﴿ **رب أرنى كيف تحيى الموتى** ﴾[٥] أى: ياربى، وهو كثير فى الكتاب العزيز(٦).

والآخر: حذفها وجوباً، وذلك إذا عوض عنها بالميم المشددةَ، نحو: (اللّهُمَّ): فهو نداء والضمة فيه بناء بمنزلتها فى (يازيدُ)، والميم، فيه عوض من حرف النداء، ولذلك لا تجتمع (يا) مع الميم إلاَّ ي شعر، أنشدهُ الكوفيون وذلك قوله:

إنى إذا ما حدث ألما * دعوت ياللهم ياللهما

فجمع للضرورة بين (يا) والميم.

وذهب الفراء[٧] من الكوفيين إلى أن أصله (ياا للّه أمنا بخير) إلاَّ أنه لّما كثر فى كلامهم، واشتهر فى ألسنتهم حذفوا بعض الكلام تخفيفاً، كما قالوا: (هلم) والأصل (ها ألم) فحذفوا الهمزة تخفيفاً، وادغموا الميم فى الميم..[٨]

(١) سورة الرحمن آية ٣١.
(٢) سورة الدخان آية ١٨.
(٣) انظر التصريح ١٦٤/٢.
(٤) سورة يوسف آية ١٠١.
(٥) سورة البقرة آية ٢٦٠.
(٦) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٥/٢ وانظر الاشباه والنظائر ١٠٠/٢.
(٧) انظر معانى القرآن للفراء ٢٠٣/٢، ٢٠٤.
(٨) انظر شرح المفصل ١٦/٢، ١٧ وحاشية الخضرى على ابن عقيل ٦٥/٢، ١٥٥، والأشباه والنظائر للسيوطى، ١١٧/١، ١١٨. والتعويض وأثره فى الدرسات النحوية. واللغوية، ١٠٣.

تعقيب:

يتبين من مذهب الفراء أن (اللهم) ليست الميم فيه عوضية بل هي زائدة في آخر لفظ الجلالة كزيادتها في نحو: (زرقم وابنم) وعليه فالبيت السابق ليس ضرورة ولا شاذا على مذهب الكوفيين، ويمكن توجيهه بأمرين:

الأول: أن (يا) تجامع الميم الزائدة.

الثاني: أن الشاعر أدخل (يا) على اللهم) متوهماً أن الميم فيه أصلية وليست عوضية، والله أعلم.

ومن هنا يتبين لي أن مذهبي البصريين والكوفيين متكافئان حيث يدعم كُلاً منهما أدلة وحجج مقنعة، ولا يحتج بمذهب على مذهب، ولا يرد مذهب بآخر، حيث كلام العرب يحتملهما.

خصائص (يا):

تختص (يا) دون أخواتها في كلام العرب بأشياء لم تك لغيرها من أدوات النداء حيث أنها أم لها، وللأمهات خصائص واختصاصات أوسع وأعم من البنات، هذه الاختصاصات قد سبق جُلُّها، وهي نداء اسم الإشارة والمستغاث والمندوب، والنكرة، غير المقصودة، والمقصودة، ولفظ الجلالة... إلخ[(١)].

وقد سبق تفصيل كل منها، فلا حاجة إلى اعادتها.

وهناك أشياء أخرى قد حصلتها بالملاحظة والنظر في استعمالات (يا) زيادة على ما تقدم، وهي تنحصر في المسائل الآتية:

الأولى: أنه لا يتمحض للتنبيه سواها حيث تختص بالدخول على الحرف والفعل والجملتين، وقد سبق بيان ذلك.

(١) انظر التصريح بحاشية ياسين ١٦٤/٢، ١٦٥، والارتشاف لأبي حيان ٢١٨٠/٤ والأشباه والنظائر للسيوطي ٩٨/٢، وأسرار العربية للأنباري ٢٢٨.

الثانية: أنه لايحذف من أحرف النداء سواها وذلك استغناءً عنها بالمنادى مثل: ﴿ **قال رب احكم بالحق** ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ **ولم أكن بدعائك رب شقيا** ﴾[٢]. أي: ياربى.

الثالثة: يحذف المنادى معها خاصة عند قوم نحو حديث (يارب كاسية فى الدنيا عارية يوم القيامة) إذ التقدير: ياهؤلاء، أو ياقوم.

الرابعة: لا يعوض بالميم المشدّدة عن أداة من أدوات النداء سواها كما فى نحو (اللهم) وذلك لأن (يا) حرفان، والميم المشددة حرفان فعوضوا باثنين فى الآخر عن اثنين فى الأول، لأن العرب إذا حذفت من الأول مثل (يا) عوضت فى الآخر مثل الميم المشددة فى (اللهم).

قال الأنبارى: اختلفوا فى ذلك، فذهب البصريون إلى أنها عوض من (يا) التى للتنبيه والهاء مضمومة، لأنه نداء ولهذا لا يجوز أن يجمعوا بينهما، فلا يقولون: (يا اللهمَّ)، لئلا يجمعوا بين العوض والمعوض، وذهب الكوفيون إلى أنها ليست عوضاً من (يا) وإنما الأصل فيها: (يا الله أمنا بخير) إلاّ أنه لما كثر فى كلامهم، وجرى على ألسنتهم حذفوا بعض الكلام تخفيفاً، كما قالوا: (أيشٍ) والأصل فيه (أيُّ شىء) وقالوا: (ويلمّه) والأصل فيه (ويل أمه) وهذا كثير فى كلامهم، فكذلك هاهنا. قالوا: والذى يدل على أنها ليست عوضاً عنها أنهم يجمعون بينهما.

قال الشاعر:

<u>إنى إذا ما حدث ألما</u> ✱✱ <u>أقول يا اللهمّ يا اللهما</u>

وقال الآخر:

<u>وما عليك أن تقولى كلما</u> ✱ <u>صليت أو سبحت يا اللهما</u>

✱ <u>اردد علينا شيخنا مسلما</u> ✱

(١) سورة الأنبياء آية ١١٢. (٢) سورة مريم آية ٤.

فجمع بين (الميم ويا) ولو كالنت عوضاً عنها لم يجمع بينهماك لأن العوض والمعوض لا يجتمعان.

وقد مال الأنبارى إلى مذهب البصريين، فقال: والصحيح ماذهب إليه البصريون، وردّ مذهب الكوفيين بأدلة انتزعها من فكرة اللغوى المبنى على التأمل والنظر(١).

نكتة:

سبق أن وجهت بيت أمية بن أبى الصلت، وبينت أن لا ضرورة فيه ولا شذوذ حيث إن لفظة (اللهم) كأنها منحوته من (ياا لله أمنا بخير) كما نحتت (أيش) من (أىٍّ شىء و(ويلمه) من(ويل أمه)...الخ.

كما يحتمل أن الميم زائدة، والزائد فى العربية يؤتى به إما للتوكيد أو للمبالغة كما فى نحو (زرقم) للمبالغة فى الزرقة، و(ابنم) للمبالغة فى النبوة. (٢)

أغراضها:

- ترد (يا) فى الاستعمال العربى لأغراض متعددة، إليك بيانها:

الأول: تكون للنداء نحو: يازيدُ.

الثانى: تكون للدعاء نحو: يا أ لله

الثالث: تكونِ للتعجب، نحو: ياله فارساً، قال فى المدح: أنشد فيه القطان عن ثعلب.

<u>يافارسا ما أبو أوفى إذا شغلت ✱✱كلتا اليدين كرورأغير فرار</u>

(١) انظر أسرار العربية الانبارى ٢٣٢: ٢٣٥.
(٢) انظر فى ذلك التعويض وأثره فى الدراسات النحوية واللغوية، ٢٥: ٢٧. للدكتور عبد الرحمن اسماعيل.

وفى التعجب من المذموم ياله جاهلا، قال الشاعر:

أبو حازم جار لها وابن برثن ✱✱ فيالك جارى ذلة وصغارِ

الرابع: تكون للتلّهف والتأسّف نحو قوله جل ثناؤه (ياحسرةً على العباد)[١].

الخامس: تكون تنبيهاً كقوله:

ياشاعراً لا شاعر اليوم مثله ✱✱ جرير ولكن فى كليب تواضع

- وعلى هذا يتأوّل قوله جل ثناؤه (ألا يا اسجدوا)[٢]. والله أعلم.

(١) سورة يس آية ٣٠.
(٢) سورة النحل آة ٢٥.

الخاتمة

يعد هذه الجولة فى تراثنا العربى والغوص على (لمحات عن يا) فى التراث استطاع القلم أن يستخرج ألآلىء والدرارى الآتية:-

* وردت (يا) في العربية نداء وتنبيها، اسماً وفعلا وحرفا، عاملة وهاملة، مذكورة ومحذوفة، متعددة الدلالة واللغات والاستعمال والأغراض.

* (يا) هى أم الباب لذا اختصت بأشياء ليست لأخواتها وهى أصل لهن حيث تفرعن عنها فـ (أىْ) فرع عن يا بالقلبين المكانى والاعلالى، و(آىْ) بزيادة ألف بعد همزة (أىْ)، و(أ) بحذف الياء من (أىْ) و(آ) بزيادة ألف بعد الهمزة وحذف الياء، و(أيا) بزيادة الهمزة على (يا)، و(هيا) بقلب همزة (أيا) على الأصح، و(وا) بقلب الياء واوا على غير قياس.

* اختلف النحاة فى حقيقتها، فهى حرف عند الأكثرين، واسم فعل عند أبى على الفارسى، وفعل عند قوم آخرين.

* اختلف النحاة فى دلالتها إذا دخلت على فعل أو حرف أو جملة، فالبصريون على أنها حرف نداء والمنادى محذوف دلت عليه (يا)، وحرف تنبيه عند أبى على الفارسى، ونداء عند ابن مالك والكوفيين إذا دخلت على فعل طلبى أمرا كان أو دعاء لكثرة ذلك فى الكلام، إثباتا وحذفا، وتنبيها فيما عدا ذلك من الأفعال والحروف والجمل.

* هى العاملة فى المنادى عند ابن جنى وابن الخشاب، وعند الجمهور مهملة للتنبيه، والعامل فعل محذوف (أدعو أو أنادى).

* لا يحذف سواها من أدوات النداء، إذ ذلك مما اختصت به.

* لا يعوض عن شىء سواها من أدوات النداء بالميم المشددة فى اخر لفظ الجلالة نحو (اللّهُمَّ) إذ ذلك مما تميزت به عن أخواتها والله أعلى وأعلم.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم:

(أ)

٢- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر المسمّ« منتهى الأمانى والمسرات فى علوم القراءات للشيخ أحمد بن البنا (ت ١١١٧)هـ تحقيق الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل. مكتبة الكليات الأزهرية، بالقاهرة.

٣- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى (ت ٧٤٥)هـ تحقيق. د: رجب عثمان محمد، ومراجعة د: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤- أسرار العربية لأبى البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد الأنبارى (ت ٥٧٧) هـ تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقى بدمشق، ١٣٧٧ - ١٩٥٧م.

٥- الأشباه والنظائر فى النحو لأبى الفضل عبد الرحمن أبو بكر جلال الدين السيوطى (ت ٩١١)هـ تحقيق عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٥ - ١٩٧٥م.

٦- ألفية ابن مالك فى النحو والصرف للعلاّمة محمد بن عبدا للّه بن مالك الأندلسى دار القلم، بيروت، - لبنان، الطبعة أولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧- الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبى البركات عبد الرحمن محمد بن أبى سعد الأنبارى النحوى، (ت ٥٧٧) تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م، مطبعة السعادة، القاهرة.

٨- إعراب الألفية المسمى تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب للشيخ خالد عبد لله الأزهرى، مطبعة دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى، مصر.

٩- الأمالى النحوية أمالى القرآن الكريم لابن الحاجب عمر جمال الدين الكردى المعروف بابن الحاجب (ت ٥٧٠) تحقيق هادى عمر حمودى، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد مرتضى الزبيدى، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٧هـ.

١١- التبصرة والتذكرة لأبى محمد عبدا لله بن على بن إسحاق الصميرى، تحقيق الدكتور/ فتحى أحمد مصطفى علىّ الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢، دار الفكر بدمشق.

١٢- التبيان فى إعراب القرآن لأبى البقاء عبدا لله بن الحسين العكبرى. (ت ٦١٦)هـ تحقيق على محمد البجاوى، طبعة عيسى البابى الحلبى، وشركاه.

١٣- التعويض وأثره فى الدراسات النحوية، واللغوية، لعبد الرحمن محمد إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م المكتبة التوفيقية، القاهرة.

(ج)

١٤- الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن القاسم المرادى، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة والاستاذ محمد نديم فاضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

١٥- جواهر الأدب فى معرفة كلام العرب لعلاء الدين الإربلى (ت ٧٤١)هـ ت شرح وتحقيق الدكتور/ حامد أحمد نيل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤، مكتبة النهضة المصرية.

(ح)

١٦- حاشية البغدادى، عبد القادر بن عمر على شرح بانت سعاد لابن هشام، تحقيق، نظيف محرم خواجه، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٧- حاشية الخضري على ابن عقيل للشيخ محمد الخضرى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى، مصر.

١٨- حاشية الصبان محمد بن على على شرح الأشمونى دار الفكر.

حاشية ياسين على التصريح للشيخ ياسين بن زين الدين الحمصى، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

(خ)

١٩- خزانة الأدب ولب لباب العرب على شرح شواهد، الكافية، للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادى، دار صادر بيروت.

٢٠- الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى، تحقيق محمد على النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت.

٢١- رصف المبانى فى شرح حروف المعانى للإمام أحمد بن عبد النور المالقى (ت ٧٠٢)هـ تحقيق الدكتور/ أحمد محمد الخراط، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

٢٢- سرّ صناعة الإعراب لأبى الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢)هـ دراسة وتحقيق الدكتور/ حسن هنداوى، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ٩٨٥م، دار القلم، دمشق.

(ش)

٢٣- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى على ألفية ابن مالك، جمال الدين أبى محمد بن عبدا لله بن يوسف الأنصارى الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م، مطبعة الايقتامة.

٢٤- شرح الشافية للرضى مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادى (ت ١٠٩٣) تحقيق، محمد نور الحين وصاحبيه، مطبعة حجتزى، القاهرة.

٢٥- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، لأبى محمد عبدا لله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدا للهه بن هشام الأنصارى المصرى، (ت ٧٦١)هـ ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، للشيخ محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

٢٦- شرح الكافية لرضى الدين محمد بن الحسن الاسترابادى (ت ٦٨٦) تحقيق وتعليق الأستاذ يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢٧- شرح المفصل للشيخ موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوى (ت ٦٤٣)هـ عالم الكتب - بيروت.

٢٨- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك جمال الدين محمد بن عبدا لله الطائى النحوى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، مطبعة دار البيان العربى، مصر.

(ص)

٢٩- الصاحبى لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥)هـ تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة.

(ك)

٣٠- الكتاب لسيبويه أبى بشر عمرو بن عمثان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م مكتبة الخانجى القاهرة.

٣١- الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية لأبى البقاء أيوب موسى الحسينى الكفوى (ت ١٠٩٤)هـ. قابله على نسخة خطية واحدة الدكتور: عدنان درويش ومحمد المصرى، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

(ل)

٣٢- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت.

(م)

٣٣- المخصص لأبى الحسن على بن إسماعيل النحوى اللغويّ الأندلسى، المعروف بابن سيده، (ت ٤٥٨)هـ تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، دار إحياء التراث العربى بيروت.

٣٤- المرتجل لأبى محمد عبا للّه بن أحمد الخشاب، (ت ٥٦٧)هـ تحقيق ودراسة على حيدر، دمشق، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢.

٣٥- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى، تأليف العالم العلاّمة أحمد بن محمد بن على المقرى (ت ٧٧٠)هـ المطبعة العثمانية ٣١٣٢هـ مصر.

٣٦- معانى القرآن للفرّاء زكريا (ت ٢٠٧)هـ تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحد على النجار، دار السرور.

٣٧- معجم المؤلفين لعمر رضا كحّالة، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٣٨- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصارى (ت ٧٦١)هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

٣٩- المقامات الأدبية لأبى محمد القاسم بن على الحريرى البصرى، الطبعة الثالثة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م، طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.

٤٠- المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى للإمام العينى محمود على الخزانة، دار صادر بيروت.

٤١- الممتع لابن عصفور الرشبيلى، (ت ٦٦٩) تحقيق الدكتور فخر الدين قيادة دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤٢- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة السادسة عشرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(ن)

٤٣- نتائج الفكر فى النحو لأبى القاسم بن عبدا لله السهيلى، (ت ٥٨١) هـ تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع.

٤٤- نجاح السالك بتيسير أوضح المسالك، للأستاذ الدكتور، أبى محمد عبد الرحمن بن محمد إسماعيل، أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى، وجامعة الأزهر سابقاً، مكتبة الفيصلية بمكة المكرمة.

٤٥- النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى، تحقيق ودراسة الدكتور/ محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(هـ)

٤٦- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع للإمام جلال الدين السيوطى، (ت ٩١١)هـ تحقيق وشرح الدكتور/ عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.



التوسع فى الأمهات النحوية عند العرب

الدكتور
السيد مصطفى شحاته

التوسع فى الأمهات النحوية عند العرب

توجد فى لغتنا العربية أبواب نحوية كثيرة تشترك فى أحكام عامة كالتوابع التى تشارك ما قلها فى الإعراب مطلقا، والجوازم التى تتفق فى حكم واحد وهو جزم المضارع، والنواصب التى تتحد أدواتها فى نصب المضارع، وغير ذلك من الأبواب النحوية الكثيرة التى يضيق المقام عن سردها هنا.

وأحيانا نجد لبعض الأبواب النحوية أخوات تنفرد إحداهن بخصائص لا توجد فى غيرها من الأخوات .

والنحاة اصطلحوا على تسمية هذا اللون الأخير باسم الأمهات النحوية.

والأمهات: جمع أم، أو أُمَّهَة، والأم [١] لغة: أصل كل شيء وعماده.

وقد أختلف الصرفيون [٢] فى هاء (الأمهات) من حيث الأصالة والزيادة، فذهب جل الصرفيين إلى أن الهاء زائدة، ووزنها (فُعْلهات).

وقال أبو بكر بن سراج: الهاء فى (أمهة) أصلية، وهى (فعلة) بمنزلة (أبهة) وبناء على قوله، فوزن: أمهات (فعلات).

والحق أن الهاء فى (أمهات) زائدة، لا أصيلة كما يزعم ابن سراج لحكاية أئمة اللغة (أم بينة الأمومة) بغير هاء، ولو كانت أصلية لثبتت فى المصدر.

ويقوى زيادة الهاء فى (الأمهات) أمور ثلاثة:

---

(١) راجع اللسان، والمعجم الوسيط (أمم).

(٢) راجع سر صناعة الإعراب جنى ٥٦٣- ٥٦٧، والممتع لابن عصفور ٢١٧/١- ٢١٩، وشرح لابن يعيش ٣/١٠- ٥، وشرح الملوكى فى التصريف ٢٠١- ٢٠٤، وشرح شواهد الشافية للبغدادى ٣٠١-٣٠٣.

الأول: استعمال (أمهة) فى معنى الأم، كما قال بن كلاب:

أمهتى خندف والياس أبى [(١)]

أى: أمى إلا أن الفرق بين أمهة، وأم: أن أمهة إنما تقع فى الغالب على من يعقل، وأم تقع فى الغالب على ما لا يعقل، وقد يقع العكس فى كل منهما، وذلك قليل.

الثانى: قولهم فى معناها: (أمات) بدون هاء، كما قال مروان بن الحكم:

إذا الأمهات قبحن الوجوه .. فرجت الظلام بأماتكا [(٢)]

فأتى بهما فى بيت واحد.

الثالث: أن الصرفيين اتفقوا على أن الهاء من حروف الزيادة العشرة المجموعة فى قولهم (سألتمونيها) وقد ثبتت زيادة الهاء فى مواضع أكثر من حذفها، فاعتقاد زيادة الهاء فى (أمهات) أسهل من حذفها من (أمات)؛ لأن ما زيد فى الكلام أضعاف ما حذف منه والحمل على الأكثر أولى من الحمل على الأقل.

واصطلاحا: انفراد الأم بخصائص نحوية لا توجد فى غيرها من أخوات بابها.

فاشترط النحاة فى توسع الأمهات النحوية أن تستأثر كل أم بأحكام نحوية لا يشاركها فيها غيرها من أخواتها، وهذا لا يمنع أن تنفرد إحدى أخواتها - أيضا - بحكم، أو أكثر غير موجود فى أم الباب، ولا غيرها من أخواتها،

---

(١) هذا رجز لقصى بن كلاب، وهو من شواهد المحتسب ٢/٢٢٤، وابن يعيش ١٠/٣-٤، وشرح شواهد ٣٠١، والتصريح ٢/٢٦٢، والهمع ١/٣. ٢٢ والدرر ١/٥، ومعجم الشواهد ٤٤٥.

(٢) هذا بيت من المتقارب لمروان بن الحكم وهو من شواهد ابن يعيش ١٠/٣، وشرح شواهد الشافية ٣٠٨، والتصريح ٢/٣٦٢، واللسان (أمم) ومعجم الشواهد ٢٥٦.

اللغة: قبحن: قبحة: يقبحه - بفتح العين فيهما- بمعنى أخزاه، وشوهه وفرجه فرجا من باب ضرب لغة فى فرجة تفريجا بمعنى كشفه.

كفاء العطف - مثلا -. التى تنفرد عن أم باب العطف وهى الواو وعن أخواتها - أيضا - بحكمين: (١)

أحداهما: عطف مفصل على مجمل متحدى المعنى، نحو قوله تعالى:

(فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة) (٢) وقوله تعالى:

(ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى) (٣).

والثاني: تسويغ الاكتفاء بضمير واحد، فيما تضمن جملتين من صلة، أو صفة، أو خبر، أو حال.

فالصلة نحو: الذى يطير فيغضب زيد الذباب، وعكسه نحو: الذى تقوم هند فيغضب عمرو.

والصفة نحو: مررت برجل يبكى، فيضحك عمرو، وعكسه وبأمرأة يبكى زيد فتضحك.

والخبر نحو: خالد يقوم، فيقعد عمرو، وعكسه نحو: هند يقوم عمرو فتقعد.

والحال نحو: جاء زيد يضحك، فتبكى هند، وعكسه نحو: جاء زيد تبكى هند فيضحك.

فهذه ثمان مسائل يختص العطف فيها بالفاء دون غيرها، وذلك لما فيها من معنى السببية

أقسام الأمهات من حيث العمل وعدمه

تنقسم الأمهات النحوية إلى قسمين: أمهات هوامل، وأمهات عوامل، والأمهات الهوامل تكاد تنحصر فى ثلاثة حروف وهى:

(١) راجع التسهيل ١٧٤

(٢) فى الآية ١٥٣ من سورة النساء.

(٣) فى الآية ٤٥ من سورة هود.

الأولى: (لو) الشرطية غير الجازمة.

أدوات الشرط غير الجازمة ستة وهى: لو، ولولا، ولما، وإذا، وأما، و(لو) أم الباب، ولذلك اختصت بأحكام منها.

١- كثرة حذف (كان) واسمها بعدها، كقولك: ألا طعام ولو تمرا، ألا ماء ولو باردا، أى: ولو كان المأتى به تمرا، أو باردا كما سنوضح ذلك عند الحديث عن (كان) فى الأمهات العوامل إن شاء الله تعالى.

قال فى التصريح ١٩٣/١: "وكثر ذلك بعد (إن) و(لو) الشرطيتين؛ لأنهما من الأدوات الطالبة لفعلين، فيطول الكلام، فيخفف بالحذف، وخص ذلك بإن، ولو دون بقية أدوات الشرط، لأن (إن) أم أدوات الشرط الجازمة و(لو) أم أدوات الشرط غير الجازمة، كما أن كان أم بابها، وهو يتسعون فى الأمهات ما لا يتسعون فى غيرها" [١] اهـ .

٢- وقوع (أن) بعدها كثيرا، كقوله تعالى: (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) [٢].

واختلف [٣] فى موضع (أن) بعد (لو)؛ فذهب سيبويه إلى أنها في موضع رفع بالابتداء، ولا تحتاج إلى خبر، لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه.

وذهب بعضهم إلى أن موضعها رفع الابتداء، والخبر محذوف، ثم قيل: يقدر مقدما أى: لو ثابت صبرهم، وقال ابن عصفور: يقدر مؤخرا أى: ولو صبرهم ثابت.

(١) راجع أيضا الصبان ٢٤٢/١، وابن حمدون على المكودى ٩٣/١، والسجاعى على ابن عقيل ١٠٣/١

(٢) فى الآية ٥ من سورة الحجرات.

(٣) راجع الخلاف فى المغنى ٢٦٩، ٢٧٠.

وذهب المبرد رالزجاج والكوفيون إلى أن موضعها رفع على الفاعلية بفعل محذوف، والتقدير: ولو ثبت أنهم صبروا، وهذا الرأى هو الراجح لأن فيه إبقاء (لو) على الاختصاص بالفعل.

٣- أنها قد يحذف بعدها الجواب والشرط، كقول عبيد بن الأرض:

إنْ يَكُنْ طِبّكِ الدلال فَلَوْ فِي ... سَالِفِ الدّهْرِ والسّنِينَ الخَوالِي [(١)]

أى: إن كان عادتك الدلال، فلو كان هذا فيما مضى لاحتملناه منك

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن النحاة اتفقوا على أن (لو) أو أدوات الشرط غير الجازمة كما صرحوا بذلك فى كتبهم، وخاصة فى باب (كان) الناسخة، ولكن الشيخ خالد الأزهرى سهما قلمه، وذكر لنا أن (إذا) الشرطية أم أدوات الشرط غير الجازمة حيث قال فى تصريحه ٢٥١/٢: "ويجوز أن تغنى (إذا) الفجائية عن الفاء فى الربط، لأنها أشبهت الفاء فى كونها لا يبتدأ بها، ولا تقع إلا بعد ما هو معقب بما بعدها، فقامت مقامها إن كانت الأداة الجازمة (إن)؛ لأنها أم باب الجوازم الشرطية، أو كانت الأداة غير الجازمة (إذا) الشرطية، لأنها تشبه (إن) فى كونها أم باب الشروط غير الجوازم" اهـ .

ومن العجيب أنه ناقض نفسه، وذكر لنا فى اب (كان) الناسخة أن (لو) أم أدوات الشرط غير الجازمة كما ذكرنا نصه سابقا فى أول حكم تنفرد به (لو) عن سائر أدوات الشرط غير الجازمة.

---

(١) هذا بيت من الخفيف لعبيد بن الأبرص، وهو شواهد من شواهد الكافية لابن مالك ٦٤١، وشرح الألفية لابن الناظم صـ ٧١٤ والمغنى ٦٤٩، والعينى ٤٦٢/٤، والديوان ٣٧، ومعجم الشواهد ٣٢٤.

اللغة: الدلال: أن ترى المرأة للرجل جرأة عليه فى تغنج وتشكل، كأنها تخالفه وليس بها خلاف.
رسالف الدهر: المتقدم منه، ويقصد أيام الشباب.

ومن العجب العجاب أن الشيخ محمد عبادة نقل نص الشيخ خالد الأزهرى فى حاشيته على الشذور ٢/ ١٢٠ الذى صرح فيه بأن (إذا) أم أدوات الشرط غير الجازمة، ولم ينتقده بشىء مع أنه صرح فى مسألة حذف (كان) مع اسمها فى نفس حاشيته بأن (لو) أم أدوات الشرط غير الجازمة حيث قال ١٢/٢: "وخص ذلك بـ (إن) و(لو) دون بقية الشروط، لأن (لو) أم باب الشروط غير الجازمة و(إن) أم الشروط الجازمة، كما أن (كان) أم باب النواسخ الرافعة للمبتدأ، وهم يتوسعون فى الأمهات ما لم يتوسعوا فى غيرهم "اهـ .

الثانية: (همزة الاستفهام).

أدوات الاستفهام هى: الهمزة، وهل، وما، ومن، وأى، وكم، ،كيف، وأين، ومتى، وأيان. والهمزة أم أدوات الاستفهام، ولذلك انفردت عن أخواتنها بما يلى:

١- أنها تدخل فى مواضع الاستفهام كلها، بخلاف غيرها من أخواتها

" فالهمزة أصل أدوات الاستفهام، وأم الباب، وأعم تصرفا، وأقوى فى باب الاستفهام؛ لأنها تدخل فى مواضع الاستفهام كلها، وغيرها مما يسفهم به يلزم موضعا، ويختص به، وينتقل عنه إلى غير الاستفهام نحو: من، وكم، وهل، و(من) سؤال عمن يعقل، وقد تنتقل فتكون بمعنى الذى، و(كم)، سؤال عن عدد، وقد تستعمل بمعنى رب، و(هل) لا يسأل بها فى جميع المواضع، ألا ترى أنك تقول: أزيد عندك أم عمرو ؟ على معنى: أيهما عندك ؟ ولا يجوز فى ذلك المعنى أن تقول: هل زيد عندك أم عمرو ؟ وقد تنتقل عن الاستفهام إلى معنى (قد) نحو: (هل أتى على الإنسان) [١]أى قد أتى، وقد تكون بمعنى النفى نحو:

---

(١) فى الآية ١ من سورة الإنسان

(هل [١] جزاء الإحسان إلا الإحسان)" [٢] اهـ .

٢- أنها لم يجب دخولها على الأفعال بخلاف بقية أخواتها.

ولذلك ترجح نصب (بشرا) بفعل محذوف يفسره المذكور فى قوله تعالى: (أبشرا منا واحدا نتبعه) [٣] بخلاف (هل) فإنه يجب فى الاسم الذى بعدها النصب، ويمتنع الرفع بالابتداء فى نحو: هل زيدا أكرمته ؟ كما يجب فى الاسم الذى بعدها أن يعرب فاعلا لفعل محذوف فى نحو: هل زيد قام ؟ والتقدير: هل قام زيد قام ؟ وذلك لأنها إذا لم تر الفعل فى حيزها تسلت عنه ذاهلة، وإن رأته فى حيزها حنت إليه لسابق الألفة، فلم ترض حينئذ إلا بمعانقته [٤].

قال فى التصريح ١/٣٠٠: " وإنما لم يجب دخولها على الأفعال كباقى أخواتها؛ لأنها أم الباب، وهم يتوسعون فى أمهات الأبواب ما لم يتوسعوا فى غيرها" اهـ .

وقال ابن حمدون فى حاشيته على المكودى: " فإن قلت: ما الفرق بين قولك: أزيد قام ؟ مع هل زيد قام ؟ حتى جاز فى الأول وجهان، وتعين فى الثانى كونه فاعلا بفعل محذوف؟.

قلت: الهمزة أم الباب، وهم يتوسعون فى الأمهات ما لا يتوسعون فى غيرها "اهـ .

٣- أنها تدخل على (إن) [٥] كقوله تعالى: (أإنك لأنت يوسف) [٦] بخلاف غيرها من الأدوات.

---

(١) الآية ٦٠ من سورة الرحمن.
(٢) راجع الأشباه والنظائر ٣/ ٢٥٤، ٢٥٥.
(٣) فى الآية ٢٤ من سورة القمر.
(٤) راجع الأشمونى ١/٤٤.
(٥) راجع الارتشاف ٢/٢٥٨.
(٦) فى الآية ٩١ من سورة يوسف.

٤- أنها تدخل على الشرط [١]، نحو قوله تعالى: (أفإن مات، أو قتل انقلبتم على أعقابكم) [٢].

٥- أنها ترد لطلب التصور [٣]، نحو: آزيد قائم أم عمرو ؟ وأدبس فى الإناء أم خل ؟، والتصديق نحو: أزيد قائم ؟ وأقام زيد ؟ بخلاف (هل) فإنها مختصة بطلب التصديق، نحو: هل قام زيد ؟ وبقية الأدوات مختصة بطلب التصور، نحو: من جاءك ؟ وما صنعت ؟ وكم مالك ؟ وأين بيتك ؟ ومتى سفرك؟.

٦- جواز حذفها عند [٤] أمن اللبس.

ومن شواهد ذلك قوله تعالى: (وتلك نعمة تمنها علىّ) [٥] قال ابن جنى فى المحتسب: ١/ ٥٠ أراد: أو تلك نعمة، وقراءة ابن محيص: (سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم) [٦] وقال الكميت:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب .. ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب؟ [٧]

أراد: أو ذو الشيب يلعب، وقال عمر بن أبى ربيعة:

لعمرك ما أدرى وإن كنت داريا .. بسبع رمين الجمر أم بثمان ؟ [٨]

أراد: أبسبع.

(١) راجع الهمع ٢/٦٩، والاتقان ٢/١٤٢.
(٢) فى الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.
(٣) راجع البرهان للزركشى ٤/٢٠١، والمغنى ١٥، والهمع ٢/٦٩، والاتقان ٢/١٤١.
(٤) راجع شواهد كثيرة لحذف الهمزة فى شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك صـ ٨٧- ٨٩.
(٥) فى الآية ٢٢ من سورة الشعراء.
(٦) فى الآية ٦ من سورة البقرة وراجع القراءة فى المحتسب ١/ ٥٠.
(٧) هذا بيت من الطويل للكميت بن زيد، وهو من شواهد الخصائص ٢/٢٨، والمحتسب ١/ ٥٠، والمغنى ١٤، والهمع ١/١٩٥، ٢/٦٩، ومعجم الشواهد ٣٥.
(٨) هذا بيت من الطويل لعمر بن أبى ربيعة، وهو من شواهد الكتاب ١/٤٧٥، والمحتسب ١/ ٥٠، وابن يعيش ٨/١٥٤، والمغنى ١٤، والديوان ٢٥٨، ومعجم الشواهد ٣٩٧.

٧- أنها ترد للتسوية: [١]

وضابط همزة التسوية هى: الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها، سواء وقعت بعد كلمة سواء، كقوله تعالى: (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفرلهم [٢]، وقوله تعالي: (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) [٣] أو ما فى معناها مثل: ما أبالي أقمت أم قعدت ؟ وما أدرى، وليت شعرى ونحوهن.

وأجاز بعض [٤] النحاة أن تكون (هل) للتسوية كالهمزة، فتقول: علمت هل قام زيد أم عمرو ؟ والحق عدم الجواز؛ لأنه لم يرد بذلك سماع عن العرب.

٨- أنها استأثرت عن أخواتها بتمام التصدير بدليلين:

أحداهما: أنها لا تعاد بعد (أم)؛ فلا يقال: أزيد عندك أم عمرو ؟ ولا أقمت أم قعدت، كما يعاد الجار بعدها توكيدا فى نحو: أعلى عمرو غضيبت أم على زيد ؟ وذلك؛ لأن الهمزة لم تقع بعد العاطف تأسيسا فكيف تقع بعده توكيدا ؟ بخلاف غيرها من الأدوات، فإنها تعاد بعد (أم) فتقول: هل قام زيد أم هل قدم بكر ؟ ومن يضرب عمرا أم من يضرب خالدا ؟ وأيهم شتم بكرا أم أيهم ضربه ؟ قال تعالى (قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور) [٥] وقال تعالى: (أم من هذا الذى هو جندلكم) [٦].

والثانى: أنها إذا كانت فى جملة معطوفة بالواو، أو بالفاء، أو بثم قدمت على العاطف كقوله تعالى: (أو أمن أهل القرى) [٧] وقوله تعالى (أفأمن أهل القرى) [٨] وقوله تعالى (أثم إذا ما وقع آمنتم به) [٩] وكان الأصل فى ذلك

(١) راجع الارتشاف ٢٥٨/٢، والجنى الدانى ٣٢، والمغنى ١٧، والهمع ٦٩/٢.
(٢) فى الآية ٦ من سورة المنافقون.
(٣) فى الآية ٢١ من سورة إبراهيم.
(٤) راجع الارتشاف ٢٥٨/٢.
(٥) فى الآية ١٦ من سورة الرعد.
(٦) فى الآية ٢٠ من سورة الملك.
(٧) فى الآية ٩٨ من يورة الأعراف.
(٨) فى الآية ٩٧ من سورة الأعراف.
(٩) فى الآية ٥١ من سورة يونس.

تقديم حرف العطف على الهمزة، لأنها من الجملة المعطوفة لكن راعوا أصالة الهمزة فى استحقاق التصدير فقدموها بخلاف غيرها من أخواتها، فقد أخرت عن حروف العطف كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة، كقوله تعاى: (فما لكم فى المنافقين فئتين) [١] وقوله تعالى (فأين تذهبون) [٢].

وليس من خصائص همزة الأستفهام خروجها عن معناها الحقيقى إلى أحد هذه المعانى السبعة، وهى: الإنكار، والتوبيخ، والتقرير، والتهكم، والأمر، والتعجب، والاستبطاء كما زعم السيوطى فى الهمع ٦٩/٢ قائلا: "وورودها ... والإنكار نحو: (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا) [٣] (أفعيينا بالخلق الأول) [٤] أى لم يقع ذلك، ومدعيه كاذب، والتوبيخ أى: اللوم على ما وقع نحو: (أتعبدون ما تنحتون) [٥] والتقرير: أى: حمل المخاطب على الإقرار، نحو: (ألم نشرح لك صدرك) [٦] أى شرحنا، والتهكم نحو: (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) [٧] والأمر، نحو: (أأسلمتم) [٨] أى أسلموا، والتعجب نحو: (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) [٩] والاستبطاء، نحو: (ألم يأن للذين آمنوا) [١٠] وسائر الأدوات لا ترد لشىء من ذلك "اهـ.

فالحق أن كل أدوات الاستفهام تشارك الهمزة فى جميع المعانى السابقة.

ومن العجيب أن العلامة السيوطى ناقض نفسه وذكر فى كتابه عقود الجمان فى المعنى، والبيان أن كلمات الاستفهام تخرج عن معناها الحقيقى، وترد لمعان منها المعانى السابقة فى نصه السالف، قال السيوطى فى عقود الجمان فى

(١) فى الآية ٨٨ من سورة النساء.
(٢) فى الآية ٢٦ من سورة التكوير.
(٣) فى الآية ٤٠ من سورة الإسراء.
(٤) فى الآية ١٥ من سورة ق.
(٥) فى الآية ٩٥ من سورة الصافات.
(٦) فى الآية ١ من سورة الانشراح.
(٧) فى الآية ٨٧ من سورة هود.
(٨) فى الآية ٢٠ من سورة آل عمران.
(٩) فى الآية ٤٥ من سورة الفرقان.
(١٠) فى الآية ١٦ من سورة الحديد.

المعانى والبيان ١٨٩/١، ١٩٠ " قد تستعمل كلمات الاستفهام فى غيره مجازا من ذلك: الاستبطاء نحو: كم أدعوك ؟ لمن أكثرت دعاءه، وفهم الطيبى أن ذلك خاص بكم، وليس كذلك، فقد مثله فى الإيضاح بقوله تعالى: (متى نصر الله)؟[١].

وفى التبيان بقولك للغلام: هل أنت منطلق؟ أى الناس قد انطلقوا فما وقوفك؟ نعم قال الشيخ بهاء الدين: الأحسن أن يجعل الفعل مضارعا، لأنه أدل على بقاء الطلب، والاستبطاء بخلاف قول التلخيص: كم دعوتك؟ لأنه قد يصدر من موبخ قد انقطع غرضه من إجابة دعائه، أو بعد تعذر الإجابة.

ومنع التعجب ويشارك الاستفهام فى أن كلا يكون عما خفى سببه، نحو: (مالى لا أرى الهدهد) [٢] لأنه لم يكن يغيب عنه إلا بإذنه، فلما لم يبصره تعجب من حال نفسه عن عدم إبصاره إياه، إذ لا معنى لاستفهام العاقل عن حال نفسه، ومثله فى التبيان بقوله تعالى: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام)؟ [٣]... والأمر، وزاده فى الإيضاح، نحو (أأسلمتم) [٤] أى أسلموا، (فهل أنتم منتهون) [٥] أى انتهوا، وعبر عنه الطيبى فى هذه الآية بالاستقصار، والتعبير وربما اجتمع الأمران كالتعجب، والتوبيخ معا ذكره فى الإيضاح نحو (كيف تكفرون بالله) " [٦] اهـ بتصرف.

وقال الشيخ المرشدى فى شرح عقود الجمان فى المعانى، والبيان: " تنبيه كما يكون استفهام الإنكار بالهمزة يكون بكم، وكيف نحو: كم تدعوني ؟ وكيف

---

(١) فى الآية ٢١٤ من سورة البقرة.
(٢) فى الآية ٢٠ من سورة النحل.
(٣) فى الآية ٧ من سورة الفرقان.
(٤) فى الآية ٢٠ من سورة آل عمران.
(٥) الآية ٩١ من سورة المائدة.
(٦) فى الآية ٢٨ من سورة البقرة.

تؤذى أباك؟ إذ ليس معناه كم مرة تدعونى ليكون للاستفهام، بل معناه كثيرا من المرات تدعونى، وتكرر دعايتى بلا فائدة، فيكون للإنكار وكذا ليس المراد فى كيف تؤذى أباك السؤال عن الحال، وهو أنك فى أي حال تؤذيه، بل معناه كيف يجوز ذلك "اهـ .

وقال أيضا ص ١/١٨٧ : ؛ تنبيه: قد يكون الاستفهام الإنكارى الذى بمعنى النفي للتوبيخ – أيضا – كقوله تعالى: (وماذا عليهم لو آمنوا بالله) [١] بمعنى أى تبعة، ووبال عليهم فى الإيمان، وترك النفاق، وهذا للندم والتوبيخ "اهـ.

وقال – أيضا– ١/١٨٩: " تنبيه، قال فى الإيضاح: وقد يجتمعان أى اثنان من المعانى التى أسلفنا بيانها فى أداة الاستفهام، مثل: تعجب وتوبيخ معا، نحو قوله تعالى: (كيف تكفرون بالله)" [٢] اهـ .

كما صرح لنا السيوطى – أيضا – فى كتابه الإتقان نقلا عن ابن الصائغ أن صيغة الاستفهام قد تستعمل فى غيره مجازا، فقال فى ٣/٢٣٥: " وَقد تستعمل صيغة الاستفهام فى غيره مجازا، وألف فى ذلك العلامة شمس الدين ابن الصائغ كتابا سماه روض الأفهام فى أقسام الاستفهام قال فيه: قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان، أو اشربته تلك المعانى، ولا يختص التجوز فى ذلك بالهمزة خلافا للصفار.

الأول: الإنكار: والمعنى فيه على النفى، وما بعده منفى، ولذلك تصحبه إلا، كقوله تعالى (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) [٣](وهل نجازى إلا الكفور)[٤]، وعطف على المنفى فى قوله (فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين)[٥] أى يهدى، ومنه (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) [٦].

(١) في الآية ٣٩ من سورة النساء.
(٢) في الآية ٢٨ من سورة البقرة.
(٣) الآية ٣٥ من سورة الأحقاف.
(٤) الآية ١٧ من سورة سبأ.
(٥) الآية ٢٩ من سورة الروم.
(٦) فى الآية ١١١ من سورة الشعراء.

الثاني: التوبيخ: وأكثر ما يقع التوبيخ فى أمر ثابت، قد وبخ على فعله كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغى أن يقع؛ كقوله (أو لم نعمر كم) [(١)] (ما يتذكر فيه من تذكر) [(٢)].

الثالث: وهو حمل المخاطب على الإقرار، والاعتراف بأمر قد استقر عنده قال ابن جني: ولا يستعمل ذلك بهل، كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام وقال الكندى: ذهب كثير من العلماء فى قوله(هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم) [(٣)] إلى أن هل تشارك الهمزة فى نص التقرير، والتربيخ إلا أنى رأيت أبا على أبى ذلك، وهو معذور، لأن ذلك من قبيل الإنكار، ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل، إنما يستعمل فيه الهمزة، ثم نقل عن بعضهم أن (هل) تأتى تقريرا كما في قوله تعالى: (هل فى ذلك قسم لذى حجر) [(٤)].

الرابع: التعجب، أو التعجيب، نحو: (كيف تكفرون بالله) [(٥)] (مالى لا أرى الهدهد) [(٦)] وقد اجتمع هذا القسم، وسابقاه فى قوله: (أتأمرون الناس بالبر) [(٧)] قال الزمخشرى: الهمزة للتقرير مع التوبيخ، والتعجب من حالهم، ويحتمل التعجب، والاستفهام الحقيقى (ما ولاهم عن قبلتهم) [(٨)].

الرابع عشر: الأمر، نحو: (أأسلمتم [(٩)]، أى أسلموا، (فهل أنتم منتهون) [(١٠)] أى انتهوا (أتبصرون) [(١١)] أى: اصبروا.

(١) فى الآية ٣٧ من سورة فاطر.
(٢) في الآية ٣٥ من سورة فاطر.
(٣) فى الآيتين ٧٢- ٧٣ من سورة الشعراء.
(٤) الآية ٥ من سورة الفجر.
(٥) فى الآية ٢٨ من سورة البقرة.
(٦) فى الآية ٢٨ من سورة النمل.
(٧) فى الآية ٤٤ من سورة البقرة.
(٨) فى الآية ١٤٢ من سورة البقرة.
(٩) فى الآية ٢٠ من سورة آل عمران.
(١٠) الآية ٩١ من سورة المائدة.
(١١) فى الآية ٢٠ من سورة الفرقان.

الحادي والعشرون: الاستبطاء، نحو: (متى نصر الله) [١].

الثلاثون: التهكم والاستهزاء، نحو:(أصلاتك تأمرك) [٢] ([٣] ألا تأكلون مالكم لا تنطقون) [٤] اهـ بتصرف.

وزعم ابن عقيل فى شرح التسهيل ٢١٢/٣ أن الهمزة تختص بالتوبيخ، والإنكار والتعجب فقال: " وتختص الهمزة - أيضا - بتضمن التوبيخ، نحو:

أطربا وأنت قنسرى ؟ [٥]

ولا يجوز: هل تطرب، وأنت شيخ؟ على التوبيخ، وكذا تضمن الإنكار والتعجب "اهـ . ويرد عليه أن أخوات الهمزة يشاركنها فى المعانى السالفة كما ذكرنا ذلك منذ قليل.

ولقد أجاد ابن الناظم فى شرح التسهيل ١١٠/٤ حيث قال: " وكثيرا ما يعدى الاستفهام عن أصله فيؤتى به فى مقام الإنكار، والجحد فتجرى مجرى النفى، فمما جاء من ذلك بالهمزة قوله تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك) [٦] وبهل فى قوله تعالى: (وهل نجازى إلا الكفور) [٧] وبأين نحو: ما حكى الكسائى: أين كنت لتنجومنى.

أي: ما كنت لتنجومنى، وبكيف كقراءة عبدالله (كيف يكون للمشركين عهد عند الله) [٨] وقد جاء ذلك بمن مقرونة بالواو، وبعدها إلا فى الغالب لقصد الإيجاب، كقوله تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفة نفسه) [٩]

---

(١) فى الآية ١٢٤ من سورة البقرة.
(٢) فى الآية ٨٧ من سورة هود.
(٣) في الايتين ٩١ - ٩٢ من سورة الصافات.
(٤) راجع الإتقان للسيوطى ٢٣٥/٣ - ٢٣٩ بتصرف.
(٥) هذا رجز للعجاج وهو شواهد الكتاب ١٧٠/١، ٤٨٥، وابن يعيش ١٢٣/١ والمغنى ١٨، والأشمونى ٢٠٣/٤، واللسان (قنسر) والديوان ٦٦ ومعجم الشواهد ٥٦١.
اللغة: أطربا، والهمزة للتوبيخ، وقنسرى: نسبة إلى قنسرين: كورة بالشام، وقال فى المغنى: وأنت شيخ كبير.
(٦) فى الآية ٣٢ من سورة الزخرف.
(٧) فى الآية ١٧ من سورة النبأ.
(٨) فى الآية ٧ من سورة التوبة.
(٩) فى الآية ١٣٠ من سورة البقرة.

المعني: وما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفة نفسه، ومثله: (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) " [١] اهـ .

الثالثة: (واو العطف)

الحروف العاطفة هي: الواو، والفاء، وثم، وحتى، وأو، وأم ولا ، وبل، ولكن والواو أم حروف العطف [٢]؛ لأنها لا تدل على أكثر من الجمع والاشتراك وأما غيرها ، فيدل على الاشتراك، وعلى معنى زائد، كالترتيب، والمهلة والشك، والإضراب، والاستدراك، والنفي، فصارت الواو بمنزلة الشيء المفرد ، وباقي الحروف بمنزلة المركب، والمفرد أصل المركب .

وتنفرد الواو عن سائر حروف العطف بالأحكام التالية:

١- احتمال معطوفها للمعاني الثلاثة وهي القبلية والبعدية والمعية نحو: جاء زيد وعمرو قبله، أو بعده ،أو معه.

وقد سها العلامة الأشموني حيث مثل لعطف السابق بقوله تعالى: (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم) [٣] مع أن إبراهيم عطف على نوح عطف متأخر على متقدم، كما مثل الأشموني لعطف اللاحق بقوله تعالى: (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك) [٤] مع أن الذين معطوف على الكاف مع إعادة الجار عطف متقدم على متأخر، ومن العجيب أن العلامة الصبان لم ينتبه لهذا السهو، قال الأشموني ٩١/٣ عند قول الناظم:

فاعطف بواو سابقان أو لاحقا   في الحكم أو مصاحبا موافقاً

(١) في الآية ٥٦ من سورة الحجر.
(٢) راجع شرح المفصل يعيش ٨/ ٩٠، وأسرار العربية ٣٠٢، والأشباه والنظائر ٢١٤/٣.
(٣) في الآية ٢٦ من سورة الحديد.
(٤) في الآية ٣ من سورة الشورى.

فالأول نحو: (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم، والثانى نحو: (كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك)، والثالث نحو: (فأنجيناه وأصحاب السفينة) [١] اهـ .

كما وقع في هذا السهو - أيضا - العلامة السيوطى فى الهمع ١٢٨/٢ قائلا: " ومن ورودها فى المصاحب (فأنجيناه وأصحاب السفينة) وفى السابق (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم) وفى المتأخر ·كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك) " اهـ .

٢- عطف عامل قد حذف وبقى معموله [٢] على عامل آخر يجمعها معنى واحد.

نحو قوله تعالى: (والذين تبوؤا الدار والإيمان) [٣] فإن أصله: تبوؤا الدار واعتقدوا الإيمان، فاستغنى بمفعول اعتقدوا عنه، وهو معطوف على« تبوؤا، وجاز ذلك؛ لأن فى اعتقدوا معنى لازموا، وقول ذى الرمة:

علفتها تبنا وماء بارداً حتى شتت همالة عيناها [٤]

أي: وسقيتها، والجامع الطعم.

وقول الراعى:

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزجحن الحواجب والعيونا [٥]

أي: وكحلن العيون، والجامع بين الفعلين (حسن).

(١) فى الآية ١٥ من سورة العنكبوت
(٢) راجع شرح التسهيل لابن مالك ٣٥٠/٣، والهمع ١٣٠/٢، والأشباه والنظائر ٢١٢/٣، ٢١٣.
(٣) فى الآية ٩ من سورة الحشر.
(٤) هذا رجز لذى الرمة، وهو من شواهد المقتضب ٢٢٣/٤ وابن يعيش ٨/٢، والمغنى ٦٣٢ والتصريح ٢٤٦/١، والأشمونى ١٤٠/٢، واللسان (قلد) ومعجم الشواهد ٤١٦.
اللغة: همالة: تميز من هملت العين إذا صبت دمعها.
(٥) هذا بيت من الوافر للراعى النميري، وهو من شواهد الخصائص ٤٣٢/٢، والمغنى ٣٥٧، والتصريح ٢٤٦/١، والأشمونى ١٤٠/٢، ويس على التصريح ٤٣٢/١ ومعجم الشواهد ٣٨٤.
واللغة: زججن: من زججت حاجبها: دققته وطولته، والزجج: دقة فى الحاجبين وطول.

٣- عطف العام بعد الخاص.

وأنكر بعض الناس وجوده [١]، وليس بصحيح لوزوده فى القرآن الكريم كقوله تعالى: (إن صلاتى ونسكى) [٢] والنسك: العبادة فهو أعم من الصلاة وقوله تعالى: (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم)[٣].

٤- عطف النعوت المفرقة مع[٤] اجتماع منعوتها.

نحوك مررت برجلين مسلم وكافر، وقول رجل من باهلة:

بكيت وما بكا رجل حزين   على ربعين مسلوب وبالى[٥].

٥- عطف ماحقه[٦] التثنية أو الجمع.

كقول الحجاج عندما فجع بموت ابنه محمد، وموت أخيه محمد فى يوم واحد: إنا لله محمد ومحمد وفى يوم، أى محمد ابنى، ومحمد أخى، وقول الفرزدق:

إن الرزية لا رزية مثلها   فقدان مثل محمد ومحمد[٧].

وكقولك لمن تعنفه بقبيح تكرر منه، وتنهبه[٨] على تكرير عفوك عنه: قد صفحت لك عن جرم وجرم وجرم، وكقولك لمن يحقر أيادى أسديتها إليه، أو ينكر ما أنعمت به عليه: قد أعطيتك ألفا وألفا وألفا. وهذا أفخم فى اللفظ، أوقع فى النفس من قولك: قد صفحت لك عن أربعة أجرام، وقد أعطيتك ثلاثة آلاف.

---

(١) راجع البرهان ٢/٤٨٦، والإتقان ٣/٢١٣، والأشباه والنظائر ٣/٢١٢.
(٢)فى الآية ١٦٢ من سورة الأنعام.   (٣) فى الاية ٨٧ من سورة الحجر.
(٤) راجع المغنى ٣٥٥، والتصريح ٢/١٣٨، والأشباه والنظائر ٣/٢١١، والهمع ٢/١٢٩.
(٥) هذا بيت من الوافر لرجل من باهلة، وقيل: ابن ميادة، وهو من شواهد الكتاب ١/٤٣١ط هارون والمقتضب ٢/١٩١، والمغنى ٣٥٦، ومعجم الشواهد ٣١٥.
اللغة: الربع: المنزل، أو هو فى الربيع خاصة، والمسلوب: الذى سلب بهجته لخلوه من أهله.
(٦) راجع ابن يعيش ٨/٩١، والتصريح ٢/١٣٨، والهمع ٢/١٩٢، والأشباه والنظائر ٣/٣١١.
(٧) هذا بيت من الكامل للفرزدق، وهو من شواهد المغنى ٣٥٦، والهمع ٢/١٢٩ والدرر ٢/١٦٧، والتصريح ٢/١٣٨، والديوان ١٩٠٠، ومعجم الشواهد ١٢٦.
(٨) راجع أمالى ابن الشجرى ١/١٤/١٥، والصبان ٣/٩٣.

٦- عطف المفرد السببى[١] على الأجنبى عند الاحتياج إلى الربط فى الاشتغال ونحوه كقولك: زيدا ضربت عمرا وأخاه، ونحوه: زيد مررت بقومك وقومه ونحو: مررت برجل قائم زيد وأخوه، ونحو: زيد قائم عمرو وغلامه.

٧- إيلاؤها (لا)[٢] إن سبقت بنفى ظاهر، أو مؤول، أو نهى، ولم تقصد المعية ومثال وقوعها بعد النفى الظاهر قوله تعالى: (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى)[٣] ومثال وقوعها بعد النفى المؤول قوله تعالى: (ولا الضآلين)[٤] فإن فى (غير) معنى النفى، ومثال وقوعها بعد النهى قوله تعالى (ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد)[٥].

٨- إيلاؤها (إما)[٦] مسبوقة بمثلها غالبا إذا عطفت مفردا. نحو: تزوج إما هندا وإما أختها، وجاءنى إما زيد وإما عمرو وقوله تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)[٧].

٩- عطف العقد على[٨] النيف إذا وقعا دفعة، نحوك أحد وعشرون فإن تأخر وقوع العقد جاز أن تقول: قبضت ثلاثة فعشرين، أو ثم عشرين.

١٠- اقترنها بـ (لكن)[٩] نحو قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من جالكم ولكن رسول الله)[١٠].

(١) راجع الهمع ٢/ ١٣٠، والأشباه والنظائر ٣/ ٢١١، والتصريح ٢/ ١٣٦.
(٢) راجع شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٣٥١، والمغنى ٣٥٥، والأشباه والنظائر ٣/ ٢١٠، ٢١١.
(٣) فى الآية ٣٧ من سورة سبأ.
(٤) فى الآية ٧ من سورة الفاتحة.
(٥) فى الاية ٢ من سورة المائدة.
(٦) راجع المغنى ٣٥٥، والهمع ٢/ ١٢٩، والأشباه والنظائر ٣/ ٢١١، والتصريح ٢/ ١٣٨.
(٧) الآية ٣ من سورة الإنسان.
(٨) راجع المغنى ٣٥٥، والهمع ٢/ ١٢٩، والأشباه والنظائر ٣/ ٣١١.
(٩) راجع المغنى ٣٥٥، والأشباه والنظائر ٣/ ٣١١
(١٠) فى الاية ٤٠ من سورة الأحزاب.

١١- عطف (أي)[١] على مثلها كقول الشاعر:

أَلاَ تَسْأَلُونَ النَّاسَ أَبِيَّ وَأَيُّكُمْ غَدَاةَ التَقَيْنَا كَانَ خَيْراً وَأَكْرَمَا[٢].

وقول الآخر:

فَلَئِنِ لَقِيتُكَ خَالِيَيْنِ لِتَعْلَمَنْ أَيِّيَ وَأَيُّكَ فَارِسُ الأَحْزَابِ[٣].

١٢- العطف التلقيني[٤] من المخاطب، نحو قوله تعالى: (من آمن بالله واليوم الآخر قال ومن كفر)[٥].

١٣- عطف مالا يغني[٦] مبتوعة عنه. نحو: اختصم زيد وعمرو، وتضارب خالد وبكر، واصطف محمد وعلى، وجلست بين أحمد وعامر، إذا الاختصام والتضارب، والاصطفاف، والبينية من المعانى النسبية التي لا تقوم إلا باثنين فصاعدا، والواو لمطلق الجمع، فلذلك اختصت بها بخلاف غيرها من حروف العطف.

١٤- جواز العطف على الجوار في الجر[٧] خاصة، نحو قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلي المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلي الكعبين)[٨] بجر اللام من (أرجلكم) وهى قراءة[٩] أبى بكر، وابن كثير، وحمزة، وأنس، وعكرمة، والشعبى، والباقر، وعلقمة، والضحاك.

---

(١) راجع التصريح ٢/١٣٨.

(٢) هذا بيت من الطويل لم أقف على قائله، وهو من شواهد العينى ٣/٤٢٣، والأشمونى ٢/٢٦١، ومعجم الشواهد ٣٣٢.

(٣) هذا بيت من الكامل لم أقف على قائله، وهو من شواهد العينى ٣/٤٣٢، والتصريح ٢/١٣٣، ١٣٨، والهمع ٢/٥١، والدرر ٢/٦٣، والأشمونى ٢/٣٦١، ومعجم الشواهد ٦٥

(٤) راجع التصريح ٢/١٣٨. (٥) فى الآية ١٢٦ من سور البقرة.

(٦) راجع المغنى ٣٥٦، والهمع ٢/١٢٩، والأشمونى والصبان ٣/٩٢، والتصريح ٢/١٣٥.

(٧) راجع المغنى ٣٥٧، والهمع ٢/١٣٠، والأشباه والنظائر ٣/٢١٣، والتصريح ٢/١٣٧، والصبان /٩٢.

(٨) فى الآية ٦ من سورة المائدة. (٩) راجع البحر المحيط ٤/١٩٢.

وقد خرج العلماء قراءة جر (وأرجلكم) بأحد تخريجات ثلاثة:

الأول: الجر على الجوار كما فى قوله (جحر ضب خرب) وهذا باطل (١)

الثانى: الجر بالعطف على الرؤوس، فكما وجب المسح فى الرأس فكذلك في الأرجل.

الثالث: جر (الأرجل) بفعل محذوف يتعدى بالباء، والتقدير: وافعلوا بأرجلكم الغسل، وحذف الفعل، وحرف الجر، وهذا تأويل فى غاية الضعف.

وفى الآية - أيضا - قراءتان:

الأولى: بنصب (وأرجلكم) وهى قراءة نافع، والكسائى، وابن عامر، وحفص واختلفوا في تخريج هذه القراءة، فقيل: هو معطوف على قوله: (وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وأرجلكم إلى الكعبين) وفيه الفصل بين المتعاطفين بجملة وهذا قبيح، ويجب أن ينزه كتاب الله عن هذا التخريج وقال القرطبى ٦٤/٦ " فقد وضح وظهر أن قراءة الخفض المعنى فيها الغسل لا المسح كما ذكرنا، وأن العامل فى قوله (وأرجلكم) قوله (فاغسلوا) والعرب قد تعطف الشيء على الشيء بفعل، فيفرد به أحدهما تقول: أكلت الخبز واللبن، أى و شربت اللبن، فيكون قوله (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم) عطف بالغسل على المسح حملا على المعنى، والمراد الغسل" اهـ بتصرف.

وقال أبو حيان فى البحر المحيط ١٩٣/٤ " وأما من يرى المسح فيجعله معطوفا على موضع برؤوسكم، ويجعل قراءة النصب كقراءة الجر دالة على المسح"اهـ .

(١) راجع الفخر الرازى ١٦٤/١١، ١٦٥.

وقال الرازى ١١/١٦٥ "يجوز أن يكون عامل النصب فى قوله: (وأرجلكم) هو قوله: (وامسحوا) ويجوز أن يكون هو قوله (فاغسلوا) لكن العاملان إذا اجتمعا على معمول واحد كان إعمال الأقرب أولى، فوجب أن يكون عامل النصب فى قوله (وأرجلكم) هو قوله (وامسحوا) فثبت أن قراءة (وأرجلكم) بنصب اللام توجب المسح أيضا، فهذا وجه الاستدلال بهذه الآية على وجوب المسح "اهـ.

الثانية: برفع (وأرجلكم) وهى قراءة الحسن، والأعمش [١] سليمان. وخرجت هذه القراءة على أن (أرجلكم) مبتدأ محذوف الخبر أى: اغسلوها إلى الكعبين على تأويل من يغسل، أو ممسوحة إلى الكعبين على تأويل من يمسح.

١٥- عطف الجملة الاسمية [٢] على الفعلية وبالعكس. نحو: قام زيد وعمرو أكرمته.

١٦- امتناع الحكاية معها [٣]، فلا يقال: ومن زيداً ؟ بالنصب حكاية لمن قال: رأيت زيدا.

١٧- عطف المقدم على متبوعه [٤] للضرورة، كقول الأحوص:

أَلاَ يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ... عَلَيْكِ وَرَحْمَـةُ اللهِ السَّـلامُ [٥]

والأصل: عليك السلام ورحمة الله.

(١) راجع القرطبى ٦/٦١ والبحر المحيط ٤/١٩٣.
(٢) راجع الأشباه والنظائر ٣/٢١٤.
(٣) راجع التصريح ٢/١٣٨.
(٤) راجع المغنى ٣٥٧، والأشباه والنظائر ٣/٢١٣.
(٥) هذا بيت من الوافر للأصواص، وهو من شواهد الخصائص ٢/٣٨٦، والمغنى ٣٥٧، ٦٥٩، والتصريح ١/٣٤٤، ٣٧٦، وحواشى ديوانه ٣٥٠، ومعجم الشواهد ٣٥٠.

وقول يزيد بن الحكم:

جَمَعْتَ وَفُحْشاً غَيْبَةً ونَمِيمَةً — خِصَالاً ثلاثاً لسْتَ عَنْهَا بِمُرعَوِى [(١)]

والأصل: جمعت غيبة ونميمة وفحشا.

١٨- العطف فى التحذير والإغراء، نحو: إياك والشر، ونحو: المروءة والنجدة.

وليس من خصائص الواو ما يلى:

١- عطف السابق على اللاحق، كقوله تعالى: (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك) [(٢)].

فقد عد الشيخ خالد الأزهرى فى تصريحه ١٣٨/٢ الحكم السابق من خصائص الواو، ولكن يرد عليه: أن (حتى) [(٣)] تشاركها فى ذلك على الصحيح نحو: مات كل أب لى حتى آدم.

٢- عطف ما تضمنه الأول إذا كان المعطوف ذا مزية نحو قوله تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) [(٤)].

فقد عد الشيخ خالد فى تصريحه - أيضا - ١٣٦/٢ الحكم السابق من خصائص الواو، واستشهد بالآية السابقة، والظاهر أنه من عطف الخاص على العام وهذا الحكم ليس خاصا بالواو، بل يشاركها فى هذا الحكم - أيضا - (حتى) [(٥)] نحو: مات الناس حتى العلماء، وقدم الحجاج حتى المشاة، والمثال المشهور فى النحو: (أكلت السمكة حتى رأسها) بنصب ما بعد (حتى). كما تشاركها - أيضا - (أو) كما قال الزركشى فى البرهان ٤٨٤/٢، ٤٨٥: تنبيه: ظاهر كلام

(١) هذا بيت من الطويل ليزيد بن الحكم، وهو من شواهد الخصائص ٣٨٣/٢، والتصريح ٣٤٤/١، ١٣٧/٢ والأشمونى ١٣٧/٢، ومعجم الشواهد ٤١٨، والارعواء: الكف عن القبيح.

(٢) فى الآية ٣ من سورة الشورى.

(٣) راجع الصبان ٩٢/٣.

(٤) فى الآية ٢٣٨ من سورة البقرة.

(٥) راجع الصبان ٩٢/٣.

الكثيرين تخصيص هذا العطف بالواو، وقد سبق عن ابن مالك وآخرين مجيئه فى (أو) فى قوله (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه) مع أن ظلم النفس من عمل السوء، فقيل: هو بمعنى الواو، والمعنى: يظلم نفسه بذلك السوء حيث دساها بالمعصية "اهـ .

٣- عطف الشىء [١] على مرادفه، كقوله تعالى: (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) [٢] وقوله تعالى: (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) [٣] قال الخليل: العوج والأمت بمعنى واحد.

فقد عد السيوطى فى الأشباه والنظائر ٢١٣/٣، والشيخ خالد فى التصريح ١٣٦/٢، والصبان على الأشمونى ٩٢/٣ الحكم السابق من خصائص الواو والأصح أن (أو) تشاركها فى ذلك كما قال ثعلب فيما حكاه عنه ابن سيده فى المحكم فقال: ثعلب فى قوله تعالى: (عذرا أو نذرا) العذر، والنذر بمعنى واحد.

قال الناظم في شرح التسهيل ٣٦٥/٣: " ومن معاقبة (أو) الواو فى عطف المؤكد قوله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) [٤] وقوله تعالى: (ومن يكسب خطيئة أو إثما) [٥] اهـ . وكذلك قال الفراء فى قوله تعالى [٦]: (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) قال معناه: وتوبوا إليه، لأن التوبة الاستغفار [٧].

٤- جواز حذفها [٨] إن أمن اللبس، كسماع أبى زيد: أكلت خبزا لحما تمرا أراد: خبزا ولحما وتمرا.

(١) راجع المغنى ٣٥٧، والهمع ١٢٩/٢، والأشباه والنظائر ٢١٣/٣، والإتقان ٢١١/٣.
(٢) فى الآية ٨٦ من سورة يوسف. (٣) فى الآية ١٠٧ من سورة طه.
(٤) فى الآية ٤٨ من سورة المائدة. (٥) فى الآية ١١٢ من سورة النساء.
(٦) فى الآية ٥٢ من سورة هود. (٧) راجع البرهان ٤٩٢/٢.
(٨) راجع شرح التسهيل لابن مالك ٢٨٠/٣، والمساعد ٤٧٣/٢، وشرح الكافية للرضى ٣٢٦/١.

فقد عد الشيخ خالد في التصريح ١٣٧/٢ الحكم السابق من خصائص الواو، والأصح أن (أو) و(الفاء) يشار كانها في هذا الحكم، ومن شواهد حذف (أو) وبقاء ما عطفت عليه قول عمر - رضي الله عنه :- (صلى رجل في إزاء ورداء، في إزار وقميص، في إزار وقباء [1]، أي ليصل رجل في إزار ورداء، أو إزار وقميص، أو إزار وقباء، وحكى أبو الحسن الآخفش في المعاني ٧١٧/٢: أن العرب تقول: (أعطه درهما درهمين ثلاثة) بمعنى أو درهمين أو ثلاثة.

ومن شواهد حذف الفاء العاطفة قولهم: علمته النحو بابا بابا أي بابا فبابا، ويشهد لذلك قولهم: ادخلوا الأول فالأول.

قال ابن الشجرى في أماليه ١٤٥/٢: "والفاء كثيرا ما تحذف في الكلام، وفي الشعر، وحذفها في التنزيل كثير، كقوله تعالى: (إذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا: أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله) المعنى: فقالوا: أتتخذنا هروا؟ فقال: أعوذ بالله "اهـ .

٥- جواز فصلها من معطوفها بظرف أو عديله كقوله تعالى: (وجعلنا من بين أيديهم سدا، ومن خلفهم سدا) [2].

فقد عد الشيخ خالد في التصريح ١٣٦/٢، ١٣٧ الحكم السابق من خصائص الواو، والأصح أنه يجوز [3] الفصل بين العاطف، والمعطوف مطلقا، ولكن النحاة نظرا إلى العاطف هل هو على حرف واحد، أو أكثر.

فإن كان العاطف على حرف واحد كالواو، والفاء، فقد اختلف النحاة على قولين:

---

(١) راجع شرح التسهيل لابن مالك ٢٨٠/٣، والمساعد ٤٧٣/٢، وشرح الكافية ٤٧٤/٢.

(٢) في الآية ٩ من سورة يس.

(٣) راجع الارتشاف ٦٦٦/٢ وشرح الكافية للرضى ٣٢٤/١.

فذهب الفارسى إلى أنه لا يجوز الفصل بين الواو، والفاء، وما عطف لا بقسم ولا ظرف ولامجرور إلا فى ضرورة الشعر، فلا تقول: قام زيد وو الله عمرو، ولا فوالله عمرو، ولا ضربت زيدا وفى البيت عمرا، ولا خرج زيد والساعة عمرو.

وأجاز ابن مالك الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف والجار والوجرور فى السعة إن لم يكن المعطوف فعلا، ولا اسما مجرورا لورودة بكثرة فى القرآن الكريم، قال الناظم فى شرح الكافية الشافية ص ١٢٣٨ - ١٢٤٠: " منع أبو على الفصل بين العاطف، والمعطوف بظرف،أو جار ومجرور ... وليس الأمر كما زعم بل الفصل بين العاطف، والمعطوف بالظرف والجار والمجرور جائز فى الأختيار إن لم يكن المعطوف فعلا، ولا اسما مجرورا، وهو فى القرآن كثير، كقوله تعالى: .إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) [١] ففصل بـ (إذا) وما أضيفت إليه بين الواو و(أن تحكموا) وهو معطوف على (أن تؤدوا)، كقوله تعالى: (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة) [٢] ففصل بـ (فى الآخرة) بين الواو و(حسنة) وكقوله تنعالى: (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً) [٣] ففصل بـ (من خلفهم) بين الواو و (سدا) وكقوله تعالى: (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) [٤] ففصل بـ (من الأرض) بين الواو و(مثلهن) [٥] " اهـ بتصرف.

وإن كان العاطف على أكثر من حرف جاز الفصل بينه، وبين المعطوف بالقسم، وبالظرف، وبالجار والمجرور سواء كان المعطوف اسما نحو: قام زيد ثم والله عمرو، وقام زيد بل والله عمرو، وما ضربت زيدا لكن فى الدار عمرا أم

(١) فى الآية ٥٨ من سورة النساء.
(٢) فى الآية ٢٠١ من سورة البقرة.
(٣) فى الآية ٩ من سورة يس.
(٤) فى الآية ١٢ من سورة الطلاق.
(٥) راجع المسألة أيضا فى شرح التسهيل لابن مالك ٣٨٤/٣.

فعلا نحو: قام زيد ثم فى الدار قعد، أو ثم أو بل والله قعد.

قال الناظم فى شرح الكافية الشافية ١٢٤٠: " ثم بينت أن غير الفاء، والواو من حروف العطف قد يحال بينه وبين المعطوف بالقسم نحو: قام زيد والله عمرو ومالك دينارا بل والله درهما " اهـ.

القسم الثانى: الأمهات العوامل

وهى نوعان: أفعال، وحروف

النوع الأول: الأفعال.

ولم أعثر من الأمهات العوامل على أفعال إلا (كان) الناسخة، وهاكها.

الأفعال الناسخة التى ترفع المبتدأ، وتنصب الخبر ثلاثة عشر فعلا، وهى: كان، وظل، وبات، وأضحى، وأصبح، وأمسى، وصار، وليس ومازرل، وما برح، وما فتىء، وما انفك، وما دام.

و أم الأفعال السابقة (كان) ووزنها [١] (فَعَل) بفتح العين لا (فعُل) بضمها: كما يزعم الكسائى لمجيء الوصف على (فاعل) أى كائن لا (فعيل) لأن الوصف من (فَعُل) (فعيل) ولا (فَعِل) بكسر العين لمجيء المضارع على (يَفْعُل) بالضم لا الفتح.

وإنما كانت (كان) أم هذه الأفعال - كما قال أبو البقاء فى البتيين - لخمسة [٢] أوجه:

أحدها: سعة أقسامها.

والثانى: أن (كان) دالة على الكون، وكل شيء داخل تحت الكون.

---

(١) راجع يس على التصريح ١٨٤/١، والصبان على الأشمونى ٢٢٥/١.

(٢) راجع الأشباه والنظائر للسيوطى ١١٨/٣.

الثالث: أن (كان) دالة على مطلق الزمان الماضى و(يكون) دالة على مطلق الزمان المستقبل بخلاف غيرها، فإنها تدل على زمان مخصوص كالصباح والمساء.

والرابع: أنها أكثر فى كلامهم، ولهذا حذفوا منها النون فى قولهم: لم يك.

الخامس: أن بقية أخواتها تصلح أن تقع أخبار الها كقولك: كان زيد أصبح منطلقا، ولا يحسن أصبح زيد كان منطلقا.

وتختص (كان) عن أخواتها بأمور منها:

١- مرادفة لم يزال [١] كثيرا، أى أنها تأتى دالة على الدوام، كقوله تعالى: (وكان الله سمعيا بصيرا) [٢] وقوله تعالى: (وكان الله على كل شيء قديرا) [٣]

وقول قيس بن الخطيم:

وكُنْتُ امْرأً لاَ أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً ... أُسَبُّ بِهَا إلاَّكَشَفْتُ غِطَاءَهَا [٤]

٢- جواز زيادتها [٥] بلفظ الماضى متوسطة بين شيئين متلازمين ليسا جارا ومجرورا. كالمبتدأ وخبره، نحو: زيد كان قائم، والفعل ومرفوعه نحو: لم ير كان مثلهم والموصوف وصفته نحو: جاء رجل كان عالم، وكقول الفرزدق:

فكيف إذا مررتُ بدار قَومٍ ... وَجِيرَانٍ لنا كَانُوا كِرَامِ [٦]

(١) راجع الأمالى لابن الشجرى ٢/٤٨٢، وشرح التسهيل لابن مالك ١/٣٦٠، والهمع ١/١٢٠، والفاكهى على القطر ٢/١٦.

(٢) فى الآية ١٣٤ من سورة النساء.

(٣) فى الآية ٢٧ من سورة الأحزاب و(٢١) من سورة الفتح.

(٤) هذا بيت من الطويل لقيس بن الخطيم، وهو من شواهد شرح التسهيل لابم مالك ١/٣٦٠، وديوان الحماسة للتبريزى ١/٥٤، والديوان ٤٩.

(٥) راجع شرح التسهيل لابن يعيش ٧/٩٨ وشرح التسهيل لابن مالك ١/٣٦٠ والأشمونى ١/٢٣٩، والهمع ١/١٢٠، والتصريح ١/١٩١.

(٦) هذا بيت من الوافر للفرزدق، وهو من شواهد الكتاب ١/١٩٢، والمغنى ٢٨٧ والعينى ٢/٢٤١، والتصريح ١/١٩٢، والأشمونى ١/٢٤٠ والديوان ٨٣٥.

ولا يمنع من زيادتها رسنادها إلى الضمير، كما لم يمنع من ألغاء (ظن) إسنادها فى نحو: زيد ظننت قائم.

ولا خلاف فى زيادة (كان) بعد (ما) التعجبية، كقول عبد الله بن رواحة يخاطب النبى - صلى الله عليه وسلم -:

مَا كَانَ أَسْعَدَ مَنْ أَجَابَكَ آخِذاً بِهُدَاكَ مُجْتَنِبًا هَوًى وَعِنَادًا [١]

وشذ زيادتها بين الجار والمجرور، كقوله:

سَرَاةُ بَنِى بَكْرٍ تَسَامَى عَلَى كَانَ المُسَوَّمَةِ العِرَابِ [٢]

كما شذ زيادتها بلفظ المضارع فى قول أم عقيل بن أبى طالب:

أَنْتَ تَكُونُ مَاجِدٌ نَبِيلُ إِذَا تَهُبُّ شَمْأَلٌ بلِيلُ [٣]

وشذت - أيضا - زيادة أصبح وأمسى فى قول بعض العرب: ما أصبح أبردها أى الغداة، ماأمسى أدفأها أى العيشة، وقال زكريا [٤]: الضميران للدنيا.

---

(١) هذا بيت من الكامل لعبد الله بن رواحة يخاطب النبى - صلى الله عله وسلم - وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ١/٣٦٢، والعينى ٣/٦٦٣، والأشمونى ٣/٢٥، ومعجم الشواهد ٩٨.

(٢) هذا بيت من الوافر لم أقف على قائله، وهو من شواهد ابن يعيش ٧/٩٨. ١٠٠ وشرح التسهيل لابن مالك ١/٣٦١، والعينى ٢/٤١، والأشمونى ١/٢٤١، والتصريح ١/١٩٢، ويس على التصريح ١/٩١، والهمع ١/١٢٠، والدرر ١/٩٨.

(٣) اللغة: سراة: بفتح السين المهملة جمع سرى أى سيد على غير قياس، لأنه لا يعرف (فعيل) على (فعلة) غيره، وتسامى: أى تتسامى، والمسومة : الخيل المجعول عليها بضم السين أى علامة لتترك فى المرعى، والعراب: الخيل العربية، ورواه ابن مالك فى شرح التسهيل ١/٣٦١: المطهمة الصلاب، والمطهمة: المتناسقة الأعضاء، والصلاب: الشداد.

(٤) هذا رجز قالته أم عقيل بن أبى طالب، وهى ترقصه، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ١/٣٦٢، وابن عقيل على الألفية ١/٢٩٢، والتصريح ١/١٩١، والأشمونى ١/٢٤١.

اللغة: نبيل: من النبل أو النبالة وهما الفضل، وشمأل: ريح تهب من ناحية القطب الشمالى، بليل: بمعنى فاعلة أو مفعولة أى بالة، أو مبلولة لما فيها من الندى والمراد: أنها رطبة، وكنت بقولها إذا تهب شمأل بليل عن الدوام.

(٤) راجع الصبان ١/٢٤١.

٣- جواز حذف نون [١] مضارعها المجزوم بالسكون.

ويشترط فى حذفها نونها خمسة شروط:

الأول: أن تكون بلفظ المضارع.

الثانى: أن تكون مجزومة

الثالث: ألا تكون موقوفا عليها.

والرابع: ألا تكون متصلة بضمير نصب.

والخامس: ألا تكون متصلة بساكن.

فإن اجتمعت هذه الشروط الخمسة جاز حذف نونها، نحو قوله تعالى: (ولم أك بغيا) [٢] ولا يجوز الحذف فى نحو: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) [٣] لأجل اتصال الساكن بها، فهى مكسورة لأجله، فهى متعاصية على الحذف لقوتها بالحركة وهذا مذهب سيبويه. وأجاز يونس حذفها عند ملاقاة ساكن، ووافقه الناظم فى شرح التسهيل ٣٦٦/١ حيث قال: " ولم يمتنع عند يونس، وبقوله أقول، لأن هذه النون إنما حذفت للتخفيف، وثقل اللفظ بثبوتها قبل ساكن أشد من ثقله بثبوتها دون ذلك، فالحذف حينئذ أولى إلا أن الثبوت دون ساكن، ومع ساكن أكثر من الحذف؛ فلذلك جاء القرآن بالثبوت مع الساكن "اهـ ، ثم استشهد بثلاثة أبيات منها قول الخنجر بن صخر الأسدى:

فَإِنْ لم تَكُ الْمِرآةُ أَبْدَتْ وَسَامَةً ... فَقَدْ أَبْدَتِ المِرآةُ جَبْهَةَ ضَيْغَمِ [٤]

(١) راجع شرح التسهيل لابن مالك ٢٦٦/١، والقطر ١٩٢.
(٢) فى الآية ٢٠ من سورة مريم.
(٣) فى الآية ١ من سورة البينة.
(٤) هذا بيت من الطويل للخنجر بن صخر الأسدى، وهو من شواهد المقتضب ١٦٧/٣ والإنصاف ٤٢٢، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٦٧/١، والتصريح ١٩٦/١.
واللغة: والوسامة: الحسن والجمال من الوسم، والضيغم: الأسد.
والمعنى: أن الشاعر نظر إلى وجهة فى المرآة فلم يره حسنا فتسلى بأنه يشبه وجه الضغيم أى الأسد.

وقال: " لا ضرورة .... لإمكان أن يقال: فإن تكن المرآة أخفت وسامة "

ويرد على الناظم بثلاثة أمور:

الأول: أنه استشهد على استعمال العرب حذف نون كان قبل الساكن بثلاثة [١] أبيات، ولم يأت لنا بمثال من النثر، فتحمل الأبيات على الضرورة، لأن الشعر محل الضرورات.

الثاني: أنه خالف الجمهور في مذهب الضرورة، فالضرورة عند الناظم: ما ليس للشاعر عنه مندوحة، وعند الجمهور: ما جاءت في الشعر سواء أكان للشاعر عنه مندوحة أم لم يكن.

ومذهب الناظم في الضرورة باطل بإجماع النحاة؛ إذ ما من الضرورة إلا ويمكن تغييرها كما نبه على ذلك البغدادي في صدر خزانته ١/ ٣٣.

الثالث: أن قوله لا ضرورة لإمكان أن يقال (فإن تكن المرآة أخفت وسامة) أخص من كلام الشاعر كما قال الصبان ١/ ٢٤٥؛ لأن الشرط على كلام الشاعر عدم إبداء الوسامة الصادق انتفائها في نفسها، والشرط على كلام الناظم إخفاء الوسامة المقتضي ثبوتها في نفسها.

ولا يجوز الحذف في نحو قوله – صلى الله عليه وسلم – (إن يكنه فلن تسلط عليه) [٢] لاتصال الضمير المنصوب بها، والضمائر ترد الأشياء إلى أصولها فلا يحذف معها بعض الأصول.

---

(١) والبيت الثاني قول حسيل بن عرفطة الجاهلي:

لم يك الحق سوى أن هاجه   رسم دار قد تعفى بالسرر (رمل)

والبيت الثالث قول الشاعر:

إذا لم تك الحاجات من همة الفتى   فليس بمغن عنه عقد الرتائم (طويل)

(٢) راجع الحديث في مسلم ٢/ ٢٧٤ ط بولاق، والبخاري ٤/ ٧٠ ط بولاق.

ولا يجوز الحذف فى الموقوف عليها؛ لأن الفعل الموقوف عليه إذا دخله الحذف حتى بقى على حرف واحد، أو حرفين اجتلبت له هاء السكت كقوله: عه، ولم يعه فـ (لم يك) بمنزلة لم يع، فالوقف عليه بإعادة الحرف الذى كان فيه أولى من اجتلاب حرف لم يكن.

٤- وجوب حذفها مع بقاء اسمها وخبرها معوضا عنها (ما) [(١)] الزائدة.

ويطرد هذا الحذف بعد (أن) المصدرية الواقعة فى كل موضع أريد فيه تعليل فعل بفعل، كقولهم: (أما أنت مطلقا انطلقت) والأصل: انطلقت لأن كنت منطلقا، ثم قدمت اللام التعليلية، وما بعدها على الفعل للاهتمام به، أو لقصد الاختصاص فصار: لأن كنت منطلقا انطلقت، ثم حذف الجار اختصارا، و(كان) أيضا، فانفصل الضمير، فصار (أن أنت) ثم (ما) عوضا، فصارت (أن ما أنت) ثم أدغمت النون فى الميم فصار (أما أنت) ومن شواهد ذلك قول العباس بن مرادس:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ ... فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ [(٢)]

والأصل: لأن كنت ذا نفر افتخرت على، وعمل فيه مثلما ذكرنا فى المثال السابق.

٥- جواز حذفها مع [(١)] اسمها دون خبرها.

---

(١) راجع شرح التسهيل لابن مالك ٣٦٥/١، وشرح الكافية للرضى ٢٥٣/١، والأشمونى ٢٤٤/١ والتصريح ١٩٤/١، والهمع ١٢٢/١.

(٢) هذا بيت من البسيط للعباس بن مرادس يقوله فى خفاف بن ندبة، وهو من شواهد الكتاب ١٤٨/١، والخصائص ٢٨١/٢، وابن يعيش ٩٩/٢، ١٣٢/٨، والمغنى ٣٥. ٥٩، ٤٣٧، ٩٦٤، والأشمونى ٢٤٤/١، ٤٩/٤.

اللغة: أبا خراشة: صحابى، وهو منادى حذف منه حرف النداء، ذا نفر: كثير الأهل، والأتباع، والضبع: حيوان شبه به السنة المجدبة على طريق الاستعارة التصريحية، والأكل ترشيح.

وذلك كثير بعد (إن) و (لو) الشرطيتين، مثال ذلك بعد (إن) قولهم: (المرء مقتول بما قتل به إن سيفا فسيف، وإن خنجرا فخنجر) أي: إن كان ما قتل به سيفا، فالذى يقتل به سيف، وإن خنجرا فالذي يقتل به خنجر، وقول ليلى الأخلية:

لاَ تَقْرَبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ إِنْ ظَالِماً أَبداً وَإِنْ مَظْلُوماً [٢]

أى: إن كنت ظالما، وإن كنت مظلوما.

ومثاله بعد (لو) قولك: ائتنى بدابة ولو حمارا ،أى: ولو كان المأتى به حمارا، وقول اللعين المنقرى:

لاَ يَأْمَنِ الدَّهْرَ ذُو بَغْيٍ وَلَوْ مَلِكاً جُنُودُهُ ضَاقَ عَنْهاَ السَّهْلُ والجَبَلُ [٣]

أى: ولو كان الباغى ملكاً.

٦- وقد تحذف (كان) دون أن يعوض عنها، ولم تقع بعد (إن) و(لو) الشرطيتين، ومن صور حذفها ما يلى:

(أ) حذفها بعد [٤] (لدن) شذوذا كقول الراجز:

مِنْ لَدُ شَوْلاً فَإِلى إِتْلاَئِهاَ [٥]

---

(١) راجع شرح التسهيل لابن مالك ١/٣٦٣ وشرح الكافية للرضى ١/٢٥٢ والأشمونى ١/٢٤٢، والهمع ١/١٢١، والتصريح ١/٣٩٣.

(٢) هذا بيت من الكامل لليلى الأخلية، وهو من شواهد الكتاب ١/١٣٢، والتصريح ١/١٩٣، والهمع ١/١٢١، والدرر ١/٩٠، والديوان ١٠٩، ومعجم الشواهد ٣٣٦.

اللغة: آل مطرف، هم قوم من بنى عامر، وهم قوم ليلى.

والمعنى تصف ليلى قومها بالعز والمنعة، وتحذر من الإغارة عليهم، لأن المغير إذا كان ظالما لم يقدر على إيذائهم لشوكتهم، وإن كان مظلوما طالبا لثأر عندهم عجز عن الانتصاف منهم.

(٣) هذا بيت من البسيط للعين المنقرى، وهو من شواهد المغنى ٢٦٨، والأشمونى ١/٢٤٢. ومعجم والمعنى: لا يأمن غدرات الزمان صاحب بغى وظلم ولو كان ملكا له جنوز كثيرة بحيث ضاقت عنها السهل والجبل.الشواهد ٢٩٢.

(٤) راجع شرح التسهيل لابن مالك ١/٣٦٥ ،والتصريح ١/١٩٤،والأشمونى ١/٢٤٣، والهمع ١/١٢٢. هذا رجز لم أقف على قائله، وهو من شواهد الكتاب ١/١٣٤، والمغنى ٤٢٢، والتصريح ١/١٩٤، والأشمونى ١/١٩٤، ومعجم الشواهد ٤٣٨.

اللغة: شولا: قيل هو: مصدر شالت الناقة بذنبها أى رفعته للضرب.، وقيل هو اسم جمع لشائله – على غير قياس – والشائلة: الناقة التى خف لبنها، وارتفع ضرعها، والإتلاء: بالكسر مصدر أتلت الناقة: إذا تلاها ولدها أى تبعها.

فَمَا جَمْعٌ لِيَغْلِبَ جَمْعَ قَومِى ... مُقَاوَمَةً وَلاَ فَرْدٌ لِفَرْدِ[(١)]

أي: فما كان جمع، ومنه قول أبى الدرداء فى الركعتين بعد العصر: ما أنا لأدعهما، أي: ما كنت فلما حذف الفعل انفصل الضمير.

النّوع الثانى: الحروف.

وأبرز الأمهات العوامل من الحروف خمسة وهى:

الأولى: (إن) الشرطية.

أدوات الشرط التى تجزم فعلين إحدى عشرة أداة جمعها الناظم فى قوله:

واجزم بإن وَمَنْ وَمَا وَمَهْمَا ... أىٌ مَتَى أَيَّانَ إِذْمَا

وَحَيْثُمَا أَنَّى وَحَرْفُ إِذْ مَا ... كَإِنْ وَبَاقِى الأَدَوَاتِ أَسْمَا

و(إن) أصل أدوات الشرط، وأم الباب، ومن ثم اختصت بأمور منها:

١- كثرة حذف(كان) واسمها مع بقاء خبرها بعدها، كقولهم:

(المرء مجزى بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر) أي: إن كان عمله خيرا فجزاؤه خير، وإن كان عمله شرا فجزاؤه شر)كما أوضحنا ذلك فى(كان) الناسخة.

٢- أنها تدخل فى مواضع الجزاء كلها، وبقية أخواتها مواضع مخصوصة.

فمن: للدلالة على من يعقل، وما ومهما: للدلالة على مالا يعقل، ومتى وأيان للدلالة على الزمان، وأين وأنى، وحيثما: للدلالة على المكان، وأى: بحسب ما تضاف إليه.

قال ابن القواس فى شرح الدرة: "إنما كانت (إن) أصل أدوات الشرط لأنها

(١) هذا بيت من الوافر لم أقف على قائله، وهو شواهد الارتشاف ٢/٤٠١، ٤٠٣، والمغنى ٢١٢ والأشمونى ٣/٢٩٣، ومعجم الشواهد ١٢٢.

حرف، وأصل المعانى للحروف، ولأن الشرط بها يعم ما كان عينا، أو زمانا أو مكانا"[(١)] اهـ.

٣- جواز حذف الفعلين بعدها اختيارا على الأصح، كقول القائل: لا آتى الأمير، لأنه جائر، فيقال: إئته وإن. يراد بذلك وإن كان جائرا فأته.

قال أبو بكر بن الأنبارى:"إنما صارت (إن) أم الجزاء، لأنها بغلبتها عليه تنفرد، وتؤدى عن الفعلين، يقول الرجل: لا أقصد فلانا، لأنه لا يعرف حق من يقصده، فيقال له: زره وإن، يراد وإن كان كذلك فزره، فتكفى (إن) من الشيئين، ولا يعرف ذلك فى غيرها من حروف الشرط"[(٢)] اهـ.

وقال الناظم فى شرح الكافية الشافية ١٦١٠:"وقال السيرافى: يقول القائل: لا آتى الأمير، لأنه جائر، فيقال: ايته وإن، يراد بذلك وإن كان جائرا فأته، وهذا أعنى حذف الجزأين معا، لا يجوز مع غير (إن) وهو مما يدل على أصالتها فى باب المجازاة " اهـ.

وقال ابن يعيش فى شرح المفصل ٥٦/٨: "واعلم أن (إن) أم الباب للزومها هذا المعنى، وعدم خروجها عنه إلى غيره ... وقد يقتصر عليها، ويوقف عندها، نحو قولك صل خلف فلان وإن أى وإن كان فاسقا، ولا يكون مثل ذلك فى غيرها مما يجازى به" اهـ بتصرف.

وقال فى التصريح ١٩٥/١: " وحكى الكوفيون أنه يقال: لا تأت الأمير، فإنه جائر، فتقول: أنا آتيه وإن أى وإن كان جائرا، فتحذف (كان) مع معموليها من غير تعويض" اهـ.

---

(١) راجع الأشباه والنظائر ٢٤٩/٣.

(٢) راجع المرجع السابق ٢٤٩/٣ والارتشاف ٥٦١/٢.

والتقدير: من لد أن كانت شولا.

قال الرضى فى شرح الكافية ١/٢٥٤/٢٥٥: "وقد جاء (كان) الناقصة محذوفة بعد (لدن) وأخواته نحو: رأيتك لدن قائما، أي لدن كنت قائما قال:(من لد شولا فإلى إتلائها) أى من لد كانت شولا، والإتلاء: أن تلد الناقة، فتصير ذات تلو" اهـ.

(ب) حذفها بعد[1] شبه(لدن) كقول الرعى النميرى:

أَزْمَانَ قَوْمِي وِالجَمَاعَةَ كالَّذِي لَزِمَ الرِّحَالَةَ أَنْ تَمِيلَ مَمِيْلاً[2]

والتقدير: أزمان كان قومى مع الجماعة كالذى لزم الحالة.

(جـ) حذفها بعد(ما) و (كيف)[3] الاستفهامين فى باب المفعول معه، كقولهم: ما أنت وزيدا؟ وكيف أنت وقصصة من ثريد؟ والأصل: ماتكون وزيدا؟ وكيف تكون وقصته من ثريد؟ فسام كان ضمير مستتر، وخبرها ما تقدم عليها من اسم استفهام، فلما حذف الفعل من اللفظ انفصل الضمير على اعتبار أن (كان) ناقصة، ويجوز أن تكون تامة، فـ (كيف) حال و(ما) مفعول مطلق، وقد أشار الناظم إلى هذه المسألة بقوله:

وَبَعْدَ مَا اسْتِفْهَامٍ أَوْ كَيْفَ نَصَبْ بِفِعْلِ كَوْنٍ مُضْمَرٍ بَعْضُ العَرَبْ

(د) حذفها قبل لام الجمود كقول الشاعر:

---

(١) راجع شرح االتسهيل لابن مالك ١/٣٦٥ والتصريح ١/١٩٥ والهمع ١/١٢٢.
(٢) هذا بيت من الكامل للراعى التميرى، وهو من شواهد الكتاب ١/٥٤، وشرح التسهيل لابن مالك ٢/٣٦٥، والتصريح ١/١٩٥، والديوان ١٤٦.
(٣) راجع الأشمونى ٢/١٣٧، وابن عقيل ٢/٢٠٥.

فهذه النصوص السابقة توضح لنا أن حذف الفعلين بعد(إن) جائز فى الاختيار وهو الصواب.

ومن شواهد حذف الفعلين بعدها قول رؤبة:

قَالَتْ بَنَاتُ العَمِّ يَا سَلْمَى وَإِنْ   كَانَ فَقِيراً مُعْدِماً قَالَتْ وَإِنْ(١)

ولا يجوز حذف الفعلين بعد غيرها من أخواتها إلا فى الضرورة.

ومن شواهد ذلك قول التمر بن تولب:

فَإِنَّ المَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَهَا   فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَماَ(٢)

أى: أينما يذهب تصادفه.

٤- جواز إيلائها الاسم على إضمار فعل يفسره ما بعده فى السعة، كقوله تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك)(٣) والتقدير: إن استجارك أحد من المنشركين استجارك، فاستجارك المتأخرة فسرت الأولى المضمرة وارتفع أحد على الفاعلية، لكن يشترط أن يكون الفعل المفسر ماضيا كما فى الآية السابقة، أو مضارعا منفيا بلم، كقول لبيد:

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ   لَعَلَّكَ تَهْدِيك القُرونُ الأَوائِلُ(١)

---

(١) هذا رجز لرؤبة، وهو من شواهد المغنى ٦٤٩، والتصريح ١٩٥/١، والأشمونى١/٣٣، ٢٦/٤. وملحقات ديوانه ١٨٦، ومعجم الشواهد ٥٤٤.
واستشهد النحاة بهذا البيت على حذف الشرط والجزاء بعد(إن) والتقدير: وإن كان رضيته أيضا. وروى (وإنن) بزيادة النون فى موضعين، وبها استشهد شراح الألفية على أن هذه النون هى تنوين الغالى، وبها يخرج الشعر عن الوزن، ولا يستقيم إلا بحذفها.

(٢) هذا بيت من المتقارب للنمر بن تولب، وهو من شواهد التصريح٢/٢٥٢، وحاشية عبادة على الشذور ١٢١/٢، ومعجم الشواهد ٣٣٩.

(٣) فى الآية ٦من سورة التوبة.

وقول السموءل بن عادياء الغسانى اليهودى:

فَإِنْ هُو لم يحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهاَ ... فَلَيْسَ لَهُ إِلى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ[٢]

أما إذا كان المضارع غير مقترن بلم، فإيلاؤها الاسم خاص بالضرورة.

كقول عبد الله بن عنمة:

يُثْنِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَهْلُ ثَنَائِه ... وَلَدَيْكَ إِنْ هـو يَسْتَزِدْكَ مَزِيدُ[٣]

وكذا الحذف، والتفسير مع غيرها من أدوات الشرط خاص بالضرورة - أيضا -.

كقول هشام المرى:

فمن نحن نؤمنه يبيت وهو آمن ... ومن لا نجره يمس منا مفزعا[٤]

وقول عدى بن زيد العبادى:

فمتى واغل ينبهم يحيو ... ويعطف عليه كأس الساقى[٥]

وقول كعب بن جميل التغلبى:

(١) هذا بيت من الطويل للبيد بن ربيعة، وهو منشواهد التصريح ١/١٠٥، والأشمونى ٢/٧٥ والديوان ٢٥٥، والمعجم الشواهد ٢٨٣، والبيت استشهد النحاة على جواز إيلاء(إن) الاسم مفسر الفعل المحذوف مضارع منفى بلم والتقدير: فإن ضللت لم ينفعك علمك فأضمر ضللت لفهم المعنى، وبرز الضمير لما حذف الفعل.

(٢) هذا بيت من الطويل للسموءل وهو من شواهد العينى ١/٦٣، ٢/٥٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١١١، ومعجم الشواهد ٢٨٥.

(٣) هذا بيت من الكامل لعبد الله عنمة الضبى، وهو من شواهد الهمع ٢/٥٩، والدرر ٢/٧٤، والأشمونى ٤/ ٣٠، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١٠٤١، ومعجم الشواهد ١٠٧.

(٤) هذا بيت من الطويل لهشام المرى، وهو من شواهد الكتاب ١/٤٥٨، والمقتضب ٢/٧٥، والإنصاف ٦١٩، والمغنى ٤٠٣، والهمع ٢/٥٩، والدرر ٢/٧٥، ومعجم الشواهد ٢١١.

(٥) هذا بيت من الخفيف لعدى بن زيد، وهو من شواهد الكتاب ١/٤٥٨، والمقتضب ٢/٧٦، والإنصاف ٦/٧، وابن يعيش ٩/ ١٠، وملحقات ديوانه ١٥٦.

اللغة: الواغل: الداخل على من يشرب الخمر ولم يدع، وهو فى الشراب بمنزلة الوارش فى الطعام، وهو الطفيليو وينبهم: ينزل بينهم.

صعدة نابتة في حائر أينما الريح تميلها تمل[1]

قال بن يعيش في شرح المفصل ١٥٦/٨: " واعلم أن (إن) أم هذا الباب للزومها هذا المعنى، وعدم خروجها عنه إلى غيره، ولذلك اتسع فيها وفصل بينها وبين مجزومها بالاسم، نحو قولهم: إن الله أمكنني من فلان فعلت "اهـ .

وليس من خصائص (إن) الشرطية إهمالها حملا على (لو) كما صرح بذلك ابن حمدون في حاشيته على المكودى ٩٣/٢ حيث قال: " واجزم بإن إلخ بدأ الناظم بـ (إن)؛ لأنها أصل الجوازم، ولذلك احتصت بأمور.... ومنها: أن تهمل حملا على (لَو) كقراءة [2]طلحة:

(فإما ترين) [3] بسكون الياء، وإثبات نون الرفع مفتوحة، ومنه الحديث (فإن لا تراه فإنه يراك) [4] " اهـ بتصيف.

لأن (متى) تشاركها في ذلك، فقد تهمل حملا على (إذا) الشرطية كقول عائشة - رضى الله عنها - (إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس) [5].

ومن العجب أن ابن حمدون صرح بنفسه أن (متى) قد تهمل حملا على (إذا)

---

(١) هذا بيت من الرمل لكعب بن جميلو وقيل: غيره، وهو من شواهد الكتاب ٤٥٨/١، وابن يعيش ١٠/٩، والأشمونى ١٠/٤، ويس ٩٩/٢، ومعجم الشواهد ٢٦٠.
اللغة: صعدة: أي تلك المرأة اللين، والاعتدال كالصعدة أي: الرمح المستوى.
الحائر: القرارة من الأرض يستقر فيها السيل فيتحير ماؤه أى يستدير، ولا يجرى قدما، ويجمع الحائر على حيران وحوران.
(٢) راجع القراءة فى المحتسب ٤٢/٢، وشواهد التوضيح لابن مالك ١٩، والجنى الدانى ٢٠٧.
(٣) فى الآية ٢٦ من سورة مريم.
(٤) راجع سنن الترمذى ٢١٣/٧، والأشباه والنظائر ٣٣٤/١ والجنى الدانى ٢٠٧، ٢٠٨.
(٥) راجع شواهد التوضيح و التصحيح لابن مالك ١٩.

نقال ٩٣/٢: " وقد تهمل (متى) حملا على (إذا) كقول عائشة الصديقية - رضى الله عنها - لما اشتد الوجع بالمصطفى - عليه الصلاة والسلام - وقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فرفعت (يقوم) على أن (متى) مهملة "اهـ .

الثانية: (يا) الندائية.

حروف النداء هى: يا، وأى، وأيا، وهيا، والهمزة، ووافى الندبة و (أم) باب النداء (يا)؛ ولذلك اختصت بأمور منها:

١- أنها الوحيدة من بين سائر أخواتها التى تقدر عند الحذف، كقوله تعالى: (يوسف أعرض عن هذا) [١] وقوله تعالى: (ربنا أنزل علينا مائدة) [٢] .

ويمتنع حذف حرف النداء فى ثمان مسائل:

إحداها: المنادى المندوب نحو: وازيداه، واظهراه.

الثانية: المستغثات نحو: يا لله، والمتعجب منه نحو: يا للماء للعشب.

الثالثة: المنادى البعيد نحو: يا زيد إذا كان بعيدا منك.

الرابعة: اسم الجنس غير المعين، كقول الأعمى: يا رجلا خذ بيدى.

الخامسة: المضمر المخاطب، كقول الأحوص اليربوعى عندما وفد مع أبيه على معاوية- رحمه الله- فخطب، فوثب أبوه ليخطب، فكفه، وقال (يا إياك قد كفيتك).

(١) فى الآية ٢٩ من سورة يوسف.
(٢) فى الآية ١١٤ من سورة المائدة.

وقصد انحاطه كقول فرعون: (وإنى لأظنك يا موسى مسحورا) [١] .

وقصد التحذير كقوله تعالى: (يا حسرة على العباد) [٢] .

(ب) أنها قد يوجه النداء بها إلى من لم يقصد إسماعه، كنداء الغائب تكتب إليه، تتشوقه، أو تمدحه، أو تذمه، كقولك فى مكتوبك: يا زيد جمع الله بينى وبينك، ويا محمد ما أكرمك، ويا خالد ما ألأمك، ونداء الديار والأطلال، كقول النابغة:

يا دار مية بالعلياء فالسند   أقوت وطال عليها سالف الأمد [٣]

(جـ) أنها قد ينادى بها الأوقات كقول امرىء القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل   بصبح وما الإصباح منك بأمثل [٤]

(د) أنها قد ينادى بها توجعا، وتأسفا، كقول أبى الطمحان القينى:

وبعد غد يا لهف نفسى من غد   إذا راح أصحابى ولسـت برائح [٥].

٣- أنها تنفرد من بين سائر أخواتها باختصاصها بباب الاستغاثة والتعجب. ومن شواهد الاستغاثة قول مهلهل:

يا لبكر أنشروا لى كليبا   يـا لبكـر أيـن أين الفـرار [٦]

---

(١) فى الآية ١٠١ من سورة الإسراء.   (٢) فى الآية ٣٠ من سورة يس.

(٣) هذا بيت من البسيط للنابغة الذبيانى وهو من شواهد ٢/ ٣٢١ ط هارون. والمحتسب ١/ ٢٥١، والتصريح ١/ ١٤٠، والديوان ١٥، ومعجم الشواهد ١١٧.

(٤) هذا بيت من الطويل لامرىء القيس، وهو من شواهد العينى ٤/ ٣١٨، والتصريح ٢/ ٢٠٢، والأشمونى ٣/ ٢١١، ومعجم الشواهد ٣٠٤.

(٥) هذا بيت من الطويل لأبى الطمحان وهو من شواهد أمالى ابن الشجرى ١/ ١٧٦، ٢٧٦، ٣٠٠، والمغنى ٩٤، ومعجم الشواهد ٨٧.

(٦) هذا بيت من الخفيف لمهلهل وهو من شواهد الكتاب ١/ ٣١٨، والخصائص ٣/ ٢٢٩، والخزانة ١/ ٣٠٠، ومعجم الشواهد ١٧١.

ومن شواهد التعجب قول العرب: يا للعجب، ويا للماء لما رأوا عجبا، أو رأوا ماء كثيرا.

٤- أنها قد تدخل في باب الندبة عند أمن اللبس، كقول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -:

حملت أمراً عظيما فاصطبرت له   وقمت فيه بأمر الله ياعمرا [(١)]

فصدور ذلك بعد موت عمر دليل على أنه مندوب، وليس الدليل الألف لأنها تلحق آخر المستغاث، والمتعجب منه.

قال ابن يعيش ١١٨/٨: " وأصل حروف النداء (يا) لأنها دائرة في جميع وجوده، لأنها تستعمل للقريب، والبعيد والمستيقظ، والنائم، والغافل، والمقبل، وتكون في الاستغاثة، والتعجب، وقد تدخل في الندبة بدلا من (وا) فلما كانت تدور فيه هذا الدوران كانت لأجل ذلك أم الباب، والأصل في حروف النداء "اهـ .

٥- أنها تختص بالدخول على (أي) أو (أية) كقولع تعالى: (يا أيها الرسول)[(٢)] وقوله تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنة) [(٣)].

قال السيوطي في الأشباه والنظائر ٢٢٢/٣، ٢٢٣: " أصل حروف النداء (يا)، ولهذا كانت أكثر أحرفه استعمالا، ولا يقدر عند الحذف سواها، ولا ينادى اسم الله عز وجل، واسم المستغاث، وأيها، وأيتها إلا بها، ولا المندوب إلا بها، أو بـ (وا).

(١) هذا بيت من البسيط لجرير، وهو من شواهد المغني ٣٧٢، والتصريح ١٦٤/٢، والأشموني ١٣٤/٣، ١٦٧، ١٦٩، والديوان ٣٠٤، ومعجم الشواهد ١٤٢.
(٢) في الآية ٦٧ من سورة المائدة.
(٣) الآية ٢٧ من سورة الفجر.

وفى شرح الفصول لابن إياز، قال النحاة: (يا) أم الباب ولها خمسة أوجه من التصرف.

أولها: نداء القريب والبعيد بها.

وثانيهما: وقوعها في باب الاستغاثة دون غيرها.

وثالثهما: وقوعها فى باب الندبة.

ورابعهما: دخولها على (أى).

وخامسهما: أن القرآن المجيد مع كثرة النداء به لم يأت فيه غيرها "اهـ .

وقول ابن إياز: " أن القرآن المجيد مع كثرة النداء به لم يأت فيه غيرها".

يرد عليه: أن الهمزة احتملت أن تكون للنداء فى بعض القراءات القرآنية كقراءة ابن كثير [١] ، ونافع، وحمزة قوله تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ [٢]بتخفيف الميم من (أمن) وقرأ الباقون بتشديدها.

قال الفراء فى معانى القرآن ٤١٦/٢: " قرأها يحى بن وثاب بالتخفيف وذكر ذلك عن نافع، وحمزة، وفسروها يريد: يا من هو قانت وهو وجه حسن العرب تدعو بألف، كما تدعو بياء، فيقولون: يا زيدا أقبل، وأزيد أقبل "اهـ .

وقال الزركشى فى البرهان ٤٦٩/٤: " وقد قيل فى قوله تعالى: (أمن هو قانت آناء الليل فى قراءة تخفيف (من) إن الهمزة فيه للنداء، أى: يا صاحب هذه الصفات "اهـ .

(١) راجع القراءة فى النشر ٣٦٢/٢، والمغنى ١٣/١.
(٢) فى الآية ٩ من سورة الزمر.

الثالثة: (باء القسم الجارة)

حروف القسم المشهورة أربعة، وهى: (الباء، والتاء، واللام، والواو) وزاد الزجاج خامسا وهو (أيمن) والأصح أنه اسم كما أجمع [١] على ذلك الكوفيون والبصريون.

والباء أصل حروف القسم - وإن كانت الواو أكثر استعمالا منه -؛ لأنها للإلصاق، فهى تلصق فعل القسم بالمقسم به، ولذلك تنفرد عن أخواتها بثلاثة أمور:

أحدها: أنه لا يحب حذف الفعل معها، بل يجوز إظهاره، نحو: أقسم بالله بخلاف غيرها من حروف القسم، فإنه يجب إضمار الفعل معها كقوله: (والقرآن الحكيم) [٢].

والثاني: أنها تدخل على المضمر [٣]، نحو: بك لأنصرن يا رب أى أقسم بك.

والثالث: أنها تستعمل فى القسم الاستعطافى، وهو ما جوابه إنشائى كقولك: بالله لما زرتنى، وبحياتك أخبرنى، وقول ابن هرمة:

بالله ربك إن دخلت فقل له ... هذا ابن هرمة واقفا بالباب [٤]

وقول مجنون بنى عامر:

بربك هل ضممت إليك ليلى ... قبيل الصبح أو قبلت فاها [٥]

(١) راجع الارتشاف ٤٧٦/٢، والهمع ٣٨/٢- ٤٠، والمغنى ١٠٠.
(٢) الآية ٩ من سورة يس.
(٣) راجع أسرار العربية ٢٧٤، ٢٧٥.
(٤) هذا بيت من الكامل لابن هرمة، ومن شواهد ابن يعيش ١٠١/٩، ومعجم الشواهد ٦٥.
(٥) هذا بيت من الوافر لمجنون بنى عامر، وهو من شواهد ابن يعيش ١٠٢/٩، والمغنى ٥٨٤، والخزانة ٢١٠/٤، والديوان ٢٨٦، ومعجم الشواهد ٤١٥.

وقول الآخر:

بعيشك يا سلمى ارحمى ذا صبابة   أبى غيرما يرضيك فى السر والجهر [١]

وقد جمع اختصاص الباء بأمورها الثلاثة السابقة ابن هشام فى المغنى حيث قال ١٠٥، ١٠٦: " الثانى عشر: القسم، وهو أصل أحرفه، ولذلك خصت بجوار ذكر الفعل معه، نحو: أقسم بالله لتفعلن، وْدخولها على الضمير نحو: بك لأفعلن، واستعمالها فى القسم الاستعطافى نحو: بالله هل قام زيد، أى أسألك بالله مستحلفا" [٢] اهـ .

الرابعة: (من) الجارة.

حروف الجر عشرون حرفا جمعها الناظم فى قوله:

هاك حروف الجر وهى من إلى   حتى خلا حاشا عدا فى عن على

مذ منذ رب اللام كى واو وتا   والكاف والبا ولعل ومتى

و(أم) حروف الجر السابقة (من) ولذلك انفردت عن سائر أخواتها بثلاثة أمور:

١- أنها تختص فى القسم بالرب [٣]نحو: من ربى إنك لأشر.

٢- أنها قد تجر (بله) وهذا نادر [٤]، وغريب كما ورد فى البخارى فى تفسير ألم السجدة يقول الله تعالى: (أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت ولا

---

(١) هذا بيت من الطويل لم أقف على قائله، وهو من شواهد المغنى ٥٨٤، والهمع ٢/٤١، والدرر ٢/٤٥، ومعجم الشواهد ١٧٥.

(٢) راجع أيضا اختصاص الباء بأمورها الثلاثة فى ابن يعيش ٩/١٠١، والجنى الدانى ٤٥، والصبان على الأشمونى ٢/٢٢١، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢/٥٣.

(٣) راجع شرح التسهيل لابن مالك ٣/١٤٠، والارتشاف ٢/٤٤٤،.

(٤) راجع المغنى ١١٥.

أذن سمعت، ولا خطر على قلب ذخرا من بله ما أطلعتم عليه) [١]و (بله) فى الحديث السابق بمعنى (غير)، وقد تكون (بله) بمعنى (كيف) عند دخول (من) عليها، حكى أبو زيد [٢]: أن فلانا لا يطيق أن يحمل الفهر فمن بله أن يأتى بالصخرة، أى كيف، ومن أين.

٣- أنها تجر كثيرا من الظروف غير المتصرفة قال فى التصريح ٣٤٢/١ " واختصت (من) بذلك، لأنها أم الباب، ولكل باب أم تمتاز بخاصة دون أخواتها ؛اهـ.

والظروف غير المتصرفة التى دخلت عليها (من) كثيرة، ومنها ما يلى:

١- (عند)؛ كقوله تعالى: (ولما جاءهم كتاب من عند الله) [٣] .

وقد جرت (عند) بمن فى القرآن الكريم ستا وثلاثين مرة.

٢- (مع)؛ كقولك: جئت من معهم أى من عندهم، وقرأ يحي بن يعمر، وطلحة ابن مصرف، ﴿هذا ذكر من معى، وذكر من قبلى﴾ [٤]، بالتنوين فى (ذكر) وكسر الميم من (من).

قال ابن جنى فى المحتسب ٦١/٢: " هذا أحد ما يدل على أن (مع) اسم وهو دخول (من) عليها "اهـ .

---

(١) راجع الحديث فى صحيح البخارى ١١٦/٦ السلطانية، وفتح البارى ٣١٦/٨ بولاق وشواهد التوضيح لابن مالك ٢٠٣، ٢٠٥.
(٢) راجع شرح الكافية للرضى ٧٠/٢، ٣٢٣.
(٣) فى الآية ٨٩ من سورة البقرة.
(٤) فى الآية ٢٤ من سورة الأنبياء وراجع القراءة فى المحتسب ٦١/٢.
(٥) فى الآية ٢٥ من سورة البقرة.

٣- (قبل)؛ كقوله تعالى: (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) [٥] .

وقد جرت (قبل) بمن فى القرآن الكريم مائتى مرة.

٤- (بعد)؛ كقوله تعالى: (لله الأمر من قبل ومن بعد) [١]وقد جرت (بعد) بمن فى القرآن الكريم مائة وثلاثا وثلاثين مرة.

قالأندلسى في شرح المفصل - كما نقل عنه السيوطى فى الأشباه والنظائر ١٦٣/٣: " الظروف التى لا تدخل عليها من حروف الجر سوى (من) خمسة: عند، ومع، وقبل، وبعد، ولدى.

قلت: وقد نظمها فقلت:

من الظروف خمسة قد خصصت بمـن ولـم تجر هـا سـواهـا

عند ومع وقبل بعـد لـدى شرح الإمام اللورقى حواها "اهـ

فأنت تري من خلال النص السابق أن الإمام الأندلسى حصر الظروف التى تجر بمن فى خمسة فقط وهذا الحصر غير صحيح فقد جرت (من) أكثر من خمسة كما سنوضح ذلك قريبا عند استدراكنا عليه ستة عشر ظرفا غير ما ذكر. واعادؤه أن (لدى) بجر بمن ادعاء باطل، لأنها لم ترد فى كلام العرب إلا منصوبة، ويمتنع جرها بـ (من) كما نبه على ذلك ابن هشام فى المغنى عند حديثه عن الفرق بين عند، ولدى، ولدن صـ ١٥٦ حيث قال:

" ويفترقن من وجه ثان، وهو أن (لدن) لا يكون إلا فضلة، بخلافهما بدليل (ولدينا كتاب ينطق بالحق) [٢](وعندنا كتاب حفيظ) [٣] وثالث: وهو أن

(١) فى الآية ٤ من سورة الروم.
(٢) فى الآية ٦٢ من سورة المؤمنون.
(٣) فى الآية ٤ من سورة ق.

جرها بـ (من) أكثر من نصبها، حتى إنها لم تجيء في التنزيل منصوبة، وجر عند كثير، ،وجر لدى ممتنع :اهـ .

ومن العجيب أن الإمام السيوطي جارى الإمام الأندلسي في نصه السالف ونظم الظروف الخمسة في بيتين من الشعر ولم ينتقده بشيء وقد سها الناظم في التسهيل وشرحه بقوله أن (لدى) تجر بـ (من) قال في التسهيل ١٤٤ " وتنفرد (من) بجر ظروف لا تتصرف كقبل وبعد وعند ولدى ولدن، ومع، وعن، وعلى اسمين "اهـ.

وقال في شرح التسهيل ٣/ ١٤٠ " وإذا دخلت (من) على قبل وبعد ولدن وعن فهي زائدة، لأن المعنى بثبوتها، أو سقوطها واحد، وإذا دخلت على عند ولدى ومع وعلى فهي لابتداء الغاية "اهـ.

وقد جاراه ابن عقيل في شرح التسهيل ٢/ ٢٥١، ٢٥٢ ولم ينتبه لهذا السهو. كما سها – أيضا – العلامة الرضي في شرح الكافية ٢/ ٣٢٣ في قوله أن لدى تجر بمن قال " وتختص من بجر قبل وبعد وعند ولدى ولدن ومع "اهـ.

والآن نستدرك على الإمام الأندلسي الذى زعم أن (من) لا تجر سوى خمسة من الظروف ستة عشر ظرفا وهاكها:

١- (بين) كقوله تعالى: (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) [١]

وقد جرت (بين) بمن في القرآن الكريم خمس عشرة مرة.

٢- (تحت) كقوله تعالى: (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) [٢]

(١) في الآية ١٧ من سورة الأعراف.
(٢) في الآية ٦٦ من سورة المائدة.

وقد جرت (تحت) بمن فى القرآن الكريم ستا وأربعين مرة.

٣-(فوق) كقوله تعالى: (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض) [١].

وقد جرت (فوق) بمن فى القرآن الكريم خمس عشرة مرة.

وقد سمع جر (فوق) بـ (على) فى قول أبى صخر الهذلى:

فأقسم بالله الذى اهتز عرشه   على فوق سبع لا أعلمه بطلا [٢]

وهذا نادر.

٤- (وراء) كقوله تعالى: (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) [٣]

وقد جرت (وراء) بمن فى القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة.

٥- (حيث) كقوله تعالى: (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) [٤]

وقد جرت (دون) فى القرآن الكريم ست عشرة مرة.

٦- (دون) كقوله تعالى: (ومن دونهما جنتان) [٥]

وقد جرت (دون) فى القرآن الكريم بمن مائة وخمسا وثلاثين مرة.

٧-(لدن) كقوله تعالى: (واجعل لى من لدنك وليا) [٦]

وقد جرت (لدن) بمن فى القرآن الكريم ثمانى عشرة مرة.

(١) فى الآية ٢٦ من سورة إبراهيم.
(٢) هذا بيت من الطويل لأبى صخر الهذلي، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ٢/٢٣٤، ومعجم الشواهد ٢٦٣.
(٣) فى الآية ١٠٠ من سورة المؤمنون.
(٤) فى الآية ١٩١ من سورة البقرة.
(٥) الآية ٦٢ من سورة الرحمن.
(٦) فى الآية ٧٥ من سورة النساء.

٨- (أسفل) كقوله تعالى: (إذ جاوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) [١]

ولم تجر بمن فى القرآن الكريم إلا مرة واحدة فى الآية السابقة.

٩- (خلف) كقوله تعالى: (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم) [٢]

وجرت (خلف) بمن فى القرآن الكريم عشر مرات.

١٠- (أول) كقوله تعالى: (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) [٣]

ولم تجر بمن فى القرآن الكريم إلا مرة واحدة فى الآية السابقة.

١١- (أمام) كقول الراجز:

لا يحمل الفارس إلا الملبون   المحض من أمامه ومن دون [٤]

١٢- (عل) وهى لم تأت فى كلام العرب إلا مجرورة بـ (من) كقول الفرزدق:

ولقد سددت عليك كل ثنية   وأتيت فوق بني كليب من عل [٥]

١٣- (أمس) كقولهم: عجبت من أمس بالبناء على الكسر.

١٤، ١٥-(عن) و(على) إذا استعملا اسمين، وكانت الأولى بمعنى (جانب).

والثانية بمعنى (فوق) كقول قطرى الخارجي:

(١) فى الآية ١٠ من سورة الأحزاب.   (٢) فى الآية ٩ من سورة النساء.
(٣) فى الآية ١٠٨ من سورة التوبة.
(٤) هذا رجز لم أقف على قائله، وهو من شواهد الكتاب ٣/ ٢٩٠ ط هارون، ومعجم الشواهد ٥٤٦.
اللغة: الملبون: الذى يسقى اللبن، ويؤثر به لكرمه وعنقه. والمحض: الخالص.
(٥) هذا بيت من الكامل للفرزدق يهجو جريرا، وهو من شواهد ابن يعيش ٤/ ٨٩، وشذور الذهب ١٠٧، والتصريح ٢/ ٥٤، والهمع ١/ ٢١٠، والدرر ١/ ١٧٧، والديوان ٧٢٣، ومعجم الشواهد ٢٩٧.
اللغة: الثنية: طريق العقبة.

ولقد أرانى للرمـاح دريـــئة   من عن يمينى تـارة وأمـامى [١]

وقول مزاحم بن الحرث العقيلى:

غدتْ من عليه بعد ما تم ظمؤها   تصل وعن قيض بزيزاء مجهل [٢]

١٦- (قدام) كقول رجل من بنى تميم:

لعن الإله تعـلة بـن مسافـر   لعـنا يشـن علـيه مـن قـدامِ [٣]

الخامسة (أن) المصدرية الناصبة للمضارع.

الأدوات التى تنصب المضارع أربعة: وهى: أن، ولن، وإذن، وكى، و(أن) المصدرية أم الباب، قال أبو حيان: " بدليل الاتفاق عليها، والاختلاف فى (لن) و(إذن) و (كى) " [٤].

واختصت (أن) المصدرية عن أخواتها بثلاثة أمور:

---

(١) هذا بيت من الكامل لقطرى بن الفجاءة، وهو من شواهد االكتاب ٢/٢٢٩، ٢٥٤، وابن يعيش ٨/٤٠، والمغنى ١٤٩، ١٥٢، والتصريح ٢/١٩، والأشمونى ٢/٢٢٦، ومعجم الشواهد ٣٧٦.
اللغة: دريئة: مفعول ثان لأرى، وهى الحلقة التى يتعلم عليها الرمى والطعن.

(٢) هذا بيت من الطويل لمزاحم بن الحرث العقيلى، وهو من شواهد الكتاب ٢/٣١٠، وابن يعيش ٨/٣٧، ٣٨، والمغنى ١٤٦، ٥٣٢.
والتصريح ٢/١٩، الأشمونى ٢/٢٢٦، واللسان (علا) ومعجم الشواهد ٣٠٦.
اللغة: غدت: سارت الغطاة من عليه أى الفرخ، والظمء: مدة صبرها عن الماء، وتصل: تصوت أحشاؤها من العطش.
والقيض: القشر الأعلى من البيض، وزيزاء: أرض غليظة.
ومجهل: اسم مكان من مفعل أى محل لجهل السائر وتيهانه.
وهو مجرور بإضافة زيزاء إليه، ويجوز أن يعرب بدلا.

(٣) هذا بيت من الكامل لرجل من بنى تميم، وهو من شواهد التصريح ٢/٥١، والأشمونى ٢/٢٦٨، ومعجم الشواهد ٣٥٤.
اللغة: تعلة: اسم رجل، وابن مسافر: يروى بدله ابن مزاحم. يشن: يصب.

(٤) راجع الهمع ٢/٢.

١- جواز الفصل بينها، وبين منصوبها بالظرف، والمجرور اختيارا [١] على مذهب بعض العلماء قياسا على (أن) المشددة بجامع اشتراكهما فى المصدرية والعمل نحو: (أريد أن عندى تقعد) و(أن فى الدار تقعد) ولم يجز أحد ذلك فى سائر الأدوات إلا اضطرارا.

٢- أنها توصل بالماضى المتصرف نحو: أعجبنى أن فعلت، وبالأمر نحو: أمرته بأن افعل، وهذا هو الصحيح.

وزعم ابن [٢] طاهر أن (أن) الموصولة بالماضى، والأمر غير الموصولة بالمضارع فتكون (أن) على مذهبه مشتركة، أو متجوزابها.

واستدل لذلك بأمرين: -

أحدها: أن الداخلة على المضارع تخلصه للاستقبال، فلا تدخل على غيره كالسين، وسوف.

والثانى: أنها لو كانت الناصبة لحكم على موضعها بالنصب كما حكم على موضع الماضى بالجزم بعد (إن) الشرطية ولا قائل به.

وأجاب ابن هشام فى المغنى، وأفاد عن الأمرين السابقين حيث قال صـ ٢٩: " والجواب عن الأول: أنه منتقض بنون التوكيد، فإنها تخلص المضارع للاستقبال وتدخل على الأمر باطراد، واتفاق وبأدوات الشرط، فإنها - أيضا - تخلصه مع دخولها على الماضى باتفاق.

(١) راجع الأشباه والنظائر ٣/٢٤٤.
(٢) راجع الجنى الدانى ٢١٧، والمغنى ٢٨ - ٣٠، والهمع ٢/٢، والصبان ١/١٧٥، ١٧٦.

وعن الثاني: أنه إنما حكم على موضع الماضي بالجزم بعد (إن) الشرطية لأنها أثرت القلب إلى الاستقبال في معناه، فأثرت الجزم في محله، كما أنها لما أثرت التخليص إلى الاستقبال في معنى المضارع أثرت النصب في لفظه "اهـ.

وادعى المرحوم الشيخ أحمد الحلبي في تقريره على حاشية السجاعي على شرح ابن عقيل للألفية أن (أن) المصدرية توصل بالماضي باتفاق النحويين حيث قال ٥٩/١: " قوله (بالفعل ماضيا) ولا تنصبه اتفاقا، لأنها لم تؤثر في معناه شيئا، بخلاف (إن) الشرطية لما قلبته إلى الاستقبال ناسب عملها في محله، فالموصولة بالماضي، وكذلك بالأمر هي الناصبة للمضارع عند الجمهور لا غيرها، وإن كانت سائر النواصب لا تدخل على غيره، لأنها أم الباب، فتوسع فيها، ووصلها بالماضي اتفاق، وبالأمر عند سيبويه "اهـ.

ويرد عليه: أن ابن طاهر خالف في ذلك وزعم أن (أن) الموصولة بالمضارع غير الموصولة بالماضي، والأمر كما بينا ذلك منذ قليل وادعى أبو حيان أن (أن) المصدرية لا توصل بالأمر، وأن كل شيء سمع مع ذلك فـ (أن) فيه تفسيرية، واحتج بدليلين [١]:

أحدهما: أنهما إذا قدرا مع الفعل بالمصدر فات معنى الأمر.

والثاني: أنهما لم يقعا فاعلا، ولا مفعولا، لا يصح: أعجبني أن قم، ولا كرهت أن قم، كما يصح ذلك مع الماضي، ومع المضارع ولو كانت توصل بالأمر، لجاز ذلك كما جاز في الماضي، والمضارع.

(١) راجع الجنى الداني ٢١٦، ٢١٧، والمغني ٢٩، ٣٠.

ورد على الدليلين السابقيين ابن هشام فى المغنى حيث قال صـ ٣٠٢٢٩: "

" والجواب عن الأول: أن فوات معنى الأمرية في الموصولة بالأمر عند التقدير بالمصدر، كفوات معنى المضى، والاستقبال في الموصولة بالماضى والموصولة بالمضارع عند التقدير المذكور، ثم إنه يسلم مصدرية أن المخففة من المشدودة مع لزوم مثل ذلك فيها فى نحو: (والخامسة أن غضب الله عليها)[١] إذ لا يفهم الدعاء من المصدر إلا إذا كان مفعولا مطلقا نحو: سقيا ورعيا.

وعن الثانى: أنه إنما امتنع ما ذكره، لأنه لا معنى لتعليق الإعجاب والكراهية بالإنشاء، لا لما ذكر، ثم ينبغي له أن لا يسلم مصدرية، (كى) لأنها لا تقع فاعلا، ولا مفعولا، وإنما تقع مخفوضة بلام التعليل ثم مما يقطع به على قوله بالبطلان حكاية سيبوية [٢]: كتبت إليه بأن قم وأجاب عنها بأن الباء محتملة للزيادة... وهذا وهم فاحش، لأن حروف الجر زائدة كانت أو غير زائدة لا تدخل إلا على الاسم، أو ما فى تأويله "اهـ بتصرف.

٣- أنها تعمل ظاهرة، ومضمرة، بخلاف أخواتها الثلاثة، فإنها لا تنصبه إلا ظاهرة، قال المرادى فى الجنى الدانى: ٢١٧: " (أن) المصدرية هى إحدى نواصب الفعل المضارع، بل هى أم الباب، وتعمل ظاهرة ومضمرة على تفصيل مذكور فى باب إعراب الفعل "اهـ. وإضمار(أن) على ثلاثة أضرب: واجب، وجائز، وشاذ.

(١) فى الآية ٩ من سورة النور.
(٢) راجع الكتاب ١٦٢/٣ ط هارون.

الضرب الأول: (إضمار أن وجوبا)

تضمر (أن) وجوبا بعد خمسة أشياء وهي:

١- (لام الجحود): وهي المسبوقة بكون ماض منفي كقوله تعالى: (ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) [١] وقوله تعالى: (لم يكن الله ليغفرلهم)[٢].

٢- (أو) العاطفة التي بمعنى (حتى) أو (إلا).

وتقدر بـ (حتى) إذا كان الفعل الذى قبلها مما ينقضى شيئا فشيئا، كقولك: لألزمنك أو تقضيني حقي، وقول الشاعر:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر [٣]

وتقدر بـ (إلا) إذا كان الفعل الذى قبلها مما ينقضى دفعة واحدة.

كقولك: لأقتلن الكافر أو يسلم وقول زياد الأعجم:

وكنت إذا غمزت قناة قوم ... كسرت كعوبها أو تستقيما [٤]

٣- (حتى) الجارة.

ويشترط لإضمار (أن) بعدها أن يكون مستقبلا بالنظر إلى ما قبلها سواء أكان مستقبلال بالنظر إلى زمن التكلم أم لا.

(١) فى الآية ١٧٩ من سورة آل عمران.
(٢) فى الآية ١٣٧ من سورة النساء.
(٣) هذا بيت من الطويل لم أقف على قائله، وهو من شواهد المغنى ٦٧، والتصريح ٢٣٦/٢، والهمع ١٠/٢، والدرر ٧/١، والأشمونى ٢٩٥/٣، ومعجم الشواهد ١٧٧.
اللغة: المنى: جمع منية، والمراد بالآمال: المأمولات: وبانقيادها: حصولها.
(٤) هذا بيت من الوافر لزياد الأعجم، وهو من شواهد الكتاب ٤٢٨/١، والمقتضب ٢٩/٢، وابن يعيش ١٥/٥، والمغنى ٦٦، والتصريح ٢٣٦/٢، والأشمونى ٩٥/٣، واللسان (غمز) ومعجم الشواهد ٣٣٦.
اللغة: غمزت: عصرت، والقناة: الرمح، والكعوب: النواشز فى أطراف الأنابيب.

فالأول : كقوله تعالى : (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى)[١] فإن رجوع موسى عليه الصلاة والسلام مستقبل بالنظر إلي ما قبل (حتى) وهو ملازمتهم للعكوف على عبادة العجل.

والثاني: كقوله تعالى (وزلزلوا حتى يقول الرسول) [٢] لأن قول الرسول والمؤمنين مستقبل بالنظر إلى الزلزال، لا بالنظر إلي زمن الإخبار فإن الله عز وجل قص علينا ذلك بعد ما وقع.

٤- (فاء السببية) وهى المجاب بها نفى محض، أو طلب محض. والطلب يشمل: الأمر، والنهى، الدعاء، والعرض والتحضيض، والتمنى، والأستفهام، فهذه سبعة مع النفى صارت ثمانية.

وهذه المسألة يعبر عنها فى كتب النحاة. بمسألة الأجوبة الثمانية، ويضاف إليها الترجى، فالجملة تسعة مجموعة فى قول بعضهم:

مروانه وادع وسل واعرض لحضهم تمن وارج كذاك النفى قد كملا

أما النفى فكقوله تعالى: (لايقضى عليهم فيموتوا) [٣].

وأما الأمر فنحو قول أبى النجم العجلى:

يا ناق سيرى عنقا فسيحا إلى سليمان فنستريحا [٤]

وأما النهى فكقولك: لا تفعل شرا فأعقبك، وقول الله تعالى: (لا تفتروا على الله كذبا فيستحكم بعذاب) [٥].

(١) فى الاية ٩١ من سورة طه.
(٢) فى الآية ٢١٤ من سورة البقرة. (٣) فى الآية ٣٦ من سورة فاطر.
(٤) هذا رجز لأبى النجم العجلى: وهو من شواهد الكتاب ٤٢١/١، والمقتضب ١٤/٢ وابن يعيش ٢٦/٧، والتصريح ٢٣٩/٢، والأشمونى ٣٠٢/٣، ومعجم الشواهد ٤٥٨.
اللغة: ناق: مرخم ناقة، وعنقا: نصب على أنه نائب عن المصدر، أو صفة مصدر محذوف أى سيرا عنقا، وهو ضرب من السير أى ليكن منك سير فاستراحة.
(٥) فى الآية ٥١ من سورة طه.

وأما الدعاء فكقولك: (اللهم تب على فأتوب) وقول الشاعر:

رب وفقنى فلا أعدل عن ... سنن الساعين فى خير سنن [(١)]

وأما العرض فكقول بعض العرب: ألا تقع فى الماء فتسبح، وقول الشاعر:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما ... قد حدثوك فماراء كمن سمعا [(٢)]

وأما التخصيص فكقولك: هلا اتقيت الله تعالى فيغفرلك، وهلا أسلمت فتدخل الجنة، وقول الشاعر:

لولا تعوجين يا سلمى على دنف ... فتخمدى نار وجد كاد يفنيه [(٣)]

والفرق بين العرض والحضيض: أن الأول الطلب بلين، والثانى: الطلب بحث وإزعاج.

وأما التمنى فنحو قوله تعالى: (ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) [(٤)]

وقول الشاعر:

يا ليت أم خليد واعدت فوفت ... ودام لى ولها فتصـــطحبا [(٥)]

وأما الأستفهام فكقوله تعالى: (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) [(٦)]

وقول الشاعر:

---

(١) هذا بيت من الرمل لم أعثر على قائله، وهو من شواهد شذور الذهب ٣٠٦، والتصريح ٢٣٩/٢، والهمع ١١/٢، والدرر ٢٨/٢، والأشمونى ٣٠٢/٣ ومعجم الشواهد ٣٧٨، والسنن: أى الطريق.

(٢) هذا بيت من البسيط لم أقف على قائله، وهو من شواهد شذور الذهب ٣٠٨ والتصريح ٢٣٩/٢، والأشمونى ٣٠٢/٣، ومعجم الشواهد ٢١٣.

(٣) هذا بيت من البسيط لم يدر قائله، وهو من شواهد الهمع ١٢/٢، والدرر ٨/٢، والأشمونى ٣٠٣/٣، ومعجم الشواهد ٤١٧، وتتوجين: تعطفين.

(٤) فى الآية ٧٣ من سورة النساء.

(٥) هذا بيت من البسيط لم أقف على قائله، وهو من شواهد العينى ٣٨٩/٤، والأشمونى ٣٠٣/٣، ومعجم الشواهد ٣٠.

(٦) فى الآية ٥٢ من سورة الأعراف.

هل تعرفوا لباناتى فأرجو أن تقضى   فيرتد بعض الروح للجسد [١]

وأما الترجى فكقوله تعالى: (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع)[٢] وهذا مذهب الفراء وهو صحيح فقد ألحق الرجاء بالتمنى.

ومذهب البصرين: أن الرجاء ليس له جواب منصوب، وأولوا الآية السابقة بتأويلات بعيدة [٣]، فقالوا: لا حجة فى الآية لجواز نصب (أطلع) جوابا لقوله (ابن) أو عطفا على (الأسباب) أو عطفا على المعنى فى (لعلى) فإن خبر لعل يقترن بـ (أن) كثيرا.

ولذلك جنح الناظم إلى مذهب الفراء قائلا:

والفعل بعد الفاء فى الرجا نصب   كنصب ما إلى التمنى ينتسب

٥- (واو المعيه) المسبوقة بنفى وطلب محضين:

وقد سمع مع الواو فى خمسة مما سمع مع الفاء.

الأول: النفى، نحو قوله تعالى: (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) [٤].

الثانى: الأمر نحو قول الشاعر:

فقلت ادعى وأدعوا إن أندى   لصوت أن ينادى داعيان [٥].

---

(١) هذا بيت من البسيط لم أعثر على قائله، وهو من شواهد العينى ٣٨٨/٤، والتصريح ٢٣٩/٢، والأشمونى ٣٠٢/٣، ومعجم الشواهد ١١٩.
(٢) فى الآيتين ٣٦، ٣٧ من سورة غافر.
(٣) راجع الصبان ٣١٢/٣.
(٤) فى الآية ١٤٢ من سورة آل عمران.
(٥) هذا بيت من الوافر لأعشى وليس فى ديوانه، وقيل غيره، وهو من شواهد الكتاب ٤٢٦/١، والإنصاف ٥٣١، وابن يعيش ٣٣/٧، والمغنى ٣٩٧، والتصريح ٢٣٩/٢، والأشمونى ٣٠٧/٣، ومعجم الشواهد ٤٠٥.
اللغة: أندى من الندى وهو بعد ذهاب الصوت.
والمعنى: قلت لتلك المرأة ينبغى أن يجتمع دعائى ودعاؤك فإن أرفع صوت دعاء داعيين.

الثالث: النهى كقول أبى الأسود الدؤلى:

لاتنه عن خلق وتأتى مثله　　　عار عليك إذا فعلت عظيم [١]

الرابع: الاستفهام، كقول الحطيئة:

ألم أك جاركم ويكون بينى　　　وبينكم المودة والإخاء [٢]

الخامس: التمنى كقوله تعالى: (يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) [٣].

الضرب الثانى: (إضمار (أن) جوازا).

تضمر (أن) جوازا بعد شيئين:

الأول: لام (كى) إذا لم يكن معها (لا).

والمقصود بلام (كى) هي لام الجر، سواء كانت للتعليل، كقوله تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس) [٤]، أو للعاقبة كقوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) [٥] فاللام هنا ليست للتعليل، لأنهم لم يلتقطوه لذلك، وإنما التقطوه ليكون لهم قرة عين، فكانت عاقبته أن صار لهم عدوا وحزنا، أو زائدة، كقوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت)[٦] فالفعل فى الآيات الثلاث السابقة منصوب بـ (أن) مضمرة جوازا.

وإذا كان الفعل الذى دخلت عليه اللام الجارة مسبوقا بـ (لا) وجب إظهار

(١) هذا بيت من الكامل لأبى الدؤلى، وقيل: غيره وهو من شواهد الكتاب ٤٢٤/١، والمقتضب ١٦/٢، وابن يعيش ٢٤/٧، والمغنى ٣٦١، وملحقات ديوانه ومعجم الشواهد ٣٥٥.

(٢) هذا بيت من الوافر للحطيئة، وهو من شواهد المقتضب ٧٢/٢، والمغنى ٦٦٩، والأشمونى ٣٠٧/٣، وديوانه ٢٦، ومعجم الشواهد ٢٠.

(٣) فى الآية ٢٧ من سورة الأنعام.

(٤) فى الاية ٤٤ من سورة النحل.

(٥) فى الآية ٨ من سورة القصص.

(٦) فى الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(أن) بعد اللام، سواء كانت (لا) نافية، كقوله تعالى: (لئلا يكون للناس على الله حجه) [(١)] أو زائدة؛ كقوله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب) [(٢)] أى ليعلم أهل الكتاب.

والثانى: عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل بأحد حروف العطف الأربعة، وهى: الواو، وأو، والفاء، وثم.

فالواو كقول ميسون بنت بحدل:

ولبس عباءة وتقر عينى أحب إلى من لبس الشفوف [(٣)]

و (أو) كقوله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمة الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أويرسل رسولاً) [(٤)].

والفاء كقول الشاعر:

لو لا توقع معتر فأرضيه ما كنت أوثر إترابا على ترب [(٥)]

و (ثم) كقول أنس بن مدركة الخثعمى:

إنى وقتلى سليكا ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر [(٦)]

---

(١) فى الآية ١٦٥ من سورة النساء. (٢) فى الآية ٢٩ من سورة الحديد.

(٣) هذا بيت من الوافر لميسون بنت بحدل، وهو من شواهد الكتاب ٤٢٦/١، وابن يعيش ٢٥/٧، والتصريح ٢٤٤/٢، والأشمونى ٣١٣/٣، ومعجم الشواهد ٢٤١.
اللغة: الشفوف: الثياب الرقاق.

(٤) فى الآية ٥١ من سورة الشورى.

(٥) هذا بيت من البسيط لم أقف على قائله، وهو من شواهد التصريح ٢٤٤/٢، والأشمونى ٣١٤/٣، ومعجم الشواهد ٦٢.
اللغة: المعتر: المتعرض لسؤال المعروف، والأتراب: جمع ترب بكسر الفوقية وسكون الراء وهو الموافق فى العمر.

(٦) هذا بيت من البسيط لأنس بن مدركة، وهو من شواهد التصريح ٢٤٤/٢، والأشمونى ٣١٤/٣، ومعجم الشواهد ١٦١.
اللغة: سليكك بالتصغير: اسم رجل، أعقله: أعقله: أعطى ديته، وعافت: كرهت.
والمعنى: إن البقر كرهت شرب الماء، وامتنعت منه لا تضرب، لأنها ذات لبن، وإنما يضرب الثور لتفرغ هى فتشرب، ووجه الشبه: أن كلا حصل له ضرر لأجل نفع غيره.

وقد أشار الناظم إلى المسألة السابقة بقوله:

وإن علي اسم خالص فعل عطف تنصبه أن ثابتا أو منحذف

الضرب الثالث: (إضمار (أن) شذوذا.

وقد تضمر (أن) شذوذا فى غير الضربين السابقين، والصحيح قصره على السماع لقتله.

ومن شواهد ذلك قولهم: (تسمع بالمعيدى خير من أن تراه) بنصب تسمع بإضمار (أن) والذى حسن حذفها من (تسمع) ذكرها فى (أن تراه) وقوله طرفة:

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وأن أشهدت اللذات هل أنت مخلدى [١]

وقولهم: خذ اللص قبل يأخذك، وقراءة بعضهم: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) [٢] وقراءة الحسن (قل أفغير الله تأمرنى أعبد) [٣] وقولهم: مره يحفرها، وقول عامر بن جوين:

فلم أر مثلها خباسة واحد ونهنهت نفسى بعد ما كدت أفعله [٤]

وقد أشار الناظم إلى إضمار (أن) شذوذا بقوله:

وشذ حذف (أن) ونصب فى سوى ما مر فاقبل منه ما عدل روى

١) هذا بيت من الطويل لطرفه بن العبد، وهو من شواهد الكتاب ٤٥٢/١، والإنصاف ٥٦٠، وابن يعيش ٧/٢، ٢٨/٤، ٥٢/٧، والمغنى ٣٨٣، ٦٤١، ومعجم الشواهد ١١٢.
اللغة: الزاجرى: الذى يزجرنى أي يكفنى ويمنعني.
المعنى: هل تضمن لى الخلود، ودوام البقاء، إذا أحجمت عن القتال ومنازلة الأقران؟ ينكر ذلك على من نهاه عن اقتحام المعارك ويأمره بالقعود والإحجام.
٢) فى الآية ١٨ من سورة الأنبياء.
(٣) فى الآية ٦٤ من سورة الزمر.
(٤) هذا بيت من الطويل لعامر بن جوين، وقيل: عامر بن الطفيل: وهو من شواهد الكتاب ١٥٥/١، والإنصاف ٥٦١، والمغنى ٦٤٠، والأشمونى ٣٦١/١، ٣، ٣١٥، واللسان (حبس) ومعجم الشواهد ٢٦٦.

توسع العرب فى غير الأمهات النحوية

ومما يجب التنبيه عليه - هنا - أن توسع العرب ليس قاصرا على الأمهات النحوية فقط بل توسعت - أيضا - فى غير الأمهات النحوية، فقد وردت عدة مسائل فى العربية توسعت فيها العرب فى غير الأمهات النحوية، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى:

(أ) أن العرب اتسعت فى (إذن) اتساعا لم تتسعه في غيرها من نواصب الأفعال، فأجازت دخولها على الأسماء نحو: إذن محمد يقول الصدق وعلى الأفعال سواء أكان الفعل بعدها حالا كما إذا حدثك شخص بحديث فقلت له: إذن تصدق أم مستقبلا، نحو قولك: إذن تنجح جوابا لمن قال:سأذاكر، وأجازوا فيها - أيضا - أن تتأخر عن الفعل نحو: أكرمك إذن، وأن تتوسط نحو: زيد إذن يكرمك، وأن يفصل بينها وبين الفعل بالقسم كقول حسان بن ثابت:

إذن والله نرميهم بحرب   تشيت الطفل من قبل المشيب [١]

ولا يجوز ذلك فى سائر النواصب:

قال الشلوبين فى شرح الجزولية: "اتسعت العرب فى (إذن) اتساعا لم تتسعه فى غيرها من النواصب، فأجازت دخولها على الأسماء نحو: إذن عبد الله يقول ذلك، وعلى الأفعال، وأجازوا دخولها على الحال، وعلى المستقبل وأجازوا أن تتأخر عن الفعل نحو: أكرمك إذن فهذه اتساعات فى (إذن) انفردت بها دون غيرها من نواصب الأفعال، وأجازوا - أيضا - فيها فصلها من الفعل بالقسم، ولا يجوز ذلك فى سائر نواصب الفغل، فلما اتسعوا فى (إذن) هذه الاتساعات قويت بذلك عندهم، فشبهوها بعوامل الأسماء الناصبة لقوتها بهذا التصرف الذى

(١) هذا بيت من الوافر لحسان بن ثابت، وليس فى ديوانه وهو من شواهد المغنى ٦٩٣، والتصريح ٢٣٥/٢، والهمع ٧/٢، والدرر ٥/٢، والأشمونى ٢٨٩/٣، ومعجم الشواهد ٦٤.

تصرفته، ولكن لا بكل عوامل الأسماء، بل بظننت وأخواتها فقط. فأجازوا فيها الإعمال، والإلغاء، إلا أن ظننت إذا توسطت يجوز فيه الإعمال، والإلغاء و (إذن) إذا توسطت يجب فيها الإلغاء، لأن المشبه بالشيء لا يقوى قوة المشبه به، فحطت عنها بأن ألغيت ليس إلا" [١] اهـ.

(ب) أن العرب اتسعت في التوكيد اللفظي أكثر من التوكيد المعنوي، فأجازت دخوله في الأسماء كقوله تعالى: (كلا إذا دكت الأرض دكاكا) [٢].

وفي الأفعال نحو: قام قام زيد، وفي الحروف نحو قول جميل:

لا لا أبوح بحب بثنة إنها   أخذت على مواثقا وعهودا [٣]

وفي الجملة نحو قول الشاعر:

أيا من لست أقلاه   ولا في البعد أنساه [٤]

لك الله على ذاكا   لك الله لك اللـــــه

فقول: (لك الله لك الله) تأكيد للجملة الاسمية بإعادة لفظها.

وقد يكون التوكيد اللفظي من حيث المعنى، كقول مضرس الأسدي:

---

(١) راجع الأشباه والنظائر ٢٤٦/٣.   (٢) الآية ٢١ من سورة الفجر.

(٣) هذا بيت من الكامل لجميل، وهو من شواهد التصريح ١٢٩/٢، والأشموني ٨٤/٣، والديوان: ٧٩، ومعجم الشواهد ٩٨.

اللغة: باح بسره: إذا أظهره وأفشاه، وبثنة: اسم محبوبته.

والمواثق: جمع موثق بمعنى الميثاق، وأصله: المواثيق جمع ميثاق فحذفت الياء للضرورة، وعهودا: عطف تفسير جمع عهد.

(٤) هذان بيتان من الهزج، وهما من شواهد العيني ٩٧/٤، والأشموني ٨٠/٣، ومعجم الشواهد ٤١٧، وأقلاه: من قلاه يقليه قليا: إذا أبغضه.

(٥) هذا بيت من الطويل لمضرس الأسدي، وقيل غيره: وهو من شواهد ابن يعيش ١٢٢/٨، ١٢٤، اللغة: الدعائر: جمع دعثور وهو الحوض.

وقلن علي الفردوس أول مشرب   أجل جير إن كانت أبيحت دعاثره [٥] فقوله (أجل جير) كلاهما بمعنى الإيجاب، وذكرهما معا للتوكيد.

قال الأندلسى: "التأكيد الفظى أوسع مجالا من التأكيد المعنوى، لأنه يدخل فى المفرادات الثلاث، وفى الجمل، ولا يتقيد بمظهر، أو مضمر، معرفة أو نكرة، بل يجوز مطلقا إلا أن السماع فى بعضها أكثر فلا يكاد يسمع، أو ينقل: إن إن زيدا قائم، وإنما أكثر ما يأتى فى تكريم الاسم أو الجملة" اهـ [١]

(جـ) أن العرب اتسعت فى تضمين فعل يتعدى بحرف فعل يتعدى بحرف آخر كما قال ابن جنى فى الخصائص فى باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض ٣١٠/٢: "اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بأخر، فإن العرب قد تتسع، فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل فى معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو فى معناه؟ ذلك كقول الله عز اسمه، (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلي نسائكم) [٢] وأنت لا تقول: رفث إلى المرأة وإنما تقول: رفثت بها، أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا فى معنى الإفضاء، وكنت تعدى أفضيت بـ (إلى) كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بإلى مع الرفث، إيذانا وإشعارا أنه بمعناه" اهـ.

(د) أن العرب اتسعت فى بابى المفعول له، والمفعول معه بحذف حرف الجر فيهما كما قال ابن السراج فى الأصول ٢١٢/١: "وهذا الباب الذى قبله أعنى: بابى المفعول له، والمفعول معه كان حقهما أن لا يفارقهما حرف الجر، ولكنه حذف فيهما، ولم يجريا مجرى الظرف فى التصرف فى الإعراب، وفى إقامتها مقام الفاعل، فيدلك ترك العرب لذلك أنهما بابان وضعا فى غير موضعهما، وأن ذلك اتساع منهم فيهما" اهـ.

---

(١) راجع الأشباه والنظائر للسيوطى ٢٠٧/٣، ٢٠٨.
(٢) فى الآية ١٨٧ من سورة البقرة

(هـ) أن العرب اتسعت فى الظرف والجار والمجرور ما لا تتسع فى غيرهما.

ويكاد ينحصر الاتساع بهما فى نوعين:

النوع الأول: (الفصل بهما)

ومن صور الفصل بهما ما يلى:

١- الفصل بهما وهما معمولان للخبر بين كان واسمها اتفاقا بين البصريين والكوفيين.

نحو: كان عندك زيد مقيما، وكان فيك زيد راغبا، ولذلك قال الناظم:

ولا يلى العامل معمول الخبر   إلا إذا ظرفا أتى أو حرف جر

قال فى التصريح ١/٨٩: "ويجوز باتفاق أن يلى هذه الأفعال معمول خبرها إن كان المعمول ظرفا، أو جارا ومجرورا للتوسع، نحو: كان عندك أو فى المسجد زيد معتكفا، والأصل: كان زيد معتكفا عندك، أو فى المسجد، فقدم معمول خبر كان على اسمها. فوليها" اهـ.

٢- الفصل بهما وهما معمولان للخبر بين (ما) الحجازية، واسمها نحو:

ما عندك زيد قائما، وما بى أنت معنيا، ومنه قول الفرزدق:

بأهبة حزم لذ وإن كنت آمنا   فما كل حين من توالى مواليا [(١)]

والأصل: فما من توالى مواليا كل حين، وقد أشار الناظم إلى ذلك بقوله:

وسبق حرف جر او ظرف كما   بى أنت معنيا أجاز العلـــما

(١) هذا بيت من الطريل للفرزدق وليس فى ديوانه وهو من شواهد الكتاب ٢/٥٨، ٥٩ والمقتضب ١/١٤٣، وابن يعيش ١/٦٤، والتصريح ٢/٢٢٩، والأشمونى ٣/٢٧٣، واللسان (ولى) ومعجم الشواهد ٤٢٣.

اللغة: الأهبة: العدة، والحزم: ضبط الأمر، ولذ: أمر من لاذ، وإن كنت آمنا: عطف على محذوف أى إن لم تكن آمنا، وإن كنت آمنا.

قال ابن عقيل ٣٠٦/١: "فإن كان المعمول ظرفا، أو جارا وجرورا لم يبطل عملها نحو: ما عندك زيد مقيما، وما بى أنت معينا؛ لأن الظروف، والمجرورات يتوسع فيها، ما لا يتوسع فى غيرها" اهـ.

٣- الفصل بهما وهما معمولان للخبر بين الحرف الناسخ، ومنسوخة نحو: إن بك زيدا واثق، وإن عندك زيدا جالس، ومنه قول الشاعر:

فلا تلحنى فيها فإن بحبها أخاك مصاب القلب جم بلابله [١]

ومنع بعضهم هذه المسألة، والحق الجواز، لأنه يجوز تقديم معمول خبر (ما) الحجازية على اسمها، وإن الناسخة وأخواتها أقوى منها بدليل جواز تقديم الخبر إذا كان ظرفا أو جارا ومجرورا هنا، وامتناعه هناك [٢].

٤- الفصل بهما بين الاستفهام، والقول الجارى مجرى الظن عل مذهب عامة العرب نحو: أعندى تقول زيدا جالسا، وأفى الدار تقول زيدا مقيما، ومنه قول الشاعر:

أبعد بعد تقول الدار جامعة شملى بهم أم تقول البعد محتوما؟ [٣]

٥-الفصل بهما بين المضاف، والمضاف إليه، إما فى الاختيار، وذلك إذا كان المضاف مصدرا، كقول من يوثق بعربيته: (ترك يوما نفسك وهواها سعى لها فى رداها) أو وصفا كقول الشاعر:

(١) هذا بيت من الطويل لم أعثر على قائله، وهو من شواهد الكتاب ٢٨٠/١، والمغنى ٦٩٣، والهمع ١٣٥/١، والدرر ١١٣/١، والأشمونى ٢٧٢/١، ومعجم الشواهد ٢٨٨.
اللغة: تلحنى: من لحيت الرجل بفتح الحاء فيهما أى لمته، وجم: كثير.
وبلابله: وساوسه جمع بلبال، وهو الحزن، واشتغال البال.
والمعنى: لا تلمنى فى حب هذه المرأة فقد أصيب قلبى بها، واستولى عليه حبها، فالعذل لا يصرفنى عنها.
(٢) راجع الكتاب ٢٨٠/١ط بولاق، والأشمونى والصبان ٢٧٢/١، ٢٧٣.
(٣) هذا بيت من البسيط لم أقف على قائله، وهو من شواهد المغنى ٦٩٣، وشذور الذهب ٣٨٠، والأشمونى ٣٦/٢، والتصريح ٢٦٣/١، ومعجم الشواهد ٣٣٤.
اللغة: شملى: مصدر شملهم الأمر كفرح ونصر شملا وشمولا إذا عمهم، وشملى: مفعول جامعة.

فرشني بخير لا أكونن ومدحتي　　كناحت يوما صخرة بعسيل [١]

وقوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث أبي الدرداء: (هل أنتم تاركولي صاحبي) وجاء الفصل - أيضا - في الاختيار بالقسم، نحو: هذا غلام والله زيد، حكى ذلك الكسائي، وحكى أبو عبيدة (إن الشاة لتجتر فتسمع صوت و الله ربها) [٢] وإما في الضرورة، كقول أبي حية النميري:

كما خط الكتاب بكف يوما: يهودي يقارب أو يزيل [٣]

قال ابن عصفور في الضرائر ١٩٤: "والفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف، والمجرور من الضرائر الحسنة" اهـ

٦- الفصل بينهما بين حرف الجر ومجروره في الضرورة كقوله:

إن عمرا لا خير في اليوم عمرو　　إن عمرا مخبر الأحزان [٤]

---

(١) هذا بيت من الطويل لم أعثر على قائله، وهو من شواهد التصريح ٥٨/٢ والهمع ٥٢/٢، والدرر ٦٦/٢، والأشموني ٢٧٧/٢، واللسان (عسل) ومعجم الشواهد ٣١٢.
اللغة: رشني: أمر من رشت السهم إذا ألزقت عليه الريش،والمعنى أصلح حالي بخير، ومدحتي: مفعول معه، والعسيل: مكنسة العطار التي يجمع بها العطر، وهي كناية عن كون سعيه مما لا فائدة فيه مع حصول التعب والكد.
(٢) راجع الأشموني ٢٧٧/٢.
(٣) هذا بيت من الوافر لأبي حية النميري وهو من شواهد الكتاب ٩١/١ والإنصاف ٤٣٢، وابن يعيش ١٠٣/١، ٢٥٠/٢، والتصريح ٥٩/٢، والأشموني ٢٨٧/٢، واللسان (عجم) ومعجم الشواهد ٢٩٥.
اللغة: يقارب: أي يفارق فيما بينه ويباعد، والجملة صفة ليهودي، وخص اليهودي بالذكر، لأنه من أهل الكتاب.
والمعنى : أن رسم هذه الدار يشبه كتابة اليهودي كتابا، جعل بعضه متقاربا وبعضه متفرقا.
(٤) هذا بيت من الخفيف لم أقف على قائله، وهو من شواهد شرح التسهيل لابن مالك ١٩٤/٣، وشرح الكافية الشافية ٨٣٢، والمساعد ٣٠١/٢، والدرر ٤٠/٢، وقد روى صدره في الأشموني ٣٧/٢ فظن المحقق الأكبر المرحوم الزستاذ عبد السلام هارون أنه عجز بيت، وذكره في معجمه ١٩٢ هكذا.
عمرو - خفيف - الأشموني ٢٣٦/٢.
ومن العجيب أنه ناقص نفسه، وذكر عجز بيت الشاهد في معجمه ٤١٢ قائلا:
الأحزان - خفيف - الهمع ٣٧/٢، والدرر ٤٠/٢.

أراد: لا خير اليوم في عمرو. وقول الآخر:

مخلفة لا يستطاع ارتقاؤها   وليس إلى منها النزول سبيل [(١)]

وندر الفصل بينهما في النثر بالقسم، حكى الكسائي: اشتريته بو الله درهم.

٧- الفصل بينهما - وهما متعلقان بفعل التعجب - بين فعل التعجب والمتعجب منه.

وقد اختلف النحاة في الفصل بالظرف، والجار والمجرور المتعلقين بفعل التعجب فذهب الأخفش والمبرد، وأكثر البصريين إلى المنع، وذهب الفراء، والجرمي والمازني، والزجاج، والفارسي، وابن خروف، والشلوبين إلى الجواز وهو صحيح للتوسع فيهما، كقولك: ما أحسن بالرجل أن يصدق وما أقبح به أن يكذب، وقول عمرو بن معديكرب: (لله در بني سليم ما أحسن في الهيجاء لقاءها، وأكرم في اللزبات عطاءها، وأثبت في المكرمات بقاءها) [(٢)] وقول العباس بن مرداس:

وقال نبي المسلمين تقدموا   وأحبب إلينا أن تكون المقدما [(٣)]

وقول الشاعر:

خليلي ما أحري بذي اللب أن يرى   صبورا ولكن لا سبيل إلى الصبر [(٤)]

---

(١) هذا بيت من الطويل لم أعثر على قائله، وهو من شواهد الخصائص ٣٩٥/٢، والأشموني ٢٣٦/٢، ومعجم الشواهد ٢٨٥، وصدره هكذا في الخصائص: لو كنت في خلفاء أو رأس شاهق.

(٢) راجع ابن عقيل ١٥٧/٣، واللزبات: بفتح اللام، وسكون الزاي جمع لزبة، وهي الشدة والقحط، والمكرمات: جمع مكرمة بضم الراء فيهما أي الكرم.

(٣) هذا بيت من الطويل للعباس بن مرداس: وهو من شواهد ابن عقيل ٣/ ٥٧، والتصريح ٣٥٣/٢، والأشموني ١٩/٣، ومعجم الشواهد ٣٣٠.

(٤) هذا بيت من الطويل لم أقف على قائله، وهو من شواهد ابن عقيل ١٥٨/٣، والأشموني ٢٤/٣، ويس على التصريح ٢/ ٩٠، ومعجم الشواهد ١٧٤.

وقد أشار الناظم إلي الفصل بالظرف والجار والمجرور المتعلقين بفعل التعجب قائلا:

وفصله بظرف او بحرف جر مستعمل والخلف فى ذاك استقر

٨- الفصل بالظرف بين (لن) ومنصوبها في الضرورة فى الضرورة كقول الشاعر:

لن ما رأيت أبا يزيد مقاتلا أدع القتال وأشهد الهيجاء [١]

والتقدير: لن إدع القتال وشهود الهيجاء مدة رؤية أبى يزيد.

وهذا البيت تكتب فيه (لن ما) (لما) ويلغز [٢]، فيقال: أين جواب لما؟ وبم انتصب أدع؟.

والجواب: أن الأصل (لن ما) فأدغمت النون فى الميم للتقارب، وحقهما أن يكتبا منفصلين لكن وصلا خطا للألغازو (ما) مصدرية ظرفية وقد فصل بها، وبصلتها بين (لن) والفعل، وأشهد : ليس معطوفا على (أدع) لمنافاته قوله: لن أدع القتال، بل منصوب بأن مضمرة وأن والفعل عطف على القتال، أى لن أدع القتال، وشهود الهيجاء، فهو من عطف الفعل على المصدر الصريح.

٩- الفصل بهما بين (كم) الخبرية ومميزها.

وإذا فصل بالظرف ، والجار والمجرور بين (كم) الخبرية ومميزها نصب تقول: كم فى الدار رجلا، وكم عندك جارية، قال الشاعر:

تؤم سنانا وكم دونه من الأرض محدودبا غارها [٣]

(١) هذا بيت من الطويل لم أعثر على قائله، وهو من شواهد الخصائص ٤١١/٢ والمغنى ٢٨٣، ٢٥٩، ٦٩٤، والأشمونى ٢٨٤/٣، ومعجم الشواهد ١٩.

(٢) راجع المغني ٢٨٣، والصبان ٢٨٤/٣.

(٣) هذا بيت من المتقارب نسب لزهير وليس فى ديوانه وقيل: غيره وهو من شواهد الكتاب ٣٩٥/١، وابن يعيش ١٢٩/٤، ١٣١، والأشمونى ٨٣/٤ ومعجم الشواهد ٨٣/٤ ومعجم الشواهد ١٧٢.

اللغة: تؤم: تقصد، ومحدودبا: بيكسر الدال الثانية تمييز من الحدب وهو ما ارتفع من الأرض، وغارها: مرفوع به على أنه فاعل، وأصلهك غاءرها وهو المكان الغائر من الأرض، فحذفت عين الكلمة كما حذفت فى رجل شاك وأصله: شائك.

وقد جاء في الشعر مع الفصل، كقول الفرزدق:

كم فى بنى بكر بن سعد سيد ضخم الدسيعة ماجد نفاع [(١)]

والصحيح اختصاصته بالشعر.

قال ابن يعيش ٤/ ١٣٠: "اعلم أن (كم) يجوز الفصل بينهما وبين مميزها بالظرف وحروف الجر جوازا حسنا من غير قبح، نحو: كم لك غلاما وكم عندك جارية، ولا يحسن ذلك فيما كان فى معناها من الأعداد نحو: عشرين، وثلاثين، ونحوهما من الأعداد المنونة، والفصل بينهما: أن (كم) كانت مستحقة للتمكن فى الأصل بحكم الاسمية ثم قدمته بما أوجب البناء لها، فصار الفصل، واستحسان جوازه كالعوض مما منعته من التمكن مع كثرة استعمالها فى كلامهم" اهـ.

النوع الثانى: (تقدمهما)

ومن صور تقديمهم ما يلى:

١- تقدمهما على اسم إن، أو إحدي أخواتها إذا كانا خبرين، كقوله تعالى: (إن لدينا أنكالا) [(٢)] أى قيودا ثقيلة، وقوله تعالى: (إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى) [(٣)] ولذلك قال الناظم:

وراع ذا الترتيب إلا فى الذى كليت فيها أوهنا غير البذى

والبذى: الوقح أو فاحش اللسان.

(١) هذا بيت من الكامل نسب للفرزدق، وليس فى ديوانه وهو من شواهد الكتاب ١/٢٩٦ وابن يعيش ٤/ ١٣٠، ١٣٢، والأشمونى ٤/٨٢، ومعجم الشواهد ٢٣٣.
(٢) فى الآية ١٢ من سورة المزمل.
(٣) فى الاية ٢٦ من سورة النازعات.

قال الأشموني ٢٧٢/١:؛ دراع ذا الترتيب، وهو تقديم اسمها، وتأخير خبرها وجوبا إلا فى الموضع الذى يكون الخبر فيه ظرفا، أو مجرورا كليت فيها أو هنا غير البذى، للتوسع فى الظرف، والمجرورات" اهـ.

وقد أشار إلى المسألة السابقة بأسلوب طريف الشيخ شرف الدين [١] بن عنين قائلا:

كأنى من أخبار إن ولم يجــز   له أحد فى النحو أن يتقدمـا

عسى حرف جر من نداك يجرنى   إليك فإنى من وصالك معدما

٢- تقدمها على الفعل المنفى بـ (ما) فى الضرورة كقول عامر بن الأكوع

ونحن عن فضلك ما استغنينا [٢]

٣- تقدمهما على العامل المعنوى نحو: أكل يوم لك ثوب ، فثوب: مبتدأ مؤخر، ولك: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر، وقوله: أكل يوم يتعلق بالجار والمجرور، ولا شك أنهما من العامل المعنوى عندهم.

٤- تقدمهما على (إن) الناسخة وهما معمولان لخبرهما فى قولهم: (أما بعد فإنى أفعل كذا) فـ (أما) حرف شرط وتفصيل، وقوله: (فإنى أفعل كذا) جواب الشرط، وقوله (بعد) متعلق بأفعل، تقدم الظرف الذى هو معمول لخبر (إن) على (إن).

(١) راجع الشذور ٢٠٣، وحاشية الخضرى على ابن عقيل ١٣٠/١.
(٢) هذا رجز لعامر بن الأكوع، وقيل: غيره، وهو من شواهد المغنى ٩٨، ٢٦٩، ٣١٧، ٥٣٩، ٦٩٤، ومعجم الشواهد ٥٤٦.
والشاهد فى قوله (عن فضلك ما استغنينا) حيث تقدم الجار والمجرور وهو (عن فضلك) على الفعل المنفى بـ (ما) مع أن (ما) لها الصدر مطلقا بإجماع البصريين، وذلك ضرورة.

٥- تقدمهما على صلة (أل) كقوله تعالى: ٠وكانوا فيه من الزاهدين) [١] وقوله تعالى: (إنى لكما لمن الناصحين) [٢] وقوله تعالى: (وأنا على ذلكم من الشاهدين) [٣] وقوله تعالى: (وأنا معكم من الشاهدين) [٤].

وقد اختلف النحاة فى تقديم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول، فذهب البصريون إلي المنع مطلقا؛ وذهب الكوفيون إلى الجواز مطلقا، جنح السيوطى إلى مذهبهم قائلا فى الهمع ١/٨٨ "وهو اختياري للتوسع فيهما" اهـ.

وذهب قوم منهم ابن الحاجب، وابن مالك إلى جواز ذلك مع (أل) إذا جرت بـ (من) كالآيات السابقة، والمنع فى غير أل وفيها إذا لم تجر بـ (من).

وأول البصريون الايات السابقة بتعلق الجار والمجرور بفعل محذوف دل عليع المذكور.

---

(١) فى الآية ٢٠ من سورة يوسف.
(٢) فى الآية ٢١ من سورة الأعراف.
(٣) فى الآية ٥٦ من سورة الأنبياء.
(٤) فى الآية ٨١ من سورة آل عمران.

أهم نتائج البحث

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج هامة منها ما يلى:

١- أن الأمهات النحوية تنحصر فى قسمين من أقسام الكلمة، وهما: الأفعال، والحروف، وتندر فى الأفعال وتكثر فى الحروف.

٢- أن النحاة ادعوا فى بعض الأمهات النحوية أنها تنفرد عن أخواتها بخصائص نحوية مع أن أخواتها تشاركها فى ذلك، وقد حضنا هذا الادعاء فى (همزة) و (الواو العاطفة) وَ (إن) الشرطية.

٣- أن زكثر الأمهات توسعا فى النحو الواو العاطفة.

٤- أن الإمام الأندلسى زعم أن (من) الجارة لا تدخل إلا على خمسة من الظروف، وقد فندنا هذا الزعم، واستدركنا عليه ستة عشر ظرفا.

٥- سهو بعض النحاة فى قولهم: إن (من) الجارة تدخل على (لدى) مع أنها لم ترد إلا منصوبة فى كلام العرب.

٦- أن العرب لم تقتصر على التوسع فى الأمهات النحوية فقط بل توسعت - أيضا- فى غير الأمهات النحوية كالظرف والجار والمجرور.

والحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١- القران الكريم.

٢- الإتفاق فى علوم القرآن للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط مكتبة دار التراث بالقاهرة.

٣- ارتشاف الضرب لأبى حيان تحقيق د/ مصطفى النماس - الطبعة الأولى ١٩٨٧.

٤- أسرار العربية لابن الأنبارى تحقيق محمد بهجة البيطار ط مؤسسة الترقى بدمشق ١٩٥٧.

٥- الأشباه والنظائر للسيوطى - تحقيق د/ عبد العال سالم ط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

٦- أمالى ابن الشجري تحقيق د/ محمود محمد الطناحى الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٧- البحر المحيط لأبى حيان ط دار الفكر ١٩٩٢م.

٨- البرهان فى علوم القرآن للزركشى ط محمد عبد القادر عطا ط دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٩- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك - تحقيق محمدكامل بركات ط دار الكاتب العربى ١٩٦٧م.

١٠- تقرير الحلبى على حاشية السجاعى على شرح ابن عقيل ط الحرمين بسنغافورة.

١١- الجنى الدانى في حروف المعانى للمرادى تحقيق د/ فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢.

١٢- حاشية ابن حمدون على شرح المكودى علي ألفية ابن مالك ط الحرمين بسنغافورة.

١٣- حاشية الخضرى على ابن عقيل على شرح الألفية لابن مالك ط الحرمين بسنغافورة.

١٤- حاشية السجاعى ابن عقيل على شرح الألفية لابن مالك ط الحرمين بسنغافورة.

١٥- حاشية الصبان على الأشمونى ط الحلبى.

١٦- حاشية محمد عبادة على شرح الشذور لابن هشام ط الحلبى.

١٧- حاشية يس على الفاكهى علي القطر ط الحلبى.

١٨- حاشية يس علي التصريح ط الحلبى.

١٩- خزانة الأدب للبغدادى تحقيق/ عبد السلام هارون ط مكتبة الخانجى بمصر.

٢٠- الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجارز ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢١- دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة ط دار الحديث بمصر.

٢٢- سر صناعة الإعراب لابن جنى تحقيق د/ حسن هنداوى الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

٢٣- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ط الحلبى بمصر.

٢٤- شرح الألفية لابن الناظم تحقيق د/ عبد الحميد السيد ط دار الجيل.

٢٥- شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د/ عبد الرحمن السيد و د/ محمد بدوى المختون الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٢٦- شرح التسهيل على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ط الحلبى بمصر.

٢٧- شذور الذهب لابن هشام.

٢٨- شرح شواهد الشافية للبغدادى تحقيق محمد نور الحسن وزميليه ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢م.

٢٩- شرح عقود الجمان فى المعانى والبيان للشيخ المرشدى ط الحرمين بسنغافورة.

٣٠- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط دار الفكر ١٩٨٥م.

٣١- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ط دار الفكر.

٣٢- شرح الكافية للرضى ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥م.

٣٣- شرح المفصل لابن يعيش ط مكتبة المتنبى بالقاهرة.

٣٤- شرح الملوكى فى التصريف لابن يعيش تحقيق د/ فخر الدين قباوة ط المكتبة العربية بحلب الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

٣٥- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ط مكتبة القدسى القاهرة.

٣٦- ضرائر الشعر لابن عصفور تحقيق/ السيد إبراهيم محمد ط دار الأندلس الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

٣٧- عقود الجمان فى المعانى والبيان للسيوطى ط الحرمين بسنغافورة.

٣٨- الكتاب لسيبويه تحقيق/ عبد السلام هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٩- لسان العرب لابن منظور ط دار صادر بيروت.

٤٠- المحتسب لابن جنى ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة.

٤١- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل تحقيق د/ محمد كامل بركات ط جامعة أم القرى ١٩٨٤م.

٤٢- معجم شواهد العربية لعبد السلام هارون ط الخانجى بمصر ١٩٧٢م.

٤٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ط المكتبة الإسلامية بتركيا.

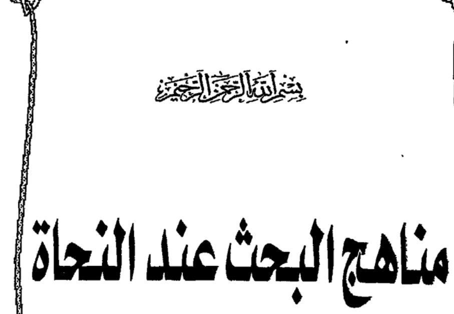
٤٤- المعجم الوسيط ط مجمع اللغة العربية بالقاهرة

٤٥- معانى القرآن للفراء ط الدرا المصرية للتأليف والترجمة.

٤٦- المغنى لابن هشام تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد المكتبة المصرية ١٩٨٧م.

٤٧- الممتع لابن عصفور تحقيق د/ فخر الدين قباوة ط دار المعرفة بيروت ١٩٨٧م.

٤٨- همع الهوامع للسيوطي ط دار المعرفة بيروت.



د/ مصطفى خاطر

تمهيد

من المعلوم للباحثين فى علوم اللغة أن التراث اللغوى للعربية يرتبط ارتباطا وثيقاً بالقرآن الكريم، فلقد نشأت العلوم اللغوية العربية لتكون بمثابة مفاتيح وطرق لفهم القرآن الكريم، ولقد كان للنص القرآنى الكريم أثره الذى يمتد إلى يوم الناس هذا فى إثارة هذه الحركة العقلية والفكرية لدى المسلمين منذ العصر الأول، هذه الحركة التى أفضت إلى وجود هذا التراث الفكرى الذى قلما يوجد مثله فى حضارة أخرى غير الحضارة العربية، هذا التراث الفكرى المتمثل فى عشرات الآلاف من المؤلفات العلمية فى اللغة وعلوم الشريعة من فقه وحديث وعلوم أصول الدين وغير ذلك.

كل ذلك جعل هذه اللغة حية متميزة على مر العصور فكان ذلك سببا وضمانا لاستمرارها محافظة على قواعدها وأصولها طوال تلك القرون، وهو الأمر الذى لم يتوفر لأية لغة أخرى على سبيل القطع واليقين.

أجل لقد صمدت العربية لرياح عاتية هبت عليها من الشمال تحاول دفنها فى الرمال وطمس معالمها وصولا إلى محو آثارها بعد أن تفوق النموذج الحضارى فى الغرب وما تبع ذلك من تراجع للعربية حتي إنها لم تعد لغة العلوم التجريبية كالطب والهندسة والكيمياء وعلم الأحياء بل وامتد ذلك إلى محاولة كتابة أصواتها وألفاظها وتراكيبها برموز كتابية غير رموزها وأبجدية غير أبجديتها على نحو ما هو معروف من تاريخ هذا القرن الذى انتهى[1].

وقد عبر عن ذلك المستشرق الألمانى "يوهان فك" بقوله: "......... وقد ظهر أخيرا فى ميدان اللغة أثر آخر من آثار التأثر بالغرب حيث علت أصوات فى

(١) انظر فى هذا: اللغة والمجتمع (د/ عبد الواحد وافى) صـ ١٦٥ - ١٨٧ القاهرة سنة ١٩٥٤.

دوائر بعض دعاة الاصلاح فى مصر تنحى بالنقد على العربية الفصيحة نفسها، وتتحدث عن صيغ التعليم اللغوى بصيغة جديدة توائم قواعد التربية اللغوية الحديثة.

وقد كان لزاما على العربية الفصيحة أن تقضى على تلك الحركة لا لأن انتصارها قد لا يبقى أثرا للنحو العربى، بل لما هو أهم من ذلك، وهو أن الحركة المذكورة تراعى اللهجة المحلية رعاية قوية[١] يتعسر أو يتعذر معها استخدام اللغة الجديدة (عامية مصر أو غيرها) رباطا عاما لكل البلدان الناطقة بالعربية وبهذا يمتد الإشكال، ويخرج من الدوائر اللغوية الضيقة إلى دوائر الثقافة الإسلامية عامة.

وإن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العلمى أساسا لهذه الحقيقة الثابتة، وهى أنها قد قامت فى جميع البلدان العربية وماعداها من الأقاليم الداخلة فى المحيط الإسلامى رمزا لغويا لوحدة عالم الإسلام فى الثقافة والمدنية.

ولقد برهن جبروت التراث العربى التالد الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر.

وإذا صدقت البوادر ولم تخطىء الدلائل فستحتفظ أيضا بهذا المقام العتيد من حيث هى لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية[٢].

ملعوم أن النحو يأتى فى المقدمة من هذه العلوم "إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل

(١) فيما يطلقون عليه: النحو الوصفى أو الدراسة الوصفية. "مقدمة فى علم اللغة العام"، ص٢١٦ - ٢٤٠.

(٢) العربية صـ٢٤١، ٢٤٢ يوهان فك. ت:د/رمضان عبد التواب القاهرة سنة ١٩٨٠.

الإفادة، وكان من حق علم اللغة التقدم لولا أن أكثر الأوضاع باقية فى موضوعاتها لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند إليه فإنه تغير بالجملة ولا يبقى له أثر، فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة إذ فى جهله الإخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك اللغة[١].

ولذلك تنوعت طرائق النظر فى هذا العلم ومناهج التأليف فيه وحظى بالعناية التامة فى كل العصور حتى بلغت المؤلفات فيه حدا يعجز الإنسان عن الإحاطة به رغم وحدة مادته وعدم اختلاف موضوعاته وأبوابه كما هو معروف من أمره ومعلوم، وها هى ذى إطلالة على هذه المناهج والطرق التى سلكها العلماء فى تدوين مباحث هذا العلم وأبوابه.

(١) مقدمة ابن خلدون صـ٥١٥ ط دار الشعب القاهرة صـ سنة ١٩٨٠م.

١ - المنهج الاستقرائى

وواضح أن المراد بهذا العنوان هو المنهج أو الطريق[١] المنسوب الى الاستقراء، ولفظ الاستقراء يدور مجرده: قرأ حول معنى الجمع وضم الشىء إلى مماثله ونظيره ففى لسان العرب: "..... وقرأت الشىء قرآنا: جمعت وضممت بعضه إلى بعض [٢]......وواضح أن لفظ قرأ "معناه فى الأصل: جمع، وهذا لا يختص شيئا دون آخر وإن كان المعنى قد غلب على جمع الصوت ليصير لفظا واللفظ إلى اللفظ ليصير مركبا مفيدا.

وعلى هذا فيكون معنى: استقرأ: طلب القرآن أى طلب جمع الشىء بعضه الى بعض "واستقرأه: طلب إليه أن يقرأ"[٣] وتخصيص اللفظ بالدلالة على أحد معانيه لا ينفى دلالته على بقية معا نية، وفيه معنى المعاودة للفعل مرة بعد أخرى وهذا ما يستلزمه معنى الجمع وإلى هذا يشير الاستعمال اللغوى فى قولهم: "واستقرأ الجمل الناقة إذا تركها لينظر ألقحت أم لا...[٤] فهذا معناه،: لاحظ الجمل الناقة فى فترة لقاحها مرة بعد أخرى ليعاود لقاحها مالم تكن لقحت قبل.

وهذا المعنى اللغوى يدل على الجانب العملى المتمثل فى جمع المادة العلمية للنحو العربى، حيث لم يكن النحو العربى فى بدايته الأولى معنى عقليا مجردا أو معنى قائما فى نفوس الأولين من علمائه قام بعضهم بإلقائة على غيره ثم قام هذا الأخير بتدوينه ليتناقله الناس من بعده، بل كان هناك عمل دائب متمثل فى الاستماع الى رواة الأشعار وما ارتبط بها من أحداث وقعت فى أيام العرب

(١) أنظر لسان العرب مادة: نهج.
(٢) السابق مادة: قرأ: من صـ ٣٥٦٣ - ٣٥٦٦ ط دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٩م.
(٣) السابق. (٤) السابق.

المشهورة حربا وسلما، وواكب هذا ولازمه عمل، فكرى عقلى يرصد هذا المسموع ويديم النظر إليه ويستمر فى ملاحظته ويجمع ما تشابه منه بعضه إلى بعض ويصوغ القانون ويضع القاعدة التى تنتظم جانبا متشابها من هذا المسموع وأدى ذلك إلى معرفة الأبواب أو الموضوعات النحوية.

فإذا نحينا جانبا محاولة تحديد سبب وضع النحو ومن هو أول واضع له[1] أمكن أن نتبين ملامح ومكونات هذا المنهج حيث:

أ- وجود الظاهرة اللغوية متمثلة فى ذلك الجانب الحسى الذى هو الكلام الحى بين الناس فى ذلك الزمان وذلك المكان.

ب- إحساس الأولين بتنوع هذه الظاهرة فى ذاتها: أصوات معينة، ألفاظ متركبة من هذه الأصوات المعينة يعتورها التغيير فى ذاتها بحذف أو زيادة أو قلب حرف إلى آخر أحيانا، وتراكيب مؤلفة من هذه الألفاظ ويرمز كل تغيير إلى معنى مغاير للآخر مع عدم اختلاف اللفظ.

جـ- ضرورة إخضاع هذا التنوع فى هذه الظاهرة إلى الملاحظة الدائمة والنظر المستمر بغية معرفة الرابطة المشتركة بين كل مجموعة أو أفراد نوع مامن هذه التغييرات.

د- استتبع ماتقدم عملية فرز وتصنيف وتحديد لكل صورة من هذه التغييرات سواء على المستوى الصوتى أو اللفظى أو التركيبى.

هـ- أدى ذلك إلى وضع الضوابط العامة التى فى محيطها تتم هذه التغييرات والظروف التى يجب توافرها لتكون هذه التغييرات مطابقة لما تم رصده

(١) انظر فى هذا: نشأ النحو صـ ٩ -٢٦. المرحوم الشيخ/ محمد الطنطاوى القاهرة سنة ١٩٦٩٠.

وتدوينه من هذه التغييرات موثقا توثيقا تاريخيا وهو مايعرف بالشواهد النحوية.

و- اختبار صدق هذه الضوابط العامة ما يندرج تحتها من جزئيات على الواقع اللغوى وبيان مدى درجة التوافق أو التخالف وهو ما عبر عنه بالاطراد أو الشذوذ أو القياس والمخالفة للقياس وهذا مايسميه المحدثون: المنهج الوصفى، وسنبين أولية النحويين العرب فى الأخذ بهذا المنهج.

ونلاحظ أن عملية الملاحظة هذه واستقراء الواقع اللغوى للعربية استمر مدة طويلة من الزمن من زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث روى "أن أحد ولاة عمر رضى الله عنه كتب إليه كتابا لحن فيه فكتب إليه عمر أن قنع كاتبك سوطا"[١] وكلما اشتد اللحن وزاد كلما قويت الحاجة إلى الرجوع إلى الفصيح من كلام العرب والنظر فيه وملاحظة أحواله توصلا إلى ماتم وضعه من قوانين وضوابط وقواعد تم تدوينها فى "الكتاب" واستغرقت هذه العملية قرابة قرنين من الزمان بوفاة سيبويه رحمة الله سنة ١٨٠هـ[٢] أو سنة ١٨٨هـ[٣].

ولهذا جاء النحو العربى كما هو مدون فى صورته الأولى فى "الكتاب" بناء سامقا كاملا لم تنل منه الأيام بل بقى على جدته ورونقه وصمد أمام حملات المغرضين والمشككين على مر الأيام والدهور.

(١) انظر الخصائص (باب فى سبب وضع النحو)، وانظر نشأة النحو صـ٩، ١٠.
(٢) انظر مقدمة الكتاب صـ١٨.
(٣) نشأة النحو صـ٨٦.

مظاهر هذا المنهج فى "الكتاب"

يرى الباحثون المحدثون أن سيبويه رحمه الله قد جمع فى "الكتاب" ماتفرق من أقوال شيوخة السابقين كالخليل بن أحمد والأخفش الأكبر أبى الخطاب وعيسى بن عمر وعبد الله بن أبى إسحاق وغيرهم، ومن الطبعى أن يجىء الكتاب حافلا بآراء هؤلاء ولكن بعبارة سيبويه وجاء الكتاب - كما هو معروف - على ترتيب غير الترتيب المعروف الآن لأبواب النحو وموضوعاته وتبع ذلك ما يلاحظه الباحثون من كثرة عناوين أبواب الكتاب حتى لقد بلغت عشرين وثمانمائة باب مع الطول الملحوظ لكثر من هذه العناوين مع تداخل كثير من هذه الأبواب بعضها فى بعض كما أن "الكتاب" لم يسم باسم معين ولم يضع له سيبويه مقدمة أو خاتمة هذا هو الظاهر.

ويرى بعض العلماء أن للكتاب خطبة فى أوله وان كانت على نسق غير مألوف، لأن المألوف فى خطبة أي كتاب أن يوضح فيها مؤلف الكتاب أو مصنفه غايته من هذا العمل والفائدة التى يرى سوقها الى غيره ممن يقرأ هذا الكتاب وربما أشار الى منهجه وطريقة تناوله لموضوع الكتاب، وهذا ما لاحظه ابن جنى[١] فيقول فى أول "الخاطريات": "حدود"[٢] الكتاب سبعة وثلاثون بعد الخطبة وآخرها (أى آخر هذه الخطبة آخر باب ضرورة الشاعر:

١- الفاعل. ٢- المفعول به.

٣- الجر. ٤- توابع الأسماء فى إعرابها.

٥- المبتدأ. ٦- الحروف الخمسة الداخلة على المبتدأ.

٧- كم. ٨- نعم.

(١)أبو الفتح عثمان بن جنى من مشاهير علماء العربية ت ٣٩٢هـ نشأة النحو ١٧٣.
(٢) موضوعات الكتاب.

٩- النداء — ١٠- النفى.

١١- الاستثناء. — ١٢- علامات المضمرين،

١٣- أى والسؤال عن النكرة بها.

١٤- السؤال بمن فى النكرة والمعرفة.

١٥- ذا الذى بمنزلة الذى.

١٦- ماتلحقه الزيادة فى الاستفهام.

١٧- إعراب الأفعال. — ١٨- إن وأن .

١٩- أم وأو. — ٢٠- ماينصرف وما لا ينصرف.

٢١- النسبة. — ٢٢- باب التثنية والجمع الذى على حدها.

٢٣- إضافة المنقوص إلى الياء التى هى علامة (الضمير)[١] المجرور وإضافة كل اسم آخره ياء اليها.

٢٤- التصغير — ٢٥- القسم واعراب الأسماء فيه.

٢٦- التنوين. — ٢٧- النون الخفيفة والثقيلة.

٢٨- مضاعف الفعل واختلاف العرب فيه.

٢٩- المقصور والممدود. — ٣٠- الهمز.

٣١- العدد. — ٣٢- جمع التكسير.

٣٣- بناء الأفعال والمصادر. — ٣٤- الإمالة.

٣٥- الوقف والابتداء. — ٣٦- الأبنية والتصريف.

٣٧- الإدغام[٢].

---

(١) زيادة والمقصود بها ياء المتكلم.

(٢) الخاطريات ٢٣ - ٢٦ تح: على ذو الفقار شاكر ط١ بيروت سنة ١٩٨٧.

نلاحظ هنا أمرين:-

الأول: اعتبار متقدمى النحاة ماذكره سيبويه قبل "باب الفاعل" خطبة وتمهيدا لما سيأتى فى الكتاب.

الثانى: اختلاف التسمية لبعض الأبواب النحوية وعدم ذكر بعض الأبواب كالتعجب لدخوله فى باب نعم وفى باب الفاعل وهذا على سبيل المثال.

ومن المهم إبراز صنيع سيبويه رحمه الله فيما اعتبره ابن جنى خطبة للكتاب نظرا لأنه يحوى قواعد عامة أو أمورا عامة كانت وليدة هذا المنهج الاستقرائى القائم على الملاحظة واختبار نتائج هذه الملاحظة حيث نرى:

أولا: يذكر إمام النحاة سيبويه أولى هذه النتائج التى تم اختبار صدقها على ألفاظ أو بنية العربية وهى وجود أقسام ثلاثة لبنية العربية من حيث الدلالة وهى: مايدل على الزمان وما يدل على المسميات وما لايدل على واحد من هذين ولكن يربط بين أجزاء الكلام على وجه ما فنراه يذكر فى مقدمة الكتاب ومفتتحه حيث يقول: "هذا باب علم ما الكلم من العربية"

فالكلم "اسم وفعل" وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل.

فالاسم: رجل وفرس وحائط.

وأما الفعل: فأمثلة (أبنية، أوزان، صيغ)[١] أخذت من لفظ أحداث الأسماء[٢] وبنيت[٣] لما مضى ولما يكون ولم يقع[٤] وماهو كائن لم ينقطع[٥].

---

(١) زيادة الايضاح.

(٢) يقصد المصادر لدلالتها على الحدث المجرد لفظا والتزاما على الفاعل لأنه لا حدث بدون محدث.

(٣) صيغت أى لفظ بها على هيئة معينة من الحركات والسكنات فالماضى: فَعِلَ.

(٤) الأمر لدلالة على الاستقبال المحض.

(٥) المضارع لدلالته على الحال وقت الاخبار به وما يستقبل بعد ذلك.

فأما بناء (وزن) ما مضى فذهب وسمع ومَكُث وحَمِد، وأما بناء (وزن) ما لم يقع فإنه قولك آمرا[١]: اذهب واقتل واضرب، ومخبرا[٢] يقتل ويذهب ويُضْرَب ويُقْتَل وكذلك بناء مالم ينقطع وهو كائن اذا أخبرت.

فهذه الأمثلة التى أخذت من لفظ أحداث الأسماء ولها أبنية كثيرة ستبين إن شاء الله والأحداث نحو: الضرب والحمد والقتل.

وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو: ثم، وسوف وواو القسم ولام الإضافة (الجر)ونحوها[٣].

مما سبق نرى:

أ- أن هذه الأحكام العامة أو هذه الأقسام الثلاثة لدلالة اللفظ أو البنية العربية إنما كان وليد استقراء الجانب الدلالى للفظ العربى.

ب- أن سوق أمثلة لكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة إنما قصد به تعريف الدارس هذه الأنواع أو الأقسام توطئة لذكر وظيفة كل منها فى تأليف العبارة المفيدة فى العربية وفق القواعد التى سيذكرها وهى القواعد المتعلقة بتركيب الجملة العربية وطرق تأليف هذه الجملة وما يجوز فيها وما لا يجوز.

جـ- أن هذا الصنيع من سيبويه رحمه الله يعد الأساس للترتيب الذى استقر عليه ترتيب الموضوعات النحوية فى المؤلفات النحوية خاصة عند المتأخرين وأبرزهم ابن مالك رحمه الله على هو معروف للباحثين والدارسين.

---

(١)أى طالبا انشاء أو ايجاد الحدث.
(٢) أى فلان فى حال يقع منه هذا الحدث أو يقع على المبنى للمجهول).
(٣) الكتاب ١/١٢.

ثانياً: ومن النتائج الكلية التى توصل اليها النحاة عن طريق ذلك المنهج الاستقرائى هو نطق العرب الألفاظ فى حال تأليفها جملة أو عبارة يصفون بها ما تقع عليه أبصارهم أو يخبرون بها عما في نفوسهم، ينطقون هذه الألفاظ فى هذه الحال على هيئة لفظية تتعدد صورها بتعدد المعانى التى تدل عليها هذه الألفاظ فى مختلف التراكيب والعبارات وكأن هذه الاختلافات سبيل إلى الدلالة على تعدد هذه المعانى التركيبية وسمى النحاة هذا العمل باسم (الإعراب) وسموا هذه العلامات الصوتية – وما ينوب عنها – فى حال ظهورها: علامات الإعراب ولا حظوا تتميما لهذه الظاهرة أن هناك من الألفاظ مالا يمكن أن تظهر فيه أو على آخره هذه العلامات الصوتية التى هى زائدة على اللفظ أو خارجة عن بنية الكلمة العربية فقدروا وجودها اعتبارا بما تظهر فيه من الألفاظ ولأن هذا أمر عام فى هذه اللغة فقد لاحظوا أيضا أن هناك من الألفاظ مالا يتغير آخره حتى ولو تعددت مواقعه ودلالته من فاعلية أو مفعولية وسموا ذلك: البناء ولذلك لم يكن غريبا أن يُثَنِّى سيبويه فى (الكتاب) بذكر هذه النتيجة الكلية لتكون أمام الدارس للتراكيب العربية فتراه يقول:

(هذا باب مجارى أواخر الكلم من العربية)

وهى تجرى على ثمانية مجار: (أى أحوال بحسب ماهى مؤتلفة معه)[1] على النصب والجر والرفع والجزم والفتح والضم والكسر والوقف.

(١) قال واضع معجم لسان العرب فى بيان ذلك: غرض صاحب الكتاب فى قوله مجارى أواخر الكلم أى أحوال أواخر الكلم وأحكامها والصور التي تتشكل لها فاذا كانت أحوالاً وأحكاما فسكون الساكن حال له كما أن حركة المتحرك حال له أيضا..."مادة: جرا، وما بين القوسين زيادة للايضاح.

وهذه المجارى الثمانية يجمعهن فى اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح فى اللفظ ضرب واحد.والجر والكسر فيه واحد، وكذلك الرفع والضم والجزم والوقف.

وإنما ذكرت لك ثمانية مجر لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل - وليس شىء منها إلا وهو يزول عنه[١] وبين ما يبنى عليه الحرف[٢] بناء لايزول عنه لغير شىء أحدث ذلك فيه من العوامل التى لكل عامل منها "ضرب" من اللفظ فى الحرف[٣]......

ثم يذكر سيبويه بإيجاز ممثلا لما هو معرب بالرفع والجر والجزم والنصب وما يكون فيه واحد من هذه الأربعة تمييزا له عن غيره، ويذكر أمثلة لصور البناء على هذه الأربعة، وما ينوب عنها فى حال الإعراب وهكذا.

وما من شك فى أن هذا عمل وليد ملاحظة مستمرة تميزت باستقراء وتتبع حال اللفظ العربى حال كونه مؤتلفا مع غيره، وعلى أساس "العامل النحوى" تأثر اللفظ بآخر حال التركيب الدال على معنى مفيد وفق نظام اللغة.

ثالثا: وبعد تعريف الدارس أو القارىء هذه الأمور المشار إليها سالفا نرى الانتقال إلى الإشارة بإيجاز إلى نظام الجملة فى اللغة العربية، وأن هذا

(١) إشارة إلى سبب الاختلاف وأنه بسبب علاقة اللفظ بغيره كما نرى فى يضرب خالد محمدا والعكس: يضرب محمد خالدا، وفى النفى لم يضرب ... ينظر خالد الى محمد والعكس وهكذا....

(٢) يقصد ما يصاغ عليه اللفظ من لزوم حال واحدة نحو: أحب من يجتهد، من يجتهد ينجح، رأيت من اجتهد، انظر إلى من يجتهد كيف يقدره الناس!!

(٣) يقصد ما يكون سببا للرفع كما رفع الفاعل أو النصب ما يتقدم اللفظ المرفوع أو المنصوب وهذه العوامل المقصود بها هذه العلاقات التى تنشأ بين الألفاظ عند تأليف العبارة وما يترتب على صور هذه العلاقات المتعددة من تعدد اللفظ بالرفع أوالنصب أو الجر أو الجزم فى الحرف أى الكلمة آخرها وهذا الحرف الأخير هو موضع الاعراب.

النظام فى تأليف الجملة العربية وتركيبها يرتكز على إيجاد العلاقة بين مفردات هذه الجملة أى عملية إسناد مفرد إلى آخر أو أكثر على ما هو معروف من حال الجمل العربية ولذلك نراه فى هذه الخطبة على ماذكر ابن جنى يقول: هذا باب المسند والمسند إليه.

وهما مالا يغنى واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه وهو قولك عبد الله أخوك[١].

ومثل ذلك: يذهب عبد الله فلابد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر فى الابتداء..."[٢].

ولاريب أن إشارة سيبويه هذه تعنى أنه فى العربية ليس سوى صورتين تتألف منها الجملة: اسم مع آخر أو مايقوم مقامه وهذه هى الجملة الاسمية. وفعل مع اسم وقد بدىء بالفعل وهذه هى الجملة الفعلية، وهذا لاشك عمل ناتج من استقراء لأحوال اللفظ العربى حال تركيبه لإفادة معنى ما، وقد أفرد سيبويه بعد فى "الكتاب" أبوابا لمعالجة قضايا كل من بابى الفاعل والابتداء[٣].

رابعا: أدى الاستقراء لأساليب الكلام فى العربية إلى ملاحظة اطراد نتيجة كلية هى أنه لابد للمتكلم من معرفة معانى أو دلالات الألفاظ المفردة ليتمكن من إقامة علاقات الإسناد بين هذه الألفاظ لتحقق الدلالة التامة التى يحسن السكوت عليها من جانب السامع أو المخاطب وهذا يستلزم أن

---

(١) هذه هى الجملة الأسمية.
(٢) هذه هى الجملة الفعلية، وانظر الكتاب ٢٣/١.
(٣) انظر الكتاب ٢٣/١ - ٤٣، ٣٢٨/١ - ٣٣٤، ١٤١/١، ٢٨٩، ٢/ ١٣٠، ١٨٢، ٣٤٢.

تكون تلك الألفاظ من اللغة التى يستخدمها كل من المتكلم والمخاطب ولذلك نرى سيبويه فى هذه المقدمة للكتاب يقول:

"هذا باب اللفظ للمعانى"

اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعتيين وسترى ذلك إن شاء الله تعالى.

أ- فاختلاف اللفظين لاختلاف المعننيين هو نحو: جلس وذهب[١].

ب- واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق[٢].

جـ- واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من المَوْجِدَة، ووجدت اذا أردت وِجْدَان الضالة[٣] وأشباه هذا كثير[٤].

ومنهج الاستقراء فيما مضى أمر واضح "حيث نرى سَبْر ظاهرة التراكيب اللغوية واختبارها وتقسيم الأصناف المؤلفة لهذه الظاهرة تقسيما جامعا مانعا حيث لا يوجد قسم رابع لهذه الأقسام الثلاثة.

خامسا: الكلام هو السلوك العملى للتعبير عما يراد العبارة أو الحديث عنه أو الإخبار به وهذا أمر يختلف فى أدائه الناس بعض الاختلاف وهذا يعنى أن تتعرض بعض الألفاظ لبعض التغييرات التى لاتخضع لقاعدة تصريفية

(١) يشير بذلك الى أن لكل معنى يراد العبارة عنه ألفاظ متغايرة لاختلاف هذه المعانى.
(٢) يشير بذلك الى ظاهرة تنوع الألفاظ واختلاف أصواتها مع اتحادها فى الدلالة وهو مايعبر عنه العلماء بالترادف.
(٣) يشير الى ظاهرة الألفاظ التى يشترك أكثر من معنى فى دلالتها عليه وهو مايعبر عنه بالمشترك والسياق أو بقية ألفاظ الجملة هو الذى يعين المعنى فقولنا: وجدت عليه أى حزنت ووجدت الكتاب معنى آخر.
(٤) انظر الكتاب ١/٢٤.

وربما خولف فى بعض الألفاظ أو الأساليب ماكان ينبغى أن يكون وإلى هذا أشار سيبويه فى خطبة الكتاب بقوله:

"هذا ما يكون فى اللفظ من الأعراض"

اعلم أنهم مما[١] يحذفون الكلم، وإن كان أصله فى الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون ويستغنون بالشىء عن الشىء الذى أصله فى كلام حتى يصير (الشىء المستغنى عنه) ساقطا وسترى ذلك إن شاء الله.

فمما حذف وأصله فى الكلام غير ذلك. لم يك ولا أدر وأشباه ذلك.

وأما استغناؤ هم بالشىء عن الشىء فانهم يقولون: يدع ولا يقولون ودع، واستغنوا عنها بترك وأشباه ذلك كثير.

والعوض قولهم: زنادقة وزنادق، وفرازنة، وفرازين، حذفوا الياء وعوضوا الهاء.

وقولهم أسطاع يسطيع واهراقى: أطاع يطيع، زادوا السين عوضا من ذهاب حركة العين من أفعل. وقولهم: اللهم، حذفوا "يا" وألحقوا الميم عوضا"[٢].

ومما تقدم نرى سيبويه يشير الى ظواهر لغوية غير قياسية أى لاقانون لها كأنه ينبه بذلك إلى أن اللغة ليست خاضعة خضوعا تاما للقواعد العامة فيها وهذا أمر يرجع إلى كونها فى حال التلفظ بها سلوك وعمل وهذا أمر لا يكون حتما متماثلا تماثلا تاما بين أفراد البيئة اللغوية الواحدة.

(١) أسلوب عربى قديم أصله: ربما يحذفون فحذف رب عوض عنها من الجارة ثم ادغمت فى ما. هـ الكتاب ١/٣.
(٢) الكتاب ١/٢٤، ٢٥.

سادسا: ومن النتائج العامة الكلية التى توصل اليها النحاة القدامى عن طريق منهج الاستقراء أنهم لاحظوا أن العبارة بعد سلامة مفرداتها أي كونها جارية على نسق الألفاظ العربية وهذا يؤدى بالضرورة أن تكون دالة على معنى معروف لطرفى التخاطب: المتكلم والسامع لابد أن لا يكون هناك تناقض فى المعانى الدالة عليها هذه المفردات فى العبارة أي أنه لابد من الاتساق الدلالى بين أركان الجملة وهذا يجعلها موضوعا صالحا للدراسة، لأن الكلام الذى لامعنى له أو الذى ينقض آخره أوله لاقيمة ولافائدة منه، ولذا نرى سيبويه فى مقدمة الكتاب يعقد بابا للتنبيه إلى هذه الحقيقة فيقول:

"هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة"

فمنه (أى الكلام) مستقيم حسن، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح وماهو محال كذب.

١- فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس،وسآتيك غدا.

٢- أما المحال: فأن تنقض أول كلامك بآخره؛ فتقول: أتيتك غدا، سآتيك أمس.

٣- وأما المستقيم المذب[1] فقولك: حملت الجبل، وشربت كماء البحر، ونحوه.

٤- وأما المستقيم القبيح[2] فأن تضع اللفظ فى غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت وكى زيد يأتيك[3]، وأشباه هذا.

٥- وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[4].

---

(١) الذى لا يستقيم مع الواقع، لكن إن قصد به المجاز فى سياق تعبيرى يجعله مقبولا فان الاستقامة والصدق يتحققان فيه كما لوقال محزون:.... وحملت الجبل هما خوف هذا الأمر

(٢) لمخالفته نظام الجملة عند تأليفها.

(٣) فى النص المحقق: كى زيدا يأتيك بنصب زيدا وهو خطأ طباعى كما هو ظاهر.

(٤) الكتاب ١/ ٢٥، ٢٦.

ومما سبق ندرك أن استقراء تراكيب اللغة أدى إلى تصنيف هذه التراكيب من ناحية وظيفتها الدلالية ووفائها بأداء المعنى المطلوب بما يعكس سلامة الأداء من جانب المتكلم والفهم وإدراك المراد من قبل السامع أو المخاطب.

سابعا: رصد النحاة من خلال استقرائهم طرائق التعبير فى اللغة العربية أن الكلام المرسل (المنثور) يخضع لقيود النظام اللغوى العام من لزوم تأخير بعض أجزاء الجملة وإن كان حقها التقديم لكن قانون اللغة فى هذه الجزئية يحتم على المتكلم تقديم ما حقه التأخير والعكس كما فى خبر المبتدأ اذا كان اسم استفهام كقولنا: أين خالد؟ فإنه لا يجوز: خالد أين؟ وغير ذلك على ماهو معروف للدارسين، كما لا يجوز مثلا فى الكلام المنثور أن يلفظ المتكلم بتمكين الاسم فى حال معين كما فى نحو: ابراهيم فلا يجوز له أي المتحدث: جاء إبراهيم "وكلمت إبراهيما وسلمت على إبراهيمٍ فهذا مما يستهجن فيه ولا يجد قبولا لدى أفراد المتحدين بالعربية لكن هناك لون آخر من التعبير يقوم على أوزان لا يجوز كسر أو خرق عنصر التناغم أو التوافق بينها وهو التعبير الشعرى أي الشعر فهذا التعبير لكى نحافظ على نغمة وزنه المثير لطرب السامع فإن الأمر يتطلب التحلل من بعض القيود التى يتقيد بها المتحدث فى العبارة المرسلة وهذا ما قدم له سيبويه فى المقدمة وأشار إليه ليكون الباحث أو الدارس على بينة من أمر التفرقة بين منثور الكلام ومنظومه فنراه يقول: "هذا باب ما يحتمل الشعر".

اعلم أنه يجوز فى الشعر مالا يجوز فى الكلام من صرف مالا يصرف يشبهونه بما ينصرف من الأسماء، لأنها أسماء كما أنها (أى المنصرفة)[١] أسماء، وحذف مالا يحذف يشبهونه بما قد حذف واستعمل محذوفا كما قال العجاج.

قواطنا مكة من وُرْقِ الحَمَى

(١) ما بين القوسين زيادة الايضاح.

يريد الحمام. وقال خُفَافُ بن نُدْبَةَ السلمى:

كنواح ريش حمـامـة نجديـة ومسحت باللثتين عصف الأثمد

(يريد كنواحيَ جمع ناحية)..........

ويحتملون قبح الكلام (مخالفة للقياس وما عليه نظام الاستعمال)

حتى يضعوه فى غير موضعه لأنه مستقيم ليس فيه نقض[١] فمن ذلك قوله:

صددتِ فَأطولْتَ الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

وانما الكلام: وقل ما يدومُ وصال.......

وليس شيء يضطرون إليه الا وهم يحاولون به وجها. ومايجوز فى الشعر اكثر من أذكره لك هاهنا، لأن هذا موضع جمل وسنبين ذلك فيما نستقبل ان شاء الله"[٢].

ومن البديهى اذن أن نقول: إن التفرقة بين هذين المستويين أو النمطين من التعبير: الشعر والنثر فى درجة خضوعهما للعرف أو الطبع - إن جاز هذا اللفظ - اللغوى العام أمر لم يتبين إلا بعد استقراء واسع لرصد جزئيات ومفردات هذه الظاهرة فى الشعر وهو ما تعارف عليه النحويون باسم: ضرورة أو ضرورات الشعر، ثم المقارنة بين درجة ذيوع هذه المخالفات بين هذين المستويين من التعبير ليصدر الحكم أو يتم تقرير النتيجة بعد ذلك وهى أنه يجوز فى الشعر مالا يجوز فى غيره من الكلام المنثور.

(١) تناقض كما سبق وأشار اليه:انظر ما مضى فى سادسا.
(٢) انظر الكتاب ١/٢٦، ٢٧٦ - ٣٢، وانظر تفصيل هذا: سيبويه والضرورة الشعرية د/ ابراهيم حسن القاهرة سنة ١٩٨٣م.

ثامنا: وحينما دون سيبويه كتابه "الكتاب" نظر الى الواقع، الى صور الحياة نفسها، إلى المتحدثين أنفسهم يصف أساليبهم ويدونها إضافة إلى مانقله عن شيوخه وهذا أكثر من أن يحصى فى "الكتاب" فمن ذلك مانراه فى حديثه عن "كان التامة" قال: "فما جاء على وقع قوله وهو مَقَّاس العائذى:

فدى لبنى ذُهْل بن شيبان ناقتى إذا كان يوم ذو كواكب أشهب

أى إذا وقع، وقال الآخر عمرو بن شأس:

بنى أسد هل تعلمون بلاءنــا إذا كان يوما ذا كواكب أشنعـا

أضمر لعلم المخاطب بما يعنى وهو اليوم (أى إذا كان اليوم يوما ذا.......)[1].

وسمعت بعض العرب يقول: أشنعا ويرفع ما قبله كأنه قال: اذا وقع يوم ذو كواكب أشنعا"[2].

ومثل ذلك: "وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به: اجتمعت أهل اليمامة، لأنه يقول فى كلامه: "اجتمعت اليمامة يعنى أهل اليمامة....." فاكتسب المضاف "أهل "التأنيث من المضاف إليه "اليمامة" فلذلك لحقت تاء التأنيث الساكنة آخر الفعل الماضى اجتمعت، وعلى ذلك صيغت القاعدة النحوية: أن المضاف قد يكتسب معنى التأنيث من المضاف إليه فيؤنث الفعل لذلك اذا كان على هذا المثال فلا يجوز مَنْ ضَرَبَتْ عبدُ أمِّك.....[3].

وفى حذف بعض أجزاء العبارة لدلالة بقية العبارة عليه تراه يقول: "وقال

(١) زيادة للايضاح.
(٢) فيكون: اشنعا منصوب على الحال من النكرة (يوم) الموصوفة وانظر الكتاب ٤٧/١.
(٣) انظر الكتاب ٥٣/١.

النمر بن تولب:

فيوم علينـا ويوم لنـا ويوم نُسَاءُ ويوم نُسَرُّ

سمعناه من العرب ينشدونه، يريدون: نساء فيه ونُسَرُّ فيه.."[١].

وفى إعمال صيغ المبالغة يقول: "وسمعنا من يقول: أما العسلَ فأنا شرّاب"[٢].

وهذا أى نقل المسموع على صفته أكثر من أن يحصى سواء رواه من سماعه هو أومن سماع غيره وهذا يعنى أنه يصف لغة مستعملة حية على الألسنة فى عصره وهو يدون ذلك أساليب وتراكيب ومفردات (صيغ وأبنية) وأصوات تتألف منها هذه الأبنية واعتبر هذا السماع الأصل الأول للنحو العربى وإن تعددت مصادر هذا السماع[٣] وهو لاشك عمل وصفى خاضع للحس كما تبين لنا فيما سبق، كما أن هذا المنهج - فى جانب منه - قد ربط بين حاضر اللغة على ألسنة المتحدثين بها وبين ماضى هذه اللغة وذلك برد الحاضر الى الماضى موافقة له فيكون الماضى شاهدا على صدق وصحة الحاضر وهو مايعرف عند النحاة بالشاهد النحوى باختلاف قائليه وتعدد مظاهره بتعدد المعانى التى عبر عنها بهذا المسموع"[٤].

تاسعا: قاد هذا المنهج العملى القائم على الملاحظة وتقصى مفردات الواقع الذى توجد فيه هذه الملاحظة إلى اكتشاف قدامى النحاة أن العربية قد اقترضت من مفردات اللغات الأخرى ولم تقتبس العربية تراكيب أو أساليب تمثل التعبير عن فكرة ما من لغة أخرى غيرها وانما اقتصر ذلك على جانب

---

(١) ٨٦/١.

(٢) السابق ١١/١. (٣) انظر الاقتراح ص٤٨ - ٨٧.

(٤) انظر فى هذا : الاحتجاج بالشعر (بتصرف).

المفردات وإخضاع هذه المفردات لطريقة صوغ الأبنية العربية حينا وتركها بعد جعل أصواتها المؤلفة منها عربية خالصة حينا آخر وهو ماتناوله بالدراسة علماء العربية تحت عنوان: التعريب أو المعرب، ولم يفت ذلك سيبويه ولم يقتصر على ماسقط إلى العربية من الفارسية دون غيرها ولكنه لم يعين غير الفارسية فى اطراد الإبدال لأنّها هى التى كان يعرفها سيبويه وربما يضاف إلى ذلك كثرة استعمال هذه المفردات الفارسية على الألسنة حتى خفت وأضحت مألوفة فى الحياة اليومية عكس غيرها من اللغات الأخرى القديمة كالسريانية والآرامية وغيرها وفى الكتاب:

«وهذا باب ماأعرب من الأعجمية».

اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ماليس من حروفهم البتة فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه.

فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدرهم ألحقوه ببناء هجرع ويهرج ألحقوه (ببناء) سلهب ودينار ألحقوه بديماس وديباج ألحقوه كذلك، وقالوا إسحاق فألحقوه بإعصار ويعقوب ألحقوه بيربوع وجورب ألحقوه بفوعل، وقالوا: آجور فألحقوه بعاقول وقالوا: شبارق فألحقوه بعذافر، ورستاق فألحقوه بقرطاس لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم كما يلحقون الحروف بالحروف العربية.

وربما غيروا حاله عن حاله فى الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية فأبدلوا مكان الحرف الذى هو للعرب عربيا غيره وغيروا الحركة وأبدلوا مكان الزيادة ولا يبلغون به بناء كلامهم لأنه أعجمى الأصل فلا تبلغ قوته عندهم الى أن يبلغ بناءهم وإنما دعاهم إلى ذلك أن الأعجمية

يغيرها دخولها العربية بإبدال حروفها، فحملهم هذا التغيير على أن أبدلوا وغيروا الحركة كما يغيرون فى الإضافة اذا قالوا: هَنِى نحو زبانى وثقفى.

وربما حذفوا كما يحذفون فى الإضافة.......

هذا باب اطراد الإبدال فى الفارسية

يبدلون من الحرف الذى بين الكاف والجيم: الجيم لقربها منها، ولم يكن من إبدالها بد لأنها (الحرف الذى بين الكاف والجيم) ليست من حروفهم، وذلك نحو: الجربز[١] والآجر والجورب.

وربما أبدلوا القاف لأنها قريبة أيضا قال بعضهم: قربز وقالوا: كُربق وقربق......."[٢].

ولسنا هنا فى مجال دراسة هذه الظاهرة وتفصيل القول فيها إنما الغرض يتعلق ببيان نتائج هذا المنهج الاستقرائى، وهذا الذى ذكره سيبويه من المقارنة بين بعض المفردات غير العربية وبين العربية وحال هذه المفردات بعد استعمال العرب لها إنما يشير الى أنه لو تعلق غرض أوأمر يتعلق بفهم غير العربية وإيضاح نصوصها لمضى النحاة أكثر من هذا فى هذه المقارنة، وإذن فعدم وجود المنهج المقارن لدراسة اللغات فى التراث العربى لايعنى عدم معرفة النحاة به فقد أشار إليه كما ذكرنا ولكن العرب فى ذلك الوقت لم يكونوا معنيين بدراسة لغات الأمم المجاورة لهم، لأن هذه الأمم كانت تدخل الإسلام ويريدون من تلقاء أنفسهم معرفة العربية ودراستها ولم يكن العرب بحاجة إلى اخضاع هذه الأمم عن طريق معرفة لغاتهم

(١) الحانوت ففيه أربعة أوجه كما ذكر.
(٢) انظر الكتاب ٣٠٣٣/٤ - ٣٠٧.

ودراسة ثقافاتهم ومحاولة تغييرها بصورة مقصودة وشاملة كما صنع الغرب فى عصور الاستعمار"[١].

عاشرا: لما كان الكلام عمل حسى يقوم بأدائه المتكلم ويسمعه السامع وفقا للوظائف الطبيعية للأعضاء التى تقوم بهذه العملية: الكلام والاستماع بصورة متبادلة فإن الهيئة أو الصورة أو الطريقة التى تؤدى بها العبارات ربما يصاحبها مظهر مساعد فى أداء اللفظ ولهذا سجل النحاة بعض الملامح اللفظية الصوتية التى يتميز بها بعض المتحدثين عن بعضهم الآخر مثل الإمالة وتحقيق الهمزة وتخفيفها وكيفية الوقف على آخر اللفظ عند انتهاء الجملة والفك والإدغام عند بعض العرب على النحو المفصل فى كتب النحو، ومعنى ذلك أن الاستقراء أو الملاحظة المستمرة ورصد هذه الاختلافات قد شمل بيئة واسعة وخلقا كثيرا من البشر يستعملون هذه اللغة الواحدة فى مخاطباتهم ومحاوراتهم والعبارة بها عن مكنونات نفوسهم ولذا فقد ختم سيبويه كتابه بالحديث عن عدد الحروف العربية ومخارجها وصفاتها.

(١) انظر فى هذا: قصة الأنثروبولوجيا ص٦٣.

منهج الاستقراء ومناهج البحث الغربية

لاريب أن الحاجة هى أم الاختراع وحاجة كل أمة - خاصة فى العلوم الإنسانية - تختلف فى ظروفها وسياقها التاريخى عن حاجة غيرها من الأمم، كما أن كل لغة لها طبيعتها المميزة لها عن غيرها فى الأصوات (الحروف) والألفاظ وطريقة تركيب العبارة وتأليف الجملة وإن كانت كل اللغات تخضع للنظام إلى حد ما باعتبارها سلوكا بشريا يخضع لما يرتضيه المجتمع من أعراف دينية أو تقاليد اجتماعية، ولسنا هنا بصدد دراسة تاريخية لهذه المناهج والمصطلحات المستعملة فى متاهج البحث تلك وإنما الغرض هنا الإشارة بإيجاز الى تلك المناهج وخصائصها على ما يلى:

١- المنهج التاريخى المقارن:

دعت الحاجة دول أوربا الى دراسة لغات المجتمعات التى سيطروا عليها بعد عصر الاكتشافات الجغرافية واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فدرسوا لغات الهند والصين وغيرها ومنذ القرن الثانى عشر الميلادى وعيون الغرب المسيحى فى أوربا على المشرق العربى تريد احتلاله واستعماره لأسباب دينية واقتصادية ونفسية تتمثل فى رد الاعتبار بعد تفكك كثير من الامبراطوريات الأوربية على يد الأتراك العثمانيين، ومن هنا بدأ الاهتمام بدراسة العربية منذ القرن السادس عشر فى أوربا خاصة فى هولندا وفرنسا وإيطاليا وانجلترا وألمانيا وتخصص كثير من الباحثين فى دراسة تاريخ وعادات وتقاليد وديانات الشرق خاصة الاسلام واللغة العربية فيما عرف تاريخيا بالاستشراق، ومن أبرز الكتب التى تمثل هذا المنهج فى دراسة العربية كتاب "التطور النحوى" للمستشرق الألمانى: «برجشتراسر» وفيه درس العربية دراسة مقارنة مع غيرها من اللغات

المتصلة بها أو المشابهة لها من اللغات السامية القديمة والحبشية وقد قارن المؤلف بين العربية وهذه اللغات من ناحية الأصوات وطريقة تركيب العبارة (التراكيب) وبعض الألفاظ المتشابهة بين هذه اللغات.

ولما كان النحاة العرب والمتحدثون بالعربية عامة فى غير حاجة الى معرفة هذه اللغات لعدم فائدتها العلمية لهم في فهم نصوص القرآن الكريم الذى هو المصدر الأول للتشريع الإسلامى فلم يهتموا بمثل هذه الدراسة التاريخية المقارنة إلا فى إطار ما عرف بالألفاظ المعربة فى القرآن الكريم"[١].

المنهج الوصفى: (النحو الوصفى):

لم يعد المنهج التاريخى لدراسة اللغة ذا فائدة ظاهرة فى الدراسات اللغوية فى الغرب لأن الباحث وإن كان يحدد أبجدية تلك اللغات القديمة الا أنه لا يستطيع وصف طريقة نطق هذه الأصوات لعدم وجود أحد من المتحدثين بها فضلا عن قلة النصوص والاحتمال الواسع للخطأ فى فهم هذه النصوص، وأيضا فان تطور اللغات الأوربية وعدم ثباتها صوتا وتركيبا ودلالة قد جعل هذه الدراسة غير مجدية لأن القواعد التى توضع فى ظل الدراسة التاريخية سرعان ماتنتهى الحاجة اليها نظرا للتغيير الذى طرأ على اللغة، ولما كان العصر يتسم بسيادة العلم التجريبى القائم على المشاهدة والملاحظة واختبار صدق هذه الملاحظة وصولا إلى النتيجة العامة أو النظرية العامة فإن علماء اللغة فى الغرب رأوا أنه من الأجدى أن يتم دراسة اللغة درسا وصفيا آنيا بمعنى أن تدرس لغة معينة فى زمان معين فى بيئة معينة لغرض الدراسة نفسها لا لغرض تعليمى أو لغرض تفسير نصوص هذه اللغة بل تكون تلك الدراسة لغرض الدراسة ذاتها ومن هنا فالنحو

(١) انظر فى هذه الألفاظ وآراء العلماء فيها البرهان فى علوم القرآن للزركشى ص ٢٨٨، ٢٨٩ والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١/ ١٤٠، ١٤١.

الوصفى بناء على ذلك هو ذلك العلم الذى يدرس ويصف المكونات المؤثرة فى نظم ومعنى الجملة فى اللغة المنطوقة فى زمان معين لا لشىء الا لغرض دراسة هذه اللغة من حيث هى لغة، ويقوم هذا المنهج على أساس رد مكونات الجملة الى أصغر وحدة فيها ودراسة وظيفة هذه الوحدة ومعرفة علاقتها بغيرها من الوحدات فى الجملة وهكذا حتى ينتهى الأمر بالوصول إلى تحديد وظيفة كل وحدة فى التركيب وبعدها يتم تقرير المعنى المدلول عليه بهذه الجملة أو تلك فهو نحو وظيفى أو صورى وذلك تبعا لما يطلقون عليه: الفونيم والمورفيم[١].

فمثلا كلمة: ضاربَ محمد خالدا، نجد أن الألف فى الفعل ضرب قد أدت وظيفة معينة فى الدلالة على المشاركة وهكذا فالأمر بحاجة الى بيان دور النحاة العرب فى (بلورة) هذه النظريات وتلك المذاهب خاصة إذا عرفنا أن نحاة أوربا أو علماء اللغة فيها يتوفرون على دراسة العربية منذ أربعة قرون وسيتم ذلك إن شاء الله قريبا.

وربما يطلق على هذا المذهب: النحو البنيوى أو البنيوية وذلك لتركيزهم على دراسة بنية الصوت أولا ثم دراسة بنية الكلمة ثانيا وثالثا دراسة بنية الجملة.

وقد أثر هذا المذهب فى دراسات النحو العربى فى العصر الحديث فافتتن الباحثون اللغويون العرب خاصة المتخصصين فى دراسة علم النحو بهذا المذهب وكالوا الاتهامات للنحو العربى بالقصور عن الوفاء بحاجات الدراس للغة كى يفهم الأساليب اللغوية ويدرك ما وراءها من دلالات ومعان؛ لأن منهج البحث فى النحو العربى لم يتم على دراسة الأصوات أولا ثم دراسة اللقط وبعده الجملة كما فى المنهج الوصفى الغربى.

(١) أنظر: اللغة فتدريس ص ١٠٤ - ١٢٤.

وركز هؤلاء فى نقدهم للنحو العربى على:

أ- أنه غير وصفى نظرا لتحديد النحاة زمانا معينا للاستشهاد يمتد من العصر الجاهلى حتى نهاية العصر الأموى، وبناء على ذلك فإن القواعد التى صاغها النحاة لا تمثل اللغة العربية تمثيلا صادقا، لأنه قد أصابها بعض التطور فى عصر سيبويه ومن جاء بعده.

ب- ويتصل بما سبق تحديد النحاة قبائل معينة للاستشهاد بكلامها دون غيرها وهم القبائل التى لم تختلط بغيرها من العناصر غير العربية كالفرس والروم والأحباش ولذلك فالنحو العربى يضع قواعد لما ينبغى أن تكون عليه تراكيب الجمل وليس قواعد اللغة المنطوقة بالفعل حين وضع هذا العلم"[١].

جـ- أن النحاة العرب كانوا يستشهدون على صحة قواعد النحو بالأساليب اللغوية الراقية النموذجية خاصة الشعر الجاهلى ولهذا فهو أي النحو العربى لم يضع قواعد اللغة اليومية للأفراد.

د- أنه أى النحو العربى بناء على ماتقدم - يضع القواعد أولا ثم على المتحدثين أن يراعوا هذه القواعد. هذه هى أهم المآخذ على النحو العربى من وجهة نظر الباحثين الذين خلب لبهم هذا المنهج[٢].

ولما كان المقام ليس مقام تفصيل القول فى أصول وخطوات البحث فى هذا المنهج فاننا نورد ما يفند هذا الذى زعموه فيما يلى بإيجاز أيضا.

(١) انظر فى هذه المذاهب أو المناهج: هـ علم اللغة مقدمة للقارىء العربى صـ ٢٠٥ - ٢٥٦ د/محمود العران سنة ١٩٦٢م.

(٢) انظر: النحو العربى والدرس الحديث د/عبده الراجحى. الأسكندرية سنة ١٩٨٨م صـ٤٨ - ٦٠ والاصول د/ تمام حسان ص٤٩ - ١١١ ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٣م.

أولا: لم يلتزم النحاة فى الواقع بالتحديد الزمنى أو المكانى نظرا لطبيعة منهج الاستقراء والدليل على ذلك شمول الدراسة لأساليب اللغة مدة قرنين من الزمان يبنى فيها اللاحق فى نفس بناء السابق فالعمل متصل فى حقبة زمنية ممتدة لنفس اللغة وهذا دليل قول سيبويه والفراء فى كتابه "معانى القرآن": وسمعنا العرب ينشدون، وسمعناهم يقولون بما لا يحصى فى الكتابين فهذه شهادات حية مسموعة وهذا أمر بدهى لدى الباحثين الذين يطلعون على ماجاء فى هذين الكتابين وهما يمثلان أقدم ما دون فى النحو العربى.

ثانيا: لم يقتصر استشهاد النحاة على بيئة مكانية واحدة بدليل ما سجلوه من لهجات واستعمالات لغوية متعددة ولهذا تعددت مستويات التعبير من حيث عدد المتحدثين به وكثرة جريانه على الألسنة فهذا كثير وهذا قليل وذلك شاذ على ماهو مدون فى "الكتاب" وغيره.

ثالثا: لم يقتصر استشهاد النحاة بالشعر دون غيره ففى الكتاب كثير من الأساليب النثرية المقولة عن العرب ومن أراد التأكد من ذلك فعليه الرجوع الى فهاريس "الكتاب" والقول بغير ذلك يمثل نوعا من المغالطة والافتئات على الواقع.

رابعا: أنه لا خلاف حول الغرض من وضع القواعد المنظمة لاستعمال التراكيب فى أية لغة من اللغات وكون القواعد فى النحو العربى وضعت ليسير على هديها وحذوها المتحدثون فهذا أمر يشترك فيه كل نحو وضع لأى لغة.

خطوات التحليل[1] اللغوى بين منهج سيبويه والمنهج البنيوى (الوصفى).

إعتذر بعض الباحثين للنحاة العرب عن عدم بدئهم الدراسة النحوية بدراسة

(١) مرادف للفظ الاعراب عند النحويين العرب.

الأصوات العربية بأن ذلك لم يكن من شأن النحاة لوصول اللغة العربية إليهم منذ العصر الجاهلى مكتوبة وقد تحدد لكل صوت منها رمز كتابى فكفى ذلك العمل النحاة مؤونة هذه الدراسة.

ويرى – ولا أدرى كيف كان ذلك – أنه "لم يبق على النحاة إلا أن يبدأوا بالتصنيف الصرفى وذلك هو الذى حدث كما فى القصة المنسوبة إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه[1]، وبعد أن ارتضى النحاة تصنيف الكلم إلى اسم وفعل وحرف لا حظوا أن كل صنف من هذه يتكون من أنواع من الأبنية فصنفوا هذه الأبنية (يقصد أوزانها الصرفية المكونة من: فعل) بحسب روابطها الاشتقاقية وقوالبها الصياغية.. ثم لا حظوا أن أواخر الكلم قد تتغير بحسب علاقتها فى السياق وقد لا تتغير...[2].

وما صنعه سيبويه غير ذلك فقد خصص القسم الأول من كتابه للحديث عن الجملة وصورها وأحكامها من خلال الأبواب أو الموضوعات النحوية ثم خصص القسم الثانى للحديث عن الكلمة وتصاريفها ثم ختم الكتاب بذكر ما يتعلق بالأصوات العربية والكتاب خير شاهد على هذا.

وهذا الاعتذار من الباحث الجليل إنما يحاول به إثبات أن النحاة العرب قد سلكوا المنهج الوصفى فى دراساتهم الأولى وأنهم نظروا إلى النحو على أنه هيكل مؤلف من الصوت فاللفظ فالعبارة كما صنع المحدثون.

أما كون النحو العربى قام على أساس وصفى فهذا لامراء فيه وأما أنه لابد أن يكون منهج البحث الغربى هو المنهج الصائب دون غيره فهذا لايقره الواقع لأمرين:

(١) انظر نشأة النحو صـ١٦ – ١٨.
(٢) انظر الأصول د/ تمام حسان صـ٥٨.

الأول: أن لكل لغة طبيعتها ولكل علم عند نشأته ظروفه الموضوعية الخاصة به خاصة فى العلوم الإنسانية ولهذا فلا حرج فى أن النحاة العرب لم يبدأوا كما بدأ النحاة الغربيون!

الثانى: أننا مادمنا بصدد الحديث عن وصف لغة مامن اللغات فإن الواقع يحتم ويفرض أن يكون النظر متوجها أول ما يتوجه إلى الأساليب، إلى كلام الناس الى العبارات الدالة على المعانى التى يتداول الناس الحديث بشأنها، ونحن والقدماء لن نفهم شيئا من إنسان ينطق: ا،ب،ت،ث،ج..... كما لن يكون هناك معنى محصلا من إنسان يقول: ضرب. فتح. مات. محمد. على.خالد. فى المنزل. كتاب..الخ إذن فالمنهج الذى سلكه النحاة العرب هو المنهج الذى يتسق والواقع، ولهذا لم يكن غريبا أن تتعالى الأصوات فى الغرب مطالبة بمنهج يعيد إلى اللغة ارتباطها بالفكر بعد أن أضحى البحث فيها صوريا شكليا بفعل المنهج الوصفى، وتمحض هذا عن ميلاد مذهب جديد لدراسة اللغة خاصة علم النحو عرف منتصف هذا القرن بالنحو التحويلى ورائده العالم الأمريكى "نعوم تشومكى" وهذا المنهج فى البحث مأخوذ بفصة ونصه من مناهج البحث فى النحو العربى[1] خاصة أن ذلك المنهج يعتمد على خطوات هى بعينها الخطوات التى سار عليها سيبويه فى تدوينه لقواعد النحو العربى وهى:

١- دراسة المستوى التركيبى أو أحكام الجملة أولا ومدى اتساق دلالتها مع الواقع.

٢- دراسة المستوى الصرفى وأثر التغيير الذى يلحق ببنية اللفظ فى معنى الجملة.

---

(١) راجع هذا فى البحث المنشور بمجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة: النحو العربى وصلته بالنحو التحويلى سنة ١٩٨٧م.

٣- دراسة المستوى الصوتى وأثر كل صوت فى الدلالة على المعنى الكلى للجملة.

وكان من نتيجة ذلك أن النحو التحويلى فى سعيه إلى ربط الألفاظ (البنية السطحية) بالمعنى (البنية العميقة) اقترب كثيرا من النحو العربى فى طريقته التى تحدد المعنى والفروق بين المعانى فى التراكيب المختلفة عن طريق دراسة العلاقات بين الألفاظ فى الجملة وهى العملية التى تسمى عند النحاة العرب "عملية الإعراب" لذلك لم يكن غريبا أن يكون تقدير المحذوف وتعيين الزائد ووضع لفظ (عامل) مكان آخر وحذف لفظ (عامل) لظهور دلالته فى غيره مما هو مذكور فى العبارة أمرا مسلما عند التحويلين فكانت أهم القواعد التى يلتزمون بها ويسيرون على مقتضاها فى التحليل اللغوى (الإعراب) هى:

١- قواعد الحذف.

٢- قواعد الإحلال.

٣- قواعد التوسيع.

٤- قواعد الاختصار.

٥- قواعد الزيادة.

٦- قواعد إعادة الترتيب[1].

ويقودنا هذا الى التأكيد على ملاحظة يجب أن تكون ماثلة فى الأذهان دائما وهى:

(١) انظر النحو العربى والدرس الحديث ص١٤٠ - ١٤١.

أن النحو العربي مازال منذ وضعه إلى الآن منهجا صالحا وكافيا فى دراسة الأساليب اللغوية ومرد صعوبته التى يتحدث عنها البعض أمر لا يرجع إلى النحو فى ذاته وإنما - فى تقديرى - هى أمر يرجع إلى الاستهانة بإعداد معلم اللغة أولا وثانيا إلى شغل الدارس بكم كبير من الاختلافات فى بعض مسائل الفروع النحوية دون التركيز على دراسة النحو ضمن منظومة اللغة المترابطة المعبرة عن الفكر ومن المهم أيضا أن نذكر هنا أن استمرار صلاحية هذا المنهج إنما يرجع إلى ثبات اللغة العربية وعدم تغيرها إلى لهجات بعيدة بصورة واضحة عنها، لأن النحو الوصفى قام فى أوربا بعد انشعاب اللهجات الانجليزية والفرنسية وغيرها عن اللغة اللاتينية الأم وأصبحت اللاتينية غير مستعملة فى الحياة اليومية مما دعا إلى ضرورة دراسة تلك اللهجات ووضع القواعد لها وهو الأمر الذى لم يحدث للعربية[١].

ولا يدعو هذا إلى الجمود وعدم الإفادة مما عند الآخرين وإنما يدعونا إلى محاولة وضع منهج نتناول فيه القديم بصورة تلائم وتواكب الحاجات اللغوية للمجتمع فى العصر الحاضر، وهاهى ذى الأيام تثبت أن المنهج الذى اتبعه سيبويه رحمه الله فى تدوين "الكتاب" - ولم يكن ذلك إلا وليد تصور عقلى - من الابتداء بدراسة بنية التراكيب ورصد مظاهر الحذف والاختصار والتقديم والتأخير والزيادة (والتوسع) ووضع الجملة موضع الفرد (الإحلال) وغير ذلك من أحكام هذه القواعد، ثم دراسة الأمور المتعلقة ببنية الكلمة من إعلال وإبدال وكذا التغييرات التى تلحق باللفظ عند تصريفه إن كان فعلا أو عند جمعه أو النسب إليه إن كان اسما وعلاقة كل هذا بالقسم الثالث الذى هو الحرف، ثم دراسة الأصوات العربية وشرح كيفية خروجها لتكون مسموعة لدى السامع وتحديد

(١) راجع موجز تاريخ اللغة فى الغرب. روبرت هنرى رؤبنز صـ ٢٠٠/ ٢١٤ عالم المعرفة سنة ١٩٩٧ (٢٢٧).

أوصافها وما يعرض لها من أصالة وإدغام ومد وغير ذلك كان هو الأساس الذى قام عليه النحو التحويلى.

ومما سبق نرى أن النحو العربى: وصفى، لأنه قام على الاستقراء وتحويلى، لأنه ربط اللغة بالفكر فدرس الأساليب أولا ثم الألفاظ ثانيا ثم الأصوات ثالثا، وهو فى الحالين رائد وسابق غيره.

والى ذلك أشار ابن السراج[١] فى أول كتابه: الأصول: فقال: "النحو إنما أريد به أن يَنْحُوَ المتكلم إذا تعلمه كلام العرب[٢] وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا على الغرض الذى قصده المبتدئون بهذه اللغة، فباستقراء كلام العرب علم أن الفاعل رفع والمفعول به نصب وأن فعل مما عينه ياء أو واو تقلب عينه من قولهم: قام وباع[٣]......

ويأخذ ابن السراج رحمه الله بمنهج الاستقراء - أيضا - لكن ليس بغرض الاستنباط للقواعد فقد تم وضعها ولكن بغرض بيان بعض الوظائف التى يؤديها قبيل من الكلمة ورصد مواقع هذا القسم من أقسام الكلمة فنراه يقول: "باب مواقع الحروف".

اعلم أن الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع.

١- (إما أن يدخل على الاسم وحده مثل الرجل (لام التعريف)[٤].

٢- "أو الفعل وحده مثل: سوف "يقوم محمد حيث خلصت الفعل للدلالة على الاستقبال".

(١) أبو بكر محمد بن سهل بن السراج ت: ٣١٦هـ. إنباه الرواة ١٤٥/٣.
(٢) هذا هو الغرض منه أى من وضع علم النحو.
(٣) الأصول ٣٥/١ تحقيق د/ عبد الحسين الفتلى ببيروت ط٢ ١٩٨٨م.
(٤) ما بين القوسين زيادة للايضاح.

٣- "أو ليربط اسما باسم (نحو) جاءنى زيد وعمرو (حيث جعلت الاسمين مشتركين فى إحداث الفعل).

٤- "أو فعلا بفعل (نحو: قام وقعد خالد) حيث جعلت الفاعل محدثا للفعلين على الترتيب).

٥- "أو فعلا باسم (نحو: مررت بمحمد).

٦- "أو" يدخل" على كلام تام (لافادة معنى ما) نحو: أعمرو أخوك، ماقام زيد للتحويل من الخبر إلى الاستخبار فى الأول ومن الإثبات إلى النفى فى الثانية).

٧- "أو ليربط جملة بجملة (نحو: إن يقم زيد يقعد عمرو لأن أصل الكلام: يقوم زيد. يقعد عمرو).

٨- أو يكون زائدا نحو: "فبما رحمة من الله"[1] والزيادة تكون لضروب[2] كالتأكيد وغيره.

وهذا النموذج من الاستقراء انما هو استقراء لوظيفة نحوية يؤديها الحرف وليس استقراء استدلاليا ليتم عن طريقه استنباط قاعدة أو قانون عام كما هو الشأن عند المتقدمين، وعلى هذا فالاستقراء عند المتقدمين طريق للاستدلال وعند المتأخرين حصر للموقع أو للوظيفة التى تؤديها الكلمة كما رأينا وهو أى الاستقراء بمعناه عند المتأخرين موجود أيضا عند المتقدمين وأبرز مثال لذلك الاستقراء غير الاستدلالى استقراء معانى "ما" وغيرها من الأدوات كما صنع سيبويه ولكن دون ترتيب بل فى مواضع متعددة من الكتاب حيث نرى: «ما» الاستفهامية ١/١٢٧، ٤/٢٢٨، دخول حرف الجر عليها ٤/١٦٤.

---

(١) آل عمران من الآية: ١٥٩.

(٢) ايضاح وتلخيص. الأصول ١/٤٢، ٤٣.

٢- المنهج التطبيقى

يعد هذا المنهج ثمرة ونتيجة للمنهج الاستقرائى حيث أنه يمثل الاختبار العملى لصدق النتائج واطراد القواعد التى تم استنباطها بعد عملية الاستقراء كما سبق وأوضحنا.

ولذلك فقد نشأ هذا المنهج مواكبا ومعاصراً للمنهج الأول، وأصدق مثال لذلك كتاب "معانى القرآن" "للفراء" ونحن هنا نتحدث عن مناهج النحاة العرب فى "تحليلهم" اللغوى للعربية ولا تتناول آراءهم ومذاهبهم، ومن هنا - فيما نرى - كأن كتاب "معانى القرآن" للفراء ذا منزلة لا تنكر فى هذا المجال، لأنه عمد إلى قواعد النحو فاستعان بها على الإفصاح والبيان عن معانى القرآن الكريم محتكما فى ذلك إلى القواعد التى تصف كلام العرب وأساليبها، والقرآن إنما نزل بلسان عربى مبين فمعرفة معانيه وإدراك مراميه وفهم مقصد الخطاب فيه إنما تكون عن طريق دراسة هذه الأساليب العربية وطرقها وصورها ومظاهرها وهذا ما قصد إليه الفراء رحمه الله.

المعنى اللغوى:

التطبيق مصدر الفعل طبق، ومن معانيه: إصابة الصواب فى الكلام، وفى لسان العرب: "والمُطَبِّق من السيوف الذى يصيب المفصل فيبينه يقال: طبق السيف، إذا أصاب المفصل فأبان العضو قال الشاعر يصف سيفا:

يصمم أحيانا وحينا يطبق.

ومنه قولهم للرجل إذا أصاب الحجة: إنه يطبق المفصل، أبو زيد: يقال للبليغ من الرجال: قد طبق المفصل، ورد قالب الكلام ووضع الهِنَاء[1] مواضع النقب.

(١) القطران يداوى به جرب الابل.

- «ما» التعجبية ١/٧٣
- «ما» الموصولة ٢/١٠٥، ٣/٦٩.
- «ما» نكرة موصوفة ٢/١٠٥، ١٠٦، ١٠٩
- «ما» الشرطية ٣/٥٦، ٥٧.
- «ما» معرفة تامة ٣/١٥٦
- «ما» الحرفية: زائدة، تعويضية، كافة، مصدرية، نافية، انظر جـ٥/ ٣٣٥ - ٣٥٧.

وفى الحديث عن ابن عباس: أنه سأل أبا هريرة عن امرأة غير مدخول بها طلقت ثلاثا، فقال لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره فقال ابن عباس: طبقت، قال أبو عبيد: قوله طبقت. أراد أصبت وجه الفتيا....[١].

ووجه المناسبة بين اصطلاح التطبيقى أي المنسوب إلى التطبيق الذى هو إصابه وجه الصواب فى الكلام عمليا وبين هذا المعنى اللغوى أمر واضح وعليه فاستخدام علم النحو للوصول إلى صائب المعنى فى القرآن الكريم ومعرفة حال الكلم فى نفسها (تصاريفها) وفق ما جاء عن العرب وبيان وجه الأداء إمالة وإدغاما ووقفا على ضوء ماتم تسجيله وتدوينه من استقراء كلام العرب إنما هو عمل تطبيقى يُعْلِمُ ويُعَلِّمُ وجه الصواب، ولا يفوتنا هنا أن نشير أيضا الى أسبقية النحاة العرب فى هذا الجانب، لأن الغرض منه أي من التطبيق انما هو التمرن والتمرس بكيفية الوصول إلي المعنى عن طريق قواعد النحو وكذا معرفة حال الكلم فى أنفسها وكيفية محاكاتها وأداء الأصوات اللغوية كما كان يؤديها العرب، وعلى هذا فالغرض من التطبيق إنما هو التعليم، تعليم اللغة القومية أو الوطنية، كما هو معروف[٢]، إذ لا يمكننا اعتبار هذا العمل وذلك الجهد فى شرح دواوين الشعراء وإعراب القرآن الكريم على العصور عملا مقصودا لذاته لفأغراض منه، بل يجب أن ننظر إليه على أنه عمل وتدريب على اكتشاف المعانى والمقارنة بين الأساليب وتفسير المفردات صرفيا ومعجميا (دلاليا) بما يؤدى فى النهاية إلى مساعدة أهل هذه اللغة على فهم نصوصها بل والقدرة على محاكاة روائع هذه النصوص والاقتباس منها.

(١) انظر اللسان: طبق.
(٢) انظر أصول تراثية صـ ١٠٥ - ١٠٧.

تميز هذا المنهج منذ نشأته بالاستمرارية، لأنه لاغنى عنه لأصحاب اللغة وهاك مثلا يوضح ماذكرناه من كتاب معانى القرآن للفراء:

"قوله تعالى: الحمد لله...... (الفاتحة آية١).

أجمع القراء على رفع "الحمد" وأما أهل البدو فمنهم من يقول "الحمدَ لله"، ومنهم من يقول: "الحمدِ للهِ" ومنهم من يقول "الحمدُ لُله" برفع الدال واللام.

فأما من نصب فإنه يقول: "الحمد" ليس باسم انما هو مصدر يجوز لقائله أن يقول: أحمد الله[١].

فإذا صلح مكان المصدر فَعَل أو يفعل جاز فيه النصب[٢]، من ذلك قول الله تبارك وتعالى: "فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب"[٣] يصلح مكانها فى مثله من الكلام أن يقول" فاضربوا الرقاب، ومن ذلك قوله: "معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده"[٤] يصلح أن تقول فى مثله من الكلام: نعوذ بالله. ومنه قول العرب: سقيا لك ورعيا لك، يجوز مكانه: سقاك الله ورعاك.

وأما من خفض الدال من "الحمد" فإنه قال: هذه الكلمة كثرت على ألسنة العرب حتى صارت كالاسم الواحد فثقل عليهم أن يجتمع فى اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة[٥]، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان فى الاسم الواحد مثل: إبل فكسروا الدال (من الحمد) ليكون على المثال من أسمائهم...."[٦].

---

(١) لاحظ احتكامه الى المعنى فى توجيه حركة الاعراب.

(٢) وقوع المصدر (الاسم) موقع الفعل والعكس إشارة الى الرابطة المشتركة بينهما: اتحاد المادة (الحروف) والدلالة على الحدث.

(٣) سورة القتال (محمد) الآية ٤. (٤) سورة يوسف الآية ٧٩.

(٥) إشارة الى ما أهمله العرب من الأبنية فى صيغ وأوزان كلامهم.

(٦) معانى القرآن ٣/١ وانظر فى هذا "حسن المحاورة فى بيان أمر حركة الاتباع والمجاورة" مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة سنة ١٩٩٥.

ونرى الفراء يلفت نظر التلاميذ الى السياق الخارجى وما تؤديه بعض الألفاظ فى العبارة فيزول بذلك تناقض ظاهر بين بعض ألفاظ العبارة فمن ذلك قوله فى بيان معنى قوله تعالى فى سورة البقرة آية (٩١): "قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل...."

"يقول القائل: إنما: تقتلون للمستقبل فكيف قال: "من قبل" ونحن لا نجيز فى الكلام: أنا أضربك أمس؟ وذلك جائز إذا أردت بتفعلون الماضي، ألا ترى أنك تعنف الرجل بما سلف من فعله فتقول: ويحك لم تكذب؟ لم تبغض نفسك إلي الناس؟، ومثله قول الله "واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان"[١] ولم يقل: ماتلت الشياطين، وذلك عربى كثير فى الكلام أنشدنى بعض العرب:

إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة

ولم تجدى من أن تقرى بها بدا

فالجزاء للمستقبل والولادة كلها قد مضت، وذلك أن المعنى معروف، ومثله فى الكلام:

اذا نظرت فى سير عمر رحمه الله لم يسىء، المعنى: لم تجده أساء، فلما كان أمر عمر لا يشك فى مضيه لم يقع فى الوهم أنه مستقبل، فلذلك صلحت "من قبل" مع قوله: "فلم تقتلون أنبياء الله من قبل" وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتله إنما قتل الأنبياء أسلافهم الذين مضوا فتولوهم على ذلك ورضوا به فنسب القتل إليهم"[٢].

والحق أن ذلك المنهج التطبيقى الذى سلكه الفراء فى هذا الكتاب فى حاجة إلى إعادة قراءة الباحثين لمعرفة اتجاهاته التى يصدر عنها ومحاولة فهم بعض

(١) البقرة من الآية ١٠٢.
(٢) معانى القرآن ١/ ٦٠، ٦١.

آراء الكوفيين من خلال هذا الكتاب وردها إلى منهج الاحتكام إلى المعني الذى تؤيده أساليب العرب واستعمالاتهم ووظيفة اللفظ فى حال دون غيرها واختصاص لفظ بأمر دون لفظ آخر، فمن ذلك الخلاف حول مجىء الفاعل جملة فى قوله تعالى "ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه حتى حين"[١] فنري الفراء ينحى بالنحو طريقا غير طريق الاستقراء الظاهر وهو أن الفاعل لا يكون إلا لفظا مفردا مثنى أو جمعا على ماهو معروف ولكنه يوظف حسه اللغوى وبصره بوظائف الأدوات فنراه يقول فى (تحليل) تبيين وتحقيق كون الفاعل قد يأتى جملة ذلك قوله فى بيان المعنى المترتب على الإعراب فى قوله تعالى "كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم"[٢] قال: "إن شئت جعلت الرحمة) غاية كلام[٣]، ثم استأنفت بعدها (ليجمعنكم) وإن شئت جعلته (ليجمعنكم) فى موضع نصب كما تقول: (كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم)[٤] والعرب تقول فى الحروف[٥] التى يصلح معها جواب الأيمان بأن المفتوحة وباللام فيقولون: أرسلت إليه أن يقوم وأرسلت إليه ليقومن[٦]، وكذلك قوله (تعالى): "ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات لسجننه" وهو فى القرآن كثير: ألا ترى أنك لو قلت: بدا لهم أن يسجنوه كان وصوابا...."[٧] ويزيد ذلك فى موضع آخر بيانا فيرى أن هناك حذفا والمحذوف هو (أن) المصدرية فيقول فى معرض تعليقه على قوله تعالى فى سورة الأنبياء "لقد علمت ما هؤلاء ينطقون"[٨] قال: "والعلم والظن بمنزلة اليمين فلذلك لقيت العلم بما فقال (تعالى): (علمت ما هؤلا..) كقول القائل: والله ماأنت بأخينا وكذلك قوله: (وظنوا مالهم من محيص)[٩] ولو

(١) من سورة يوسف الآية ٣٠. (٢) سورة الأنعام ١٢.
(٣) نهاية جملة تامة. (٤) سورة الانعام ٥٤.
(٥) أى الأفعال التى تطلب ما يتم به المعنى حيث لا يكتفى بها مع فاعليها.
(٦) ومثل ذلك طلبت اليه أن يقوم أو ليقومن، أو عزت اليه أن يسافر أو ليسافر.
(٧) معانى القرآن ٣٢٨/١ (٨) الأنبياء ٦٥.
(٩)فصلت ٤٨.

أدخلت العرب أن قبل ما فقيل: علمت أنْ مافيك خير وظننت أنْ مافيك خير كان صوابا، ولكنهم إذا لقى شيئا من هذه الحروف[١] أداة مثل (إن) التى معها اللام أو استفهام كقولك: اعلمْ لى أقام عبد الله أم زيد أولئن، ولوا اكتفوا بتلك الأداة فلم يدخلوا عليها أن (أنْ) ألا ترى قوله (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه) لو قيل: أن ليسجننه كان صوابا قال الشاعر:

وخُبِّرْ تُما أنْ إنما بين بيشة

ونجران أحوى والمحل خصيب[٢]

فأدخل أنْ على إنما فلذلك أجزنا دخولها على ماوصفت لك من سائر الأدوات"[٣].

ووجه المشابهة فى القياس أمر ظاهر ذلك أن نون التوكيد تخلص المضارع للحال أو الاستقبال بدليل عدم لحاقها الماضى وأن المصدرية كذلك وعليه فهو يرى: إما مشابهة اللام التى يتلقى بها القسم (أن) المصدرية ولذلك تؤول هى وما بعدها بمصدر فى محل رفع فاعل: أي سجنه.

وإما أن تكون (أن) المصدرية مرادة وقد حذفت لمكان العلم بها بدليل ظهورها فى البيت وصنيع الفراء هذا يخرج عليه ويتوجه به نحو قولنا: تبين لى لأكرمنك، وظهر لى لأسافرن وما كان فى مثل معناه.

كما أن ذلك المنهج التطبيقى الذى اصطنعه الفراء ينبه إلى أمرين:

الأول: أن اللغة لا تخضع أساليبها لقواعد الاستقراء المنطقى فى بعض الأحيان.

الثانى: أن المعنى هو الذى يحدد الشكل الخارجى للجملة فاستقامة المعنى دليل

---

(١) انظر هـ (٥) ص ٣٩.

(٢) أحوى وصف من لحوة وهو سواد يميل إلى الخضرة وصف للشجر يريد أن ما بين بيشة ونجران من بلاد العرب كثير الشجر والمرعى.

(٣) معانى القرآن ٢/ ٤١، ٢٠٧.

على استقامة اللفظ وقد ترسم كثير من النحاة خطى الفراء في هذا المنهج التطبيقي وبذلك اتسعت دائرة النحو العربي ليشمل بالدراسة والبحث كل الأساليب التي وردت عن العرب استكمالا للاستقراء فاهتم النحويون بعد ذلك بتوجيه وتخريج ما جاء ظاهره مخالفا للقواعد العامة التي وضعها النحاة الأولون ومن أبرز هذه الكتب[١] كتاب: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني وقد أبان عن غرضه ذلك في قوله في المقدمة لكتابه هذا بقوله "..... لكن غرضنا منه (أي من تصنيف هذا الكتاب) أن نُرِي وجه قوة مايسمى الآن شاذا وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مُهْلَة ميدانه، لئلا يُرَى مُرَي أن العدول عنه[٢] إنما هو غض منه أو تهمة له...."[٣] فهو إذن يرى - بعد أن صحت رواية هذا الشاذ - أنه جائز في العربية لصحة معناه وصحة العبارة عنه وهذا مثال يوضح ذلك قال في معرض تعليقه على قراءة "وما يُخْدَعون إلا أنفسَهم"[٤] بضم الياء وفتح الدال.

قال أبو الفتح: هذا على قولك: خدعت زيدا نفسه ومعناه عن نفسه فان شئت قلت على هذا: حذف حرف الجر فوصل (تعدى) الفعل كقوله (عز اسمه) "واختار موسى قومه سبعين رجلا"[٥] أي من قومه وقوله (الشاعر):

أمرتك الخير (فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

أمرتك... فأفعل ما أمرت به فقد...)[٦].

(١) انما نقتصر في ضرب الأمثلة على مانرى أنه الأكثر أخذا بالمطابقة بين ماعده البعض شاذا وبين ما جاء عن العرب من أساليب والا فهناك كثير من الكتب في هذا الميدان مما يعرف أمرها الدارسون والباحثون.

(٢) عدم القراءة به في الصلاة والتعبد بالتلاوة في غيرها.

(٣) المحتسب ٣٢/١، ٣٣. (٤) سورة البقرة (٩).

(٥) سورة الأعراف ١٥٥. (٦) ما بين الأقواس زيادة للايضاح.

أي بالخير، وإن شئت قلت: حمله على المعنى فأضمر له ما ينصبه[٧] وذلك أن قولك: خدعت زيدا عن نفسه يدخله معنى انتقصته نفسه وملكت عليه نفسه وهذا من أسد وأدمث مذاهب العربية، وذلك أنه موضع يملك فيه المعنى عِنَانَ الكلام فيأخذه إليه ويصرفه بحسب ما يؤثر عليه وجملته: أنه متى كان فعل من الأفعال في معنى آخر فكثيرا ما يجري أحدهما مجرى صاحبه فيعدل في الاستعمال به إليه ويحتذى في تصرفه حذو صاحبه، وإن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه.."[١] يريد أن المعني على التضمين في الوجه الثاني فيكون المراد: وما ينتقصون الا أنفسهم ومثل ذلك يصنع في المفردات وحديثه عن "دريه" وفي قراءة زيد بن ثابت: "ذرية" بكسر الذال و "ذرية" بفتح الذال ما يؤكد منهجه التطبيقي في هذا حيث يرد كل وجه في تصاريفه واشتقاقه إلى نصوص اللغة وشواهدها التي تتطابق مع هذه القراءة أو تلك [٢].

هذا ولم يحظ كتاب بالدراسة في كافة نواحيه لفظا وأداء ودلالة مفردات وتراكيب كما حظي القرآن الكريم ومن أكثر الكتب جمعا لهذه النواحي كتاب "البحر المحيط" لأبي حيان رحمه الله وهو من الموسوعات العلمية التي تناولت القرآن الكريم بالبحث والدرس صوتا ولفظا وتركيبا.

وقد هيأ هذا المنهج التطبيقي للنحاة أن يعرجوا على الحديث الشريف بالبحث والدراسة خاصة من الناحية اللغوية وما يتصل بها من الناحية الدلالية خاصة وأن استشهاد النحاة به على قواعد اللغة لم يكن من دأب الأولين ولا من وكدهم الا نادرا لاعتقادهم أن رواة الحديث ربما غيروا ألفاظه اعتمادا على معناه[٣] لكن ابن مالك رحمه الله يطابق بين ماورد من الأحاديث التي في ظاهرها مخالفة لقواعد النحو ويرده - كما صنع ابن جني في المحتسب - الى

(١) هذا هو التوجيه الثاني وكلاهما مما تسمح به قواعد العربية.
(٢) انظر المحتسب ٥٢/١.　　(٣) السابق ١٥٦/١ - ١٦٠.
(٤) انظر في هذه القضية: الاقتراح صـ ١٧ والتذييل لأبي حيان ١٦٩/٢ ت/ د/سيد تقي. والخزانة ١٢/١ -١٥.

ماصح من أساليب العرب وتراكيبها المفيدة شعرا أو نثرا ووضع فى ذلك كتابا سماه:

شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح[١].

فمن ذلك "قول النبى صلى الله عليه وسلم" من يقم ليلة القدر غفر له"[٢].

وقول عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: "إن أبا بكر رجل أسيف متى يقم مقامك رق". قلت (أى ابن مالك): تضمن هذان الحديثان وقوع الشرط مضارعا والجواب ماضيا لفظا لا معنى والنحويون يستضعفون ذلك ويراه بعضهم مخصوصا بالضرورة.

والصحيح الحكم بجوازه مطلقا لثبوته فى كلام أفصح الفصحاء [٣] وكثرة صدوره عن فحول الشعراء كقول نهشل بن ضمرة.

يافارس الحى يوم الروع قد علموا ومدره الخصم لا نكسا ولا ورَعا

ومُدرِك التبل فى الأعداء يطلبه وما يشأ عندهم من تبلهم منعا

وكقول أعشى بن قيس

وما يُرِدْ من جميع بعدُ فرقه وما يرد بعد من ذى فرقة جمعا

وكقول حاتم:

وإنك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وكقول رؤبة:

مايلق فى أشداقه تلهما

اذا أعاد الزأر أو تنهما

(١) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى. (٢) انظر تخريج الحديث فى التوضيح صـ ١٤.
(٣) يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومثله:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا عنى وما سمعوا من صالح دفنوا[١].

وهذا المنهج يدعونا إلى منهج جديد فى الدرس النحوى يقوم على إعادة قراءة النصوص العربية شعرا ونثرا ودراسة أنماط التعبير فيها غير مكتفين بقواعد المذهب البصرى ونبذ ماعداه، كذلك إلى الاهتمام بالأنماط أو الأساليب غير الشائعة ومحاولة وضع القواعد النحوية بصفة قائمة على التوفيق بين مذاهب النحاة من ناحية والاهتمام بدراسة الجانب الدلالى أو المعنوى لهذه الأساليب من ناحية أخرى ليتم الربط بين الشكل أو التركيب والمعنى وبين القاعدة النحوية كما هو ظاهر من هذا المنهج التطبيقى.

والاهتمام بالأشكال التركيبية وما بينها من فروق دلالية وإن كانت القاعدة واحدة هو السمة الغالبة على المنهج التطبيقى فى صنيع الإمام عبد القاهر الجرجانى فى كتابه الرائع "دلائل الإعجاز" حيث لفت نظر أهل العربية الى أمور هى:

١- أنه صنف كتابه "دلائل الاعجاز" كى يطلع به الناظر على أصول النحو جملة...."[٢].

٢- الأصل الأول هو أن يدرك دارسو اللغة أن النظم (العبارة المفيدة)[٣]ليس سوى تعليق (ربط) الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف وللتعلق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو (أى ينحصر الربط بينها) ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما..."[٤].

(١) انظر: شواهد التوضيح صـ ١٤ - ١٧. (٢) دلائل الاعجاز صـ٤٣.
(٣) ما بين الأقواس زيادة للايضاح.
(٤) انظر تفصيل هذا فى صـ ٤٤ - ٤٨.

٣- أن اللغة ألفاظ محصورة تعبر عن معان غير محصورة وأن السبيل لهذا العمل هو النظم "بأن يؤتى ببعضها فى إثر بعض"[١] وعلى ذلك "فينبغى أن ينظر الى الكلمة قبل دخولها فى التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التى بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا وتؤدى فى الجملة معنى من المعانى التى لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة[٢] لأن الألفاظ فى ذاتها لا تتبين بها المعانى والأغراض "فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان ضرب لما كان فى ذلك ما يؤدى إلى فساد"[٣].

٤- أن الألفاظ أوعية للمعانى فحيث وجد المعنى احتاج إلى الوعاء الذى يحل فيه ومقصود النحو ليس المعنى المفرد وإنما مقصوده المعنى الدال على فكرة تامة والسبيل إلى ذلك هو ما يقتضيه علم النحو "فلا يصح فى عقل أن يتفكر متفكر فى معنى فعل من غير أن يريد إعماله فى اسم ولا أن يتفكر فى معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه وجعله فاعلا له أو مفعولا أو يرد منه حكما سوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبرا أو صفة أو حالا أو ما شابه ذلك...."[٤].

٥- أن معرفة المعانى الكلية متوقفة على إدراك الفروق بين التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والمفرد والجملة فى موقع واحد على ما تقتضيه معانى النحو.[٥] لأنا لو نظرنا فى الإعراب وجدنا التفاضل فيه محالا، ولا يتصور أن يكون للرفع والنصب فى كلام مزية عليهما فى كلام آخر، وانما الذى يتصور أن يكون ههنا كلامان قد وقع فى إعرابهما خلل ثم كان أحدهما أكثر صوابا من الآخر وكلامان قد استمر أحدهما على الصواب ولم يستمر على الآخر ولا يكون هذا تفاضلا فى الاعراب...."[٦].

(١) دلائل الاعجاز صـ ٨٤.
(٢) السابق صـ ٨٧.
(٣) السابق صـ ٩٣.
(٤) السابق صـ ٣٧٤.
(٥) السابق صـ١١٧، ١٢٧، ١٣٧، ٢٢٩.
(٦) السابق صـ ٣٦٥، ٣٦٦.

وخلاصة الأمر أن الامام عبد القاهر رحمة الله ينظر إلى النحو على أنه ذو جانبين:

أ- جانب عقلى نظرى يتمثل فى معرفة كيفية استخدام أبوابه فى تأليف الجملة على وفق ما تقضى به قواعد النحو بعد العلم بالمفردات ومعانيها المعجمية.

ب- جانب معنوى يتمثل فى إدراك الفروق المعنوية بين العبارات المتحدة الألفاظ ولكن فيها تقديم وتأخير أو تعريف وتنكير، وبهذا يربط عبد القاهر عن طريق قواعد النحو بين العبارات ومعانيها ويؤكد بذلك على أن النحو العربى ليس نحوا شكليا أو صوريا وانما هو أداة أو وسيلة لإدراك العلاقات القائمة بين أجزاء الجملة فى كافة صورها الممكنة نحويا مما يؤكد أن النحو هو ذروة التحليل اللغوى للعبارات اللغوية وهو بذلك - بعد سيبويه يسبق «تشومسكى» ومن لف لفه من الذين هللوا وصفقوا لما يسمى بالنحو التحويلى»[1].

(١) راجع فى هذا: النحو العربى وصلته بالنحو التحويلى بحث منشور فى مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة سنة١٩٩٧.

٣- المنهج الجدلى

الاختلاف بين الناس فى ألوانهم وألسنتهم وطبائعهم أمر معلوم بالضرورة، واختلاف الرأى ومحاولة الانتصار له أمر شائع معروف خاصة فيما يتعلق بالأمور غير المحسوسة ومن هنا كان الجدل بين المذاهب والأمم والأفراد والمجتمعات على مر التاريخ، وأصل لفظة الجدل فى الوضع اللغوى: "اللدد فى الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله جدالا.....

والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة[١] فالمعنى العام الذى تدور حوله مادة: ج د ل هو الشدة والظهور سواء فى الخصومة أو الرأى وهذا المعنى اللغوى يؤنس لما رأيناه فى البدايات الأولى من صور تناول العلماء للمادة اللغوية، والأخبار فى هذا منثورة فى كتب التراث، وعند التأمل فيها نرى فيها صورة من صور تناول اللغة من حيث معرفة بعض معانيها ومفرداتها أو معرفة إعراب لفظ أو غير ذلك مما وقع منها فى مجالسهم ومحاوراتهم ومناظراتهم.

وقد عد المناظرات بعض الباحثين[٢] طورا من أطوار النحو أى مرحلة من مراحل تكونه واستوائه على أصوله وتلك نظرة صائبة لأن الحديث إنما تعلق بأحقاب زمنية نشأ فيها هذا العلم حتى وصل إلى ما وصل إليه، لكن الأمر إذا تعلق بالطريقة أو المنهج الذى تناول به النحاة الظاهرة اللغوية بالبحث فانه يصبح من اليسير والسائغ أن نطلق على هذه المباريات الفكرية التى وقعت بين النحاة ومجادلاتهم اسم المنهج الجدلى.

---

(١) لسان العرب (جدل).

(٢) هو المرحوم فضيلة الشيخ محمد الطنطاوى فى كتابه: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة.

وبدايات هذا المنهج ترجع إلى صورته الأولى وهى المجادلات المباشرة بين طرفى المناظرة، والمناظرة معناها: النظر بالبصيرة (العقل) من الجانبين فى النسبة (العلاقة) بين الشيئين إظهارا للصواب"[1] وهذا ولا شك جدل بين الفريقين لكنه جدل مباشر حيث يواجه كل طرف منهما الآخر فى مجلس الحديث أو المناظرة، وقد جمع الزجاجى[2] بعضا من هذه المجادلات أو المناظرات وهى ترينا بداية ذلك

المنهج فى الدرس اللغوى العربى، وترينا كيف كان العلماء ينظرون إلى النص ويعملون فيه الفكر فيذهب عن بعضهم وجه الصواب ويقع عليه آخر، فمن ذلك ما وقع بين الأصمعى وابن الأعرابى وقد كانت بينهما مناقشة وملاحاة وكان ابن الأعرابى يؤدب أولاد الأمير سعيد بن سلم فزار الأصمعى يوما مجلس الأمير وعنده أولاده فقال لبعضهم: "أنشد أبا سعيد (الأصمعى) فأنشد الغلام لرجل من بنى كلاب شعرا رواه إياه ابن الأعرابى وهو:

رأت نِضْو أسفار أميمةُ قاعدا
على نِضْو أسفار فجُنَّ جُنُونُها

فقالت: من اى الناس أنت ومن تكن؟!
فإنك راعىَ صرمة لا تَزِينُها

فقلت لها: ليس الشحوب على الفتى
بعار ولا خيرُ الرجال سمينُها

عليك براعى ثَلَّة مسلحبَّة
يروح عليها محضُها وحقينُها

سَمِينُ الضواحى لم تُؤَرِّقْهُ ليلة
وأنعمَ أبكارَ الهموم وعُونُها

ورفع (الغلام) ليلة، فقال الأصمعى: من رواك هذا؟ فقال مؤدبى. فأحضره

(١) التعريفات للجرجانى صـ ٢٠٧.

(٢) أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى نسبة الى شيخه ابراهيم السرى الزجاج ت ٣٤٠. انظر انباه الرواه ٢/ ١٦٠.

واستنشده البيت، فأنشده ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه، وفسر البيت فقال: إنما أراد لم تؤرقه ليلةً أبكارُ الهمومِ. وعونُها جمع عوان، وأنعم أى زاد على هذه الصفة، وقوله: "سمن الضواحى" رد ما ظهر فيه وبدا سمين، ثم قال (الأصمعى) لابن سَلْمٍ من: من لم يحسن هذا فليس موضعا لتأديب ولدك......"[١].

وقد أُتِى ابنُ الأعرابى من جهة أنه لم ينظر إلى مفردات العبارات وما فيها من تقديم وتأخير إذ الأصل: لم تؤرقه أبكارُ الهموم وعونها ليلة، فليلة ظرف زمان الفعل، ولو كانت هى الفاعل فماذا يكون وجه الرفع فى : أبكار....؟

ومثل ذلك ما وقع بين الكسائى واليزيدى حينما طلب اليزيدى من الكسائى فى مجلس الرشيد أن يبين إن كان ثمة عيب فى قول الشاعر:

مارأينـــا خربـــا[٢] نـــقـْ ... قَرعنــه البيضَ صَــــقْرْ

لايكون العَيْــرُ مهـــرا[٣] ... لا يكون. المهــرُ مهــرُ

فقال الكسائى: قد أقوى الشاعر. فقال التبريزى: انظر جيدا.

فقال الكسائى: أقوى، لابد أن ينصب المهر الثانى على أنه خبر كان.

قال (الروى): فضرب اليزيدى بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد. الشعر صواب إنما ابتدأ فقال: المهر مهر.....[٤].

ومن الواضح أن هذا المنهج فى هذه المرحلة من مراحل البحث فى النحو العربى قد تميز بالمشافهة والمباشرة فى النقاش مع الاعتماد على دقة النظر فى

(١) مجالس العلماء للزجاجى ١٦، ١٧ وأبكار الهموم: الحديث منها وعونها ما يتذكره المرء مما قد مضى منها يريد أنه ليس بليد الحس مثل هذا الذى تطلبه سمين البدن!!!

(٢) طائر يقال له: الحبارى شبيه بالحمام الداجن.

(٣) بفتح العين وسكون الياء: الحمار.

(٤) مجالس العلماء للزجاجى ١٢٠.

ادراك ما بين المفردات من علاقات في سياق العبارة، ولو ان الكسائى التفت إلى دلالة حرف النفى (لا) وسبقه للجملة لما قال ما قال: لأنه اذا لم يكن المهر مهراً فإن العبارة تصبح دالة على المحال لنقض أولها بآخرها.

ثم لم يلبث أن تطور المنهج الجدلى بأن نظر العلماء فى مصنفات بعضهم البعض وأبدى كل منهم رأيه فيما كتبه الآخر وأقدم.ما وصلنا من ذلك هو ما علق به أبو العباس المبرد على بعض المسائل فى كتاب سيبويه، هذه المسائل التي سماها المبرد «مسائل الغلط» وقد انتصر بعض النحاة (ابن ولاد)[١] لسبويه ورد ماذكر المبرد من نقد لهذه المسائل[٢] وهى على أية حال لم تتعلق بأمر يمس نظرية النحو العربى المنتزعة من الاستقراء وهى نظرية العامل النحوى وما يترتب عليها من تأويلات وتقديرات لنصوص اللغة كى تكون متوافقة مع القواعد النحوية، لذلك اعتبرنا هذا الصنيع وماكان مثله داخلا ضمن نطاق أو إطار المنهج الجدلى لأنه فى نهاية المطاف مقارعة حجة بحجة ومقابلة برهان ببرهان دون تعرض لأصل القضية بنقد أو بإبطال.

حظى النحو بالاهتمام البالغ من علماء المسلمين كافة على مر العصور حتى انقطع إليه بعضهم فغلب عليهم النسبة اليه فيقال: فلان النحوى وإن كان من النظار فى غيره من العلوم التي كانت سائدة آنذاك كالفقة أو الكلام أو رواية الحديث أو جمع اللغة ورواية الأشعار وغير ذلك، ونظرا للخلاف الطبيعى بين البشر فى نظرتهم إلى الأمور فقد تشعبت وكثرت خلافات النحاة حتى أصبح الخلاف بينهم أمرا لازما مشهورا ومن أبرز صوره هذا الخلاف بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة وبينهم وبين نحاة بغداد"[٣].

(١) أحمد بن ولاد من مشاهير النحاة ت ٣٣٢هـ.
(٢) تنظر هذا فى المقتضب ٩٦/١ - ١٠٢.
(٣) فى هذا تفصيلا: انظر نشأة النحو. المرحوم الشيخ/ محمد الطنطاوى، والمدارس النحوية د/ شوقى ضيف.

وقد انبرى كل فرق يؤيد وجهته بالأدلة النحوية السماع شعرا ونثرا والقياس المستند إلى الأحكام المنطقية وأصول العلم الضرورى وقد قيض الله للنحو العربى أحد علمائه الأفذاذ لينهض بتسجيل هذا الاحتجاج أو الجدال بين الفريقين وهو ما يمثل ذورة هذا المنهج فى تناول الدرس النحوى العربى، ويمثل هذا كتاب "الإنصاف فى مسائل الخلاف" للإمام كمال الدين أبى البركات عبد الرحمن بن محمد أبى سعيد الأنبارى ت ٥٧٧هـ" ولندع المؤلف يبين غرضه والباعث على عمله ومنهجه فى ذلك الكتاب، فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم:

"وبعد، فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين والأدباء المتفقهين المشتغلين على (الدارسين) بعلم العربية، بالمدرسة النظامية - عَمَر الله مبانيها ورحم بانيها - سألونى أن ألخص لهم كتابا لطيفا يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة ليكون أول كتاب[١] صنف فى علم العربية على هذا الترتيب، وألف على هذا الأسلوب، لأنه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف ولا ألف عليه أحد "من الخلف، فتوخيت اجابتهم على وفق مسألتهم، وتحريت اسعافهم لتحقيق طلبتهم، وفتحت فى ذلك الطريق، وذكرت من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق واعتمدت فى النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف لا التعصب والإسراف...."[٢].

---

(١) يعزى إلى أبى جعفر النحاس ت ٣٣٨ أنه ألف فى الخلاف بين المذهبين ولعل المؤلف لم يطلع عليه هـ١ - صـ٥ مقدمة الانصاف، ويراودنى شك فى هذا لأمرين:

١- ولع الناس بالجديد فى كل فن حتى ولو كان فى طريقة عرضه فمن غير المعقول أن يوجد مثل هذا الكتاب ولا يشتهر أمره.

٢- أنه لم ينقل من هذا الكتاب أو عنه أحد من اللاحقين. والله أعلم.

(٢) انظر مقدمة الإنصاف ت/ المرحوم الشيخ محمد حيى الدين عبد الحميد ط بيروت سنة ١٩٨٧م.

ونتبين من هذه المقدمة:

١- أن النحو قد يطلق عليه: علم العربية أى علم اللغة العربية إذ هو واسطة العقد فى علومها وفروعها وهو أداة توصل بها - فى المنهج التطبيقى - إلى فهم دلالات العبارات ومقصود الجمل ومعانى الكلام فلا غرو أن يطلق عليه: علم العربية بإبراز علم النحو.

٢- ذلك التأثير المتبادل بين مناهج النظر فى العلوم وطرق التضيف فيها فهاهو ذا ابن الأنبارى يصرح بأنه بناء على رغبة تلاميذه من علماء الفقه ودارسى علم العربية يصنف لهم هذا الكتاب حاويا المسائل المختلف فيها بين الفريقين.

٣- أن هذا يستدعى أن يذكر أدلة كل فريق ويسوق حجته فى مواجهة أدلة وحجج الفريق المقابل فقامت الرواية إذن مقام المواجهة والمشافهة ومن هنا سلكنا وجعلنا هذا الكتاب ممثلا للمنهج الجدلى فى الدرس النحوى العربى.

٤- أن المؤلف اعتمد فى هذا على ما صح عنده واتصلت روايته عن المحققين من كلا المذهبين وهذا يعنى أنه ترك من هذه المسائل أو هذه الأقوال ماعده غير محقق الرواية أو الثبوت فيما روى عن نحاة المذهبين وبلغ عدد هذه المسائل التى ثار الخلاف حولها إحدى وعشرين ومائة مسألة[١].

٥- أن الخلاف بين الفريقين لم يتطرق إلى أصول النظرية النحوية للنحو العربى وهي النظرية التى تدور مركزيا حول العامل النحوى، وانما اتخذ الجدل بن الفريقين صورا جزئية متعددة أدى إليها اختلاف الفريقين فى النظر إلى مفردات اللغة إلى المفهوم من بعض التراكيب ولذلك يمكننا أن نقرر أن النحاة - بعد سيبوه الذى دون نظرية النحو العربى كاملة - لم يأتوا بباب أو موضوع نحوى جديد، وهاك مظاهر الخلاف بين الفريقين.

(١) الانصاف صـ ٨٥٦

أ- خلاف حول تفسير عامل نحوى أو تعيينه كما فى عامل النصب فى الظرف المنصوب بعد المبتدأ نحو: محمد أمامك حيث ذهب الكوفيون إلى أن العامل فيه النصب هو ما سموه الخلاف وكذا عامل النصب فى المفعول معه أو الصرف كما فى عامل النصب فى المضارع الواقع بعد الفاء فى جواب الطلب وما شابهه"[١].

ب- الخلاف حول جواز تقديم بعض أجزاء الجملة أو عدم جواز تقديمه كما فى تقديم خبر (مازال) عليها عند الكوفين وامتناعه عند البصريين أو تقديم معمول اسم الفعل عليه فقد أجازه الكوفيون ومنع التقديم فى المسألتين البصريون[٢] وغير ذلك.

جـ- الخلاف حول تعيين علامة إعراب كما فى الأسماء الستة (المسألة)[٣].

د- الخلاف حول وظيفة بعض الأدوات مثل اللام الداخلة على المبتدأ أو خبر أن مثل:

لمحمد "ناجح أو إن خالدا لناجح فقد اعتبرها الكوفيون لام قسم مقدر فالأصل: والله لمحمد قائم، والمعنى يؤيدهم[٣].

هـ - الخلاف حول أصالة بعض حروف بنية الكلمة أو زيادتها مثل اللام فى (لعل)[٤] أو الخلاف فى المعوض عنه بالزائد كما فى ميم اللهم فالاتفاق على زيادتها قائم، ولكن الخلاف فى المعوض عنه بهذه الميم"[٥].

(١) انظر المسائل ٢٩، ٣٠، ٥، ٦، ١١.
(٢) انظر المسائل (٩)، ١٧، ١٨، ٢٧.
(٣) المسألة (٥٨).
(٤) المسألة ٢٦.
(٥) المسألة ٤٧.

و- الخلاف فى اعتبار بعض أجزاء الجملة من باب دون آخر كما فى اعتبارهم أي الكوفيون المفعول الثانى فى باب ظن وخبر كان حالا خلافا للبصريين فى اعتبار ذلك من باب الخبر وإن كان منصوبا بالعامل الداخل علي جملة المبتدأ والخبر"[١].

ز- الاختلاف حول إسميه بعض الألفاظ أو حرفيتها كما فى (ر ب) فقد اعتبرها الكوفيون اسما، أو اسميتها وفعليتها كما فى (نعم) فقد عدها الكوفيون من الأسماء، أو كونها فعلا أو حرفا مثل حاشا فقد اعتبرها الكوفيون فعلا"[٢].

ح- الخلاف فى الأصل المشتق منه بعض الألفاظ كما فى اسم فالكوفيون يرون أنه من الوسم أي العلامة والبصريون يذهبون إلى أنه من السمو أي العلو، أو فى جواز الاشتقاق لبعض المشتقات من بعض الألفاظ كما فى اشتقاق أفعل التفضيل من السواد والبياض حيث أجاز ذلك الكوفيون ومنع منه البصريون[٣].

ط- الخلاف حول بساطة أو إفراد بعض الألفاظ أو تركبها من أكثر من لفظ واحد كما فى "كم" فقد ذهب الكوفيون إلى كونها مركبة من الكاف وما الاستفهامية وذهب البصريون الى أنها مفردة وضعت لطلب العلم (الاستخبار) عن العدد"[٤].

ي- الخلاف حول إعراب بعض أجزاء الجملة أو بنائه بعد دخول العامل عليه مثل: اسم لا النافية للجنس حيث ذهب البصريون إلى بنائه على الفتح والكوفيون إلى اعرابه وكذا المنادى المفرد العلم فالبصريون على بنائه على الضم

(١) انظر المسألة ١١٩.
(٢) انظر المسائل ١٢١، ١٤، ٣٧.
(٣) انظر المسألة ١، والمسألة ١٦.
(٤) المسألة ٤٠.

والكوفيون على إعرابه، وكذا بناء فعل الأمر عند البصريين على السكون وإعرابه بالسكون جزما عند الكوفيين"[١].

ك- اعتبار بعض الألفاظ مفردا أو جمعا كما فى لفظ ايمن الله فى القسم حيث ذهب الكوفيون إلى اعتباره أى (ايمن) جمع يمين والبصريون إلى أنه مفرد لأن همزته همزة وصل وحذف أوله وثانيه وآخره وبقائه على حرف واحد فى قولهم: م الله لأفعلن"[٢].

ل- الاختلاف حول المعنى الدلالى لبعض الحروف كما فى خلافهم حول دلالة (من) الجارة على ابتداء الغاية فى الزمان حيث جوز ذلك الكوفيون وأباه البصريون وتأولوا ماورد من شواهد ذلك[٣].

م- الاختلاف فى الوزن الصرفى لبعض الألفاظ كما فى وزن: إنسان[٤] سيد وميت[٥]، خطايا[٦]، أشياء[٧].

ناهيك عن الخلاف فى بعض المصطلحات النحوية مثل الجر للبصريين والخفض للكوفيين وغير ذلك مما هو معلوم عند دارسى العربية[٨].

وما من شك فى أن هذه المظاهر المتعددة للاختلاف بين المذهبن انما ترجع إلى:

١- اتساع العربية وغزارة مادتها وتنوع طرق التأليف فيها للدلالة على المعانى المتعددة.

(١) انظر المسائل ٣٥، ٤٥، ٧٢.
(٢) المسألة ٥٩.
(٣) المسألة ٥٤.
(٤) المسألة ١١٧.
(٥) المسألة ١١٥.
(٦) المسألة ١١٦.
(٧) المسألة ١١٨.
(٨) انظر نشأة النحو صـ ١٣٠.

٢- اختلاف نظرة الفريقين إلى معانى بعض الألفاظ ومعانى بعض التراكيب فنظر كل فريق إليها من زاوية تخالف نظرة الآخر كما فى (ل)، (ك).

٣- نظرة كل فريق إلى القياس ومدى القلة أو الكثرة فيما يجوز القياس عليه كما فى توكيد النكرة مثلا فقد أجاز الكوفيون نمت يوما كله ومنع ذلك البصريون.

٤- النظرة إلى اللغة على أنها نشاط إنسانى لأداء وظيفة التعبير وميل كل فريق إلى اتجاه القبول بما يأتى به هذا السلوك أو رفض بعضه وإجازة البعض الآخر فى الإطار العام للنظام النحوى للغة ومن هنا نرى الكوفيين أكثر قربا من الواقع اللغوى فلم يكثر عندهم الشاذ والنادر كما كثر عند البصريين لمحاولتهم ضبط تراكيب اللغة بطريقة حاصرة جامعة ولكل وجهة والقصد بين الأمرين هو المطلوب.

وهذا يقودنا إلى ضرورة وإعادة قراءة هذا التراث النحوى الخالد والرجوع إلى مصادره الأولى ما أمكن لنا الرجوع بغية اعادة تنسيق البنيان النحوى العربى وتقديمه الى الدارسين للعربية فى هذا العصر بصورة ميسورة تمكن من إدراك أسرار التراكيب وفهم المراد منها وليكن فى صنيع عبد القاهر الجرجانى مناراً نهتدى به لينهض النحو فتنهض اللغة والله المعين وهو ولى القصد والصواب.

وقبل أن نبرح هذا الموطن نود أن نؤكد أن هذه المناهج متداخلة مترابطة يلمح القارىء مظاهرها فى كل كتب النحو التى مثلنا بها لهذه المناهج السالف ذكرها كما أن هذه المناهج نشأت فى فترة زمنية متقاربة لا ترقى لأن تكون عصورا منفصلة فالنظر النحوى ممتد والعربية باقية.

٤- المنهج التجريدي

رأينا فى المناهج الثلاثة السابقة كيف كان النظر إلى المعنى والاعتداد بالسياق ماثلا أمام أنظار النحاة فى الدرس النحوى فى بدايته الاستقرائية ،وفى الربط بينه وبين النصوص اللغوية فى منهجه التطبيقى ثم التعليل وتقعيد القاعدة القائم على المزاوجة بين الشكل أو التركيب والمعنى وتعدد تلك الأشكال أو الأساليب والاختلاف حول تصنيفها من أي الأبواب النحوية وما يعترى هذه الأشكال التركيبيه من تقديم وتأخير والاحتكام إلى المعنى أو القياس أو السماع فى النظر إلى هذه التراكيب مما أدى الى وجود المنهج الجدلى على نحو ما أوضحنا مظاهره فيما سبق.

وكان طبيعيا أن تأخذ الدراسة النحوية شكلا آخر بعد اكتمال البناء النحوى قواعد وتعليلا وحصر المسائل الخلافية بين كل من تعاطى هذه الدراسة خاصة بعد أن استقل بعض العلماء وتفرغوا للنظر فى معانى ودلالات التراكيب من خلال المقارنة بين المعانى فى شعر القدماء وشعر المحدثين أو المولدين وكل هذا وذلك كان الغرض منه إبراز معانى ودلالات الآيات القرآنية ولذلك نجد السكاكى[(١)] يؤلف كتابه "مفتاح العلوم" ويجعله على ثلاثة أقسام: دراسة بنية الكلمة فى ذاتها (علم الصرف)، دراسة بنية التراكيب اللغوية (علم النحو) دراسة دلالة التراكيب من ناحية المعنى (علم المعانى والبيان ومالحق بهما مما تعورف على تسميته بعلم البديع)[(٢)].

(ولم يكن النحاة ببعيد عن هذا الاتجاه الجديد فى الدراسات اللغوية اتجاه تخصيص كل علم بدراسة مقصد من المقاصد وهو ما يمكن أن نطلق عليه فى هذا

---

(١) من أشهر علماء العربية: أبو بكر يعق،وب يوسف بن أبى بكر ت سنة ٦٢٦ هـ

(٢) راجع فى هذا: البلاغة تطور وتاريخ د/ شوقى ضيف. ط سنة ١٩٧٥ دار المعارف.

المجال: المنهج التجريدى حيث تم تجريد[١] القواعد النحوية من كل ماعداها من دراسة الدلالة أو التطبيق على النصوص أو دراسة الأصوات أو دراسة اللفظ فى ذاته. بل جعل المؤلف أو الكتاب خاصا بالدراسة النحوية أى ذكر قواعد النحو وبيان اختلاف العلماء حولها ومناقشة آراء العلماء والترجيح فيما بينها، ولعل أول كتاب يمكن أن نرصد فيه هذه الظاهرة فيما وصل الينا هو كتاب "الأصول" لابن السراج ثم تلاه من حيث الفصل التام والتجريد التام لكل علم متصل بالنحو هو كتاب "المفصل"[٢] للزمخشرى حيث رتبه على أربعة أقسام بعد التمهيد بذكر الفرق بين الكلمة والكلام والقول.

الأول: المواقع الاعرابية التى يكون فيها الاسم من خلال ما يلحقه من علامات الإعراب وما يكون فيه الاسم فى حال بناء.

الثانى: الفعل وما يتعلق به من تصرف وجمود وعمله فى الجملة وما يتصل به من العوامل النحوية كاسم الفاعل وغيره.

الثالث: الحرف وأقسامه من حيث وظيفته الدلالية أو أثره الإعرابى.

الرابع: ما يشترك فيه الأقسام الثلاثة وما يعرض لها من حذف أو إعلال أو إبدال أو إدغام.

وهذا الذى صنعه الزمخشرى وان كان فيه تجريد لقواعد النحو فى غالب الكتاب إلا أنه ينبه لمنهج حديث فى دراسة الأساليب اللغوية هو ما يسمى: الوظيفة أو النحو الوظيفى حيث دراسة المواقع الإعرابية ودراسة عمل الأدوات وأثرها فى التراكيب اللغوية من حيث الإعراب والمعنى الدلالى[٣] وهو المنهج الذى سار عليه ابن هشام بعد فى "المغنى" من دراسة للقواعد النحوية من خلال

---

(١) انظر لسان العرب حادة : جرد. (٢) انظر ابن يعيش ١/٧١.
(٣) انظر: نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر للغوى الحديث صـ ٨٩، ٩٠.

الحروف الأبجدية "التى هى حروف المعانى" ثم دراسة القواعد من خلال التراكيب ووظيفة كل جزء من أجزاء الجملة ومن هنا تهيأ له عن طريق هذا المنهج أن يناقش السابقين من النحاة فيما ذهبوا إليه من تحليل اعرابى ودلالى لبعض آى القرآن الكريم كما هو ظاهر فى ثنايا الكتاب.

وهذا المنهج التجريدى قد بدأ منذ مرحلة باكرة فى مناهج النظر النحوى، حيث خلص أبو عثمان المازنى بعضا من مسائل التصريف عن موضوعات النحو وأبوابه شرحها أبو الفتح عثمان بن جنى فى كتاب «المنصف» (١)

وقد أسهم الأنبارى مؤلف "الإنصاف فى مسائل الخلاف" فى هذا الاتجاه أيضا وذلك فى كتابه "أسرار العربية" الذى كان الباعث عليه تيسير علم العربية على المتعلمين وعلى هذا فالغرض الذى من أجله ازدهر هذا المنهج هو غرض تعليمى يعين المتعلم على استظهار قواعد علم النحو وأصول التصريف بمعزل عن دلالات التراكيب وهو ما أدى بالنحو العربى فى نهاية المطاف الى أن يكون صوريا شكليا جل الاهتمام فيه إنما يقع على شكل الجملة من حيث السلامة النحوية دون نظر لما عداها فأفاد من جانب ولم يفد من الجانب الآخر يتبين ذلك من خلال طريقة السؤال والجواب تلك التى سلكها ابن الأنبارى رحمه الله فى هذا الكتاب. قال بعد حمد الله والثناء عليه:

«وبعد فقد ذكرت فى هذا الكتاب الموسوم "بأسرار العربية" كثيرا من مذاهب النحويين المتقدمين والمتأخرين من البصريين والكوفيين وصححت ما ذهبت إليه منها بما يحصل به شفاء الغليل وأوضحت فساد ما عداه بواضح الدليل، وأعفيته من الإسهاب والتطويل وسهلته على المتعلم غاية التسهيل....

(١) انظر الخصائص ٦١/١ وانظر المنصف ٢/١-٧.

باب علم ما الكلم

إن قال قائل: ماالكلم؟ قيل: الكلم اسم جنس واحده "كلمة" كقولك: نبقة ونبق ولبنة ولبن وثفنه وثفن وما أشبه ذلك. فإن قيل: ماالكلام؟ قيل: ماكان من الحروف دالا بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه. فإن قيل: فما الفرق بين الكلم والكلام؟ قيل: الفرق بينهما أن الكلم ينطلق على المفيد وعلى غير المفيد، وأما الكلام فلا ينطلق إلا على المفيد خاصة فإن قيل: فلم قلتم إن أقسام الكلام[1] ثلاثة لا رابع لها؟ قيل: لأنا وجدنا هذه الأقسام الثلاثة عبر بها عن جميع ما يخطر بالبال وتوهم في الخيال ولو كان ها هنا قسم رابع لبقى في النفس شيء لا يمكن التغيير عنه[2].

وبإحساس العلماء بحاجة المتعلمين العربية - بعد ضعف السليقة والملكة اللغوية - إلى ما ييسر على هؤلاء المتعلمين الإحاطة والمعرفة لقواعد علمي النحو والصرف، إضافة الى الرغبة الكامنه في النفوس لإظهار التميز والعلم وضع العلماء الكتب المختصرة الجامعة لمسائل هذين العلمين في فصل تام وتجريد كامل لها عن أي اعتبار آخر ومن أبرز الكتب التي يظهر فيها هذا المنهج التجريدي كتاب "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"[3] لابن مالك.

وهناك صورة أخرى لهذا المنهج وهي قائمة على اختيار بعض المسائل النحوية وجعلها مادة للنقاش أو البحث أو التصنيف وقد صنع وفق هذا المنهج التجريدي الانتقائي بعض العلماء كتبا في النحو على ذلك الأساس ومن هؤلاء: أبو علي الفارسي في "المسائل المسكلة" "الحلبيات" وغيرها وحذا حذوه ابن

(١) الظاهر أنه يقصد الكلم: اسم وفعل وحرف ولكن المثبت هو مافي المطبوع صـ ٣.
(٢) انظر أسرار العربية ٢ -٤.
(٣) حققه: محمد كامل بركات سنة ١٩٦٨، القاهرة.
(٤) أبو علي الحسن بن أحمد من مشاهير النحاة ت ٣٧٧هـ نشأة النحو صـ١٧٢.

جنى[1] تلميذه فله "الخاطريات" ومن ذلك ما حمل عنوان: الأمالى كما فى "أمالى" ابن الشجرى، "والأمالى النحوية" لابن الحاجب وغير ذلك مما لم تذكره اكتفاء بالتنبيه عليه بما ذكرناه مثل كتاب "الكافيه" في النحو و"الشافية" فى التصريف لابن الحاجب وتطور هذا المنهج إلى حد وضع المتون المختصرة ونظم القواعد فى قوالب شعرية على نحو ما صنع ابن معطى[2] وتبعه فى ذلك ابن مالك و"الألفية" علم مشهور على هذا اللون من المنهج التجريدى فى النحو العربى"[3].

وهكذا نشأ المنهج التجريدى فى النحو العربى ليظل باقيا حتى يومنا هذا، لأن الغرض منه تعليم طالب العربية قواعد النحو وأصول علم التصريف من خلال النماذج أو القوالب النحوية دون اهتمام بالمعنى مع ترديد للشواهد التى ساقها القدماء دون زيادة عليها الا نادرا مما جعل الناظر فى النحو لا يرى فى هذه الكتب إلا اختلافا فى ترتيب الأبواب أو ترجيح رأى دون آخر، وقد أدى هذا بطلاب العربية الى استظهار هذه القواعد دون القدرة على استخدامها وسيلة لاستخراج معانى النصوص العربية فضلا عن الالتزام بهذه القواعد أثناء الحديث وإلقاء الخطب وغير ذلك على ماهو مشاهد لا ينكر ذلك أحد.

أثر المنهج التجريدى فى الدراسات النحوية

أفضى المنهج التجريدى فى البحث النحوى بالدراسات النحوية إلى الاهتمام بحشد القواعد النحوية فى سلك واحد بعيدا عن سياقها اللغوى مع الاهتمام الفائق بنقل أقوال العلماء وآرائهم واعتراضاتهم على بعضهم البعض، واستنباط آراء مستجدة فى المسائل النحوية كما فى أقوال النحاة المغاربة والأندلسيين[4] فضلا عن علماء المشرق وكان من أثر ذلك:

(١) أبو الفتح عثمان ابن جنى ت ٣٩٢ هـ - السابق.
(٢) أبو الحسين زين الدين بن عبد المعطى ت (القاهرة) ٢٦٨ هـ السابق.
(٣) انظر نشأة النحو صـ ١٩١، ١٩٢.

أ- حصر الدراسة النحوية فى استظهار القواعد وأقوال العلماء.

ب- الترتيب على ما سبق جمود الفكر النحوى نتيجة عدم وضعه فى موضعه من السياق اللغوى أو الظاهرة اللغوية.

جـ- صعوبة الدراسة النحوية لإ يغالها فى التجريد.

وقد أدت هذه العوامل إلى ظهور منهجين آخرين هما:

-المنهج النقدى-

ولا نقصد هنا نقد العلماء لآراء بعضهم البعض فذلك المظهر موجود فى كافة المناهج النحوية وهذه هى طبيعة العلوم الإنسانية حيث تكون النظرة الذاتية - الشخصية - للأمور المتعلقة بهذه العلوم الإنسانية فاختلاف الآراء وتنوع المسالك وتعدد المذاهب أمر لازم لهذه العلوم. ولكننا نقصد بالنقد هنا: نقض الأساس الذى قام عليه الهيكل أو البناء النحوى، وكأن هذا المذهب أو المنهج قد قام ردا على ما آل اليه أمر النحو من تضخم قواعده وتشعب الآراء فى النظر إلى مسائله على صورة تجعل الدارس فى حيرة من أمره مما أدى إلى نفور كثير من المشتغلين بغيره من العلوم فيه وبات الأمر فى حاجة إلى إصلاح حال هذا العلم الخطير لينهض بالأمر الذى وضع من أجله وهو حماية العربية السليمة من ركاكة الأسلوب وخطأ العبارة وما يستتبع ذلك من استغلاق القرآن الكريم وغيره من تراث الثقافة العربية الإسلامية على الافهام وهو الأمر المشاهد عند الكثرة الكاثرة من العرب المسلمين حتى يوم الناس هذا.

نشأ المنهج النقدى للنحو العربى فى الأندلس على يد القاضى أبى العباس

أحمد بن عبد الرحمن اللخمى القرطبى المعروف بابن مضاء[1] (ت ٥٩٢ هـ) الذى ألف كتابا مختصرا سماه "الرد على النحاة" متأثرا فيه بالمذهب الظاهرى الذى يعطل الفكر ويبطل عمل العقل فى النصوص الشرعية ويأخذ بظاهر هذه النصوص وجريا على هذا المذهب فى الفقه فإنه رأى أن النحو - بعد أن اتسعت مذاهب القول فيه وتفرعت العلل والأقيسة لمسائله - ينبغى أن يعود بسيطا يقتصر فيه على معرفة المكونات الظاهرة للجملة وعلى ذلك فلا حذف، ولا تقدير ولا إضمار وهى الأمور التى تولدت عن القول بالعامل النحوى، أى أنه يريد أن ينقض ويهدم الأساس العقلى للنحو العربى ولذلك اتجه فى نقده للنحاة أو للنحو على وجه الدقة الى:

١- طلب إسقاط القول بالعامل النحوى والقول بالتعليق بدلا عنه.

٢- ترتيبا على ذلك فلا وجه للقول بإضمار العوامل أو تقديرها أو تقدير الضمائر فى بعض صور الجملة.

٣- إبطال القول بالعلل النحوية الثوانى منها والثوالث.

٤- إبطال القياس ومنعه طريقا أو دليلا من أدلة النحو.

٥- اسقاط مسائل التمارين وهى الخاصة بمعرفة كيفية صياغة لفظ لم تنطق به العرب - فيما ورد إلينا عنهم - على مثال ما نطقوا به مثل: صياغة ضرب من ضرب على مثال دحرج هذا وتلاقى هدف ابن مضاء مع رغبة بعض المحدثين عربا وغير عرب من الباحثين فى العربية حيث تعرض النحو العربى فى هذا القرن منذ نهاية نصفه الأول والى وقتنا هذا إلى عاصفة هو جاء من النقد لا يرى أصحابها بديلا عن هدم البنيان النحوى العربى[1] وليس هذا موطن بيان أوجه النقد والرد عليه.

---

(١) نشأة النحو ص ١٩٧، ١٩٨.

(١) راجع هذا بالتفصيل فى« فى الدراسات النقدية للنحو العربى سنة ١٩٩٤».

المنهج السردى[1]

كان لبلوغ النحو العربى هذا الحد من التنوع فى الأراء وتضخم مسائله الفرعية وكثرة الاحتجاجات والتعليلات إضافة إلى كثرة الكتب المؤلفة فيه أن أصبح علما لا مجال للنظر فيه من ناحية جوهره وأصوله واقتصر النظر فيه على التفنن فى عرض مسائله اقتفاء مرة بالفقهاء كما صنع صاحب الإنصاف وكما صنع السيوطى فى "الاشباه والنظائر" أو شرح المتون أو الكتب الموجزة التى أفرزها الأخذ بالمنهج التجريدى، وشرح التسهيل لابن مالك ولناظر الجيش وغيره وكذا شروح الألفية أو الاهتمام بالمسائل النحوية وشرحها من خلال الحروف والأدوات كما صنع صاحب «الجنى الدانى» والمالقى فى كتاب "رصف المبانى" كل هذا يمكن أن نطلق عليه: المنهج السردى حيث يسرد المؤلف آراء العلماء فى المسألة سردا وقد يوازن بين هذه الآراء مستعينا فى هذه الموازنة بآراء السابقين حتى شيوخه أو بدون هذه الموازنة أو الترجيح بين هذه الآراء، ففى هذا المنهج – الى جانب تجريد القاعدة النحوية عن بقية الظاهرة اللغوية – سرد وحصر وذكر للآراء المتعددة والخلافات بين العلماء فى هذه المسألة أو تلك خاصة فى الفروع، لأن أصول الأبواب أو المعانى النحوية لاخلاف فيها، وأصدق مثال لهذا المنهج هو ماصنعه السيوطى فى كتابة "جمع الجوامع" والذى شرحه معلقا عليه بشرح سماه: همع الهوامع. ونراه يوضح مقصده بقوله هذا بقوله فى تقديمه لهذا الكتاب:«يقول عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى الشافعى لطف الله به:

(١) السرد فى الغه : تقدمه إلى شئ تأتى به شقا بعضه فى إثر بعض متتابعاً. اللسان : سرد.

سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأصلى وأسلم على من خصصته بروح قدسك،، (وبعد):

فإن لنا تأليفا فى العربية جمع أدناها وأقصاها، وكتابا لم يغادر من مسائلها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ومجموعا تشهد لفضله أرباب الفضائل وجموعاً قصرت عنه جموع الأواخر والأوائل، حشدت فيه مايقر الأعين ويشنف المسامع، وأوردته مناهل كتب فاض عليها همع الهوامع وجمعته من نحو مائة مصنف فلا غرو أن سميته جمع الجوامع .

ففى هذه المقدمة نرى :

أ - أن النحو عندهم هو العربية.

ب - أن الغرض هو حشد أراء وأقوال السابقين.

جـ - أنه لم يسبق إلى هذا العمل أحد قبله.

د - أنه قد جمعه من نحو مائة مصنف من أمهات كتب النحو.

وبعد فهذه جولة فى تاريخ النحو العربى من حيث مناهج البحث فيه لا من حيث نشأته ونموه وتطوره، وانما من حيث طرائق التأليف فيه والبحث فى أصوله وفروعه فهى أى هذه الدراسة الموجزة تكميل لدراسة تاريخ النحو فى نشأته وتطوره.

أسأل الله تعالى أن ينفع بها وأن تكون طريقا يوصل إلى مزيد من الدراسات النحوية الرامية إلى كشف ما للنحو من خطر وأثر حتى تنهض به لغتنا كما نهضت به فى سالف عصرها والله الموفق الى سواء السبيل وهو وحده من وراء القصد.



الامام المغيلى وتأثيره الثقافى فى بلاد السودان الغربى

دكتــور

السيد أحمد السد الباز

قسم التاريخ والحضارة الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يتناول هذا البحث شخصية مهمة من الشخصيات العلمية التى كان لها أثر كبير فى نشر الثقافة الاسلامية فى بلاد المغرب والسودان الغربى فهو ينتسب إلى قبيلة مغيلة التى تقطن نواحى تلمسان، وشب وترعرع فى مدينة تلمسان التى كانت مزدهرة آنذاك بالعلماء والعلوم ومن مظاهر ذلك أن أهلها تكلموا اللغة العربية منذ وقت مبكر (القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى) وتلقى العلوم علي كبار العلماء بتلمسان وغيرها من مدن القطر المغربى الأخرى، حيث أخذ العلم عن شيوخ كبار من أمثال الشيخ عبد الرحمن الثعالبى والشيخ يحيى التدلسي وغيرهما.

وقد ترك هذا الإمام أكثر من أربعة عشر مؤلفا معظمها فى اللغة العربية والفقه، وبعد إتمام دراسته انتقل إلى الصحراء جنوبا فى مدينة توات لضيقه الشديد من الاحتكارات اليهودية للتجارة فى الشمال، ولكنه وجد الاحتكارات اليهودية فى الجنوب أيضا، ومما زاد من ضيقه أنه وجد بعض الحكام يسيرون على سياسة اليهود كأنهم صنائع لهم، فهاجمهم هذا الإمام اليهود وهدم معابدهم.

وكان له أيضا أنصار فى هذا المجال من طلاب العلم والعلماء، وارتحل هذا الإمام الى مدن السودان الغربى مثل كانو و كاتسينا وكشن وجاو واتصل بسلاطين تلك البلاد، وكتب لهم رسائل عديدة تتضمن النصيحة والارشاد فى مجال السياسة والدين يسيرون على هديها، وكان من أبرز هؤلاء السلاطين محمد ابن يعقوب سلطان كانو، والحاج أسكيا محمد سلطان صنفى، وكان له تلاميذ

كثيرون فى هذه البلدان من أمثال العاقب الأنصمى والامام أيد أحمد والفجيجى وغيرهم.

وكانت له علاقات ثقافية مع علماء عصره فى بلاد المغرب وغيرها من الأقطار الاسلامية، وكان من أبرز هذه العلاقات ما حدث بينه وبين الامام السيوطى المصرى من مراسلات حول علم المنطق من حيث الحل والحرمة، وانتصر فيها الإمام المغيلى مما يدل على تبحره فى العلم وموسوعيته فيه.

وتوفى هذا العالم الكبير بمدينة توات عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م بعد كفاح طويل فى نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية ومناهضة الخطر اليهودى فجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء إنه نعم المولى ونعم النصير.

عصـــــره:

كان عصر الامام المغيلى (القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى) بتلمسان وبالمغرب العربى عامة عصر نشاط وازدهار ثقافى رائع كما كان القرنان الثامن والسابع قبله، وقد نبغ فى هذا العصر عدد كبير من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والكتاب والشعراء وغيرهم.

وكان للدراسات الفقهية والكلامية النصيب الأوفر، كما كان لنشاط الأبحاث الصوفية أثر فى السمة العامة لروح ذلك العصر(١).

ففى هذا العصر نبغ العلامة/ قاسم بن سعيد بن محمد العقبانى المتوفى عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، والعلامة محمد بن أحمد مرزوق الحفيد المتوفى فى عام ١٤٣٨/٨٤٢م.

والصوفى الكبير إبراهيم التازى المتوفى عام ٨٦٦هـ/١٤١١م، والعلامة الفقيه الرياضى محمد بن يحيى التلمسانى الشهير بلقب الحباك المتوفى عام ٨٦٧هـ/١٤٦٢م.

والعلامة عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبى المتوفى عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، وابن مرزوق الكفيف المتوفى عام ٩٠١هـ/١٤٩٥م، والعلامة أحمد بن يحيى الونشريشى صاحب المعيار المتوفى عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م وانعلامة المتكلم الأشعرى محمد بن يوسف بن عمر شعيب السنوسى صاحب التآليف فى العقائد المتوفى عام ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م.

---

(١) المغيلى: مصباح الأرواح فى أصول الفلاح، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، ١٩٦٨م، ص٧.

والامام العلامة الحافظ التنسى المتوفى عام ٨٩٩هـ/١٤٩٣م، والعلامة محمد بن أبى القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشذالى، والعلامة أحمد بن ذكرى التلمسانى المتوفى عام ٨٩٩هـ/١٤٩٣م، وغير هؤلاء الأعلام الذين يزدان بهم القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى(١).

فى هذه البيئة الثقافية نشأ الامام محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلى ومن مناهلها كرع، ولا شك أن تأثيرها فيه كان كبيرا.

تعريف ونشأة:

هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلى (٢) التلمسانى(٣).

(١)المصدر السابق، ص٨ - ٩.

(٢)ينتسب هذا الامام إلى قبيلة مغيلة التى كانت تقطن نواحى تلمسان ولا نعلم تاريخ ولادته بالضبط، غير أن وفاته كانت فى سنة ٩٠٩هـ انظر المغيلى: أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلى، تقديم وتحقيق الاستاذ عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، بدون تاريخ، ص٨.

(٣) تلمْسان: بكسر التاء واللام وسكون الميم مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر إحْدَاهما قديمة والأخرى حديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزى فيها يسكن الجند، وأصحاب السلطان، وأصناف من الناس، واسم القديمة أقادير يسكنها الرعية فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر، ومنها إلى وهران مرحلة. انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربى مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، المجلد الأول، ص٤٥٤، البغدادى مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد على البجاوى، دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ص٢٧٢.

وتلمسان مدينة مشهورة، قاعدة مملكة، ولها حصون كثيرة وملوك تلمسان المشهورين من بنى عبد الواد، وتقع مدينة فاس المشهورة جنوب غرب تلمسان مما يدل على قربها من أهم مراكز الثقافة الاسلامية والعربية فى ذلك العصر. انظر أبو الفداء تقويم البلدان، دار صادر بيروت ١٨٢٠، ص١٣٦ - ١٣٧. وقد تملكها ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن على بن أبى طالب رضى الله عنهم مما يدل على مكانتها الدينية المرموقة: انظر: ابن خرداذبة. المسالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد، بدون تاريخ، ص٨٨، ففى تلمسان عاش ولد سليمان بن الحسن بن على ابن أبى طالب، ومنهم القاسم بن أحمد بن محمد بن سليمان صاحب تلمسان. انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، دار المعارف بمصر، ١٩٤٨م، ص٣٣ - ٣٤.

والحقيقة أن المسلمين فى كل مكان يحبون الأشراف من نسل الحسن والحسين رضى الله عنهما، فلقد كان الحسن من كبار الأجواد، وله الخاطر الوقاد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حبا شديدا. انظر : سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص، مؤسسة أهل البيت، بيروت، بدون تاريخ ص١٧٧

وأهل تلمسان يتكلمون اللغة العربية منذ القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى)وأهلها على المذهب المالكى منذ ذلك الوقت ... وتدل السنن والعادات المرعية فى هذه المدينة على أن ثقافتها الغالبة أصيلة وليست دخيلة عليها من بلدان أخرى . انظر: دائرة المعارف الاسلامية، دار المعارف =

بدأ دراساته الأولى بتلمسان ثم هاجر إلى مدن القطر المغربى[1].الأخرى، وأخذ العلم بها . عن أهلها.[2]

شيوخه:-

تتلمذ المغيلى علي يد طائفة كبيرة من علماء عصره من أبرزهم:

الامام عبد الرحمن الثعالبى: هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف

= الاسلامية بيروت، بدون تاريخ، جـ ١٠، ص٤٢. ولقد شجع الملوك والأمراء فى هذه المدينة على العلم والتدين الصحيح على مر العصور ومن أشهرهم فى ذلك بنى عبد الواد الذين كانوا يهتمون بالمناسبات الدينية بما هو فوق الوصف . انظر الحسنى تحفة الزائر فى أخبار الجزائر، المطبعة التجارية بالاسكندرية، ١٩٠٣م، ص٥٧.

ولذا قال عنها الوزير ابن الخطيب إنها "قاعدة الملك، وقلادة البحر، وأصبحت للغرب بابا وللعلماء صدفا، انظر: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق د/محمد كمال شبانة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٦م ص٦٧ ولذا قصدها العلماء والأولياء من كل حدب وصوب، ومما يدل على كثرة علمائها وأوليائها ما ذكره ابن مريم فى كتابه"البستان فى ذكر العلماء والأولياء بتلمسان " فلقد ذكر كثرة كاثرة من علمائها وأوليائها. انظر البستان فى ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ديوان المطبوعات بالجامعة، الجزائر، ١٩٠٨م ص٥.

ويكفيكها فخرا أنها استضافت عددا كبيرا من علماء الأندلس المشهورين خاصة بعد محنتهم على أيدى النصارى، وكان على رأس هؤلاء الوزير بن الخطيب الذى قال عنه الامام الشوكانى لسان الدين ابن الخطيب محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني القرطبي الأصل، مما يدل على توطنه بهذه المدينة العريقة انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ١، مطبعة السعادة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ، ص١٩١، ويقال أنها القرية التى ذكرها الله تعالى فى قصة الخضر عليه السلام ولكن ذلك مستبعد لبعدها عن الأحداث آنذاك فى مصر وفلسطين ومجمع البحرين انظر: القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط وآخر، عالم الكتب، بيروت، الطبعة، الأولى، بدون تاريخ، مجلد٣،ص٣٤٠. وهى الآن تابعة للجمهورية الجزائرية.

(١) المغرب فى هذه العصور كان يمتد من حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسى غربا أى يشمل دول المغرب المعروفة الآن باسم مراكش (المغرب) والجزائر، وتونس وليبيا، وهى بلا شك مساحة كبيرة، ويؤكد عبد الواحد المراكشى ذلك بقوله"المغرب الأقصى إلى الجزائر إلى تونس إلى حدود مصر الغربية"انظر المغرب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د/محمد سيد العريان، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة، ١٣٨٣هـ،ص٣٤٣.

(٢) ثم بين المقدسى حدود البلاد من الجنوب قائلا"ومن قبل الجنوب بلاد"السودان" انظر: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مطبعة بريل ١٩٠٩م،ص٦٢.

الثعالبى، كان حجة عالما زاهدا ورعا، وليا لله ناصحا صالحا، اشتهر بالثعالبى، صاحب التصانيف الكثيرة والمفيدة.

كان من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصالحين[١]. قال السخاوى فى حقه: كان إماما علامة مصنفا اختصر تفسير ابن عطية فى جزأين، وشرح ابن الحاجب فى جزأين، وعمل فى الوعظ والرقائق وغيرهما، توفى عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م[٢].

الامام يحيى بن بدير: وهو الفقيه العالم العلامة يحيى بن بدير بن عتيق التدلسى، قاضى توات[٣]أخذ عن الامام ابن زاغو وغيره، توفى عام ٨٧٧هـ/١٤٧٢م[٤].

كما أخذ عن غيرهما من العلماء[٥].

رحلات المغيلى العلمية:

كانت لهذا الامام رحلات علمية جاب فيها بلاداً إسلامية، خاصة بلاد السودان الغربى[٦] ينشر فيها الإسلام والثقافة العربية والاسلامية.

---

(٢) المغيلى: مصباح الأرواح فى أصول الفلاح، تحقيق الاستاذ رابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٦٨م، ص١٠.

(١) أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الاسلامية بطرابلس ليبيا، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، جـ١ ص٢٥٧.

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدسى بالقاهرة، ١٣٥٣هـ جـ٤ ص١٥٢.

(٣) توات: مدينة مغربية صحراوية قريبة من بلاد السودان أخذ الامام المغيلى العلم فيها على كثير من علمائها أبرزهم الأمام يحيى بن بدير، وفيها عاش الامام مدة طويلة ودفن بها. انظر: المغيلى: مصباح الأرواح،صـ ١٩.

(٤) أحمد بابا: مصدر سابق ص ٢٥٧.

(٥) المغيلى: مصباح الأرواح، صـ ١٠.

(٦) تنقسم بلاد السودان إلى ثلاثة أقسام: أ- السودان الغربى وهو يشمل حوض السنغال وغينيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط. ب - السودان الأوسط: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد. =

ويشير أحمد بابا التنبكتى إلى رحلاته العلمية فى بلاد السودان الغربى قائلا: "ثم دخل بلاد أهر [٢] ودخل بلاد تكده[٣]. واجتمع بصاحبها، وأقرأ أهلها وانتفعوا به، ثم دخل بلاد كانو[٤] وكشن[٥]من بلاد السودان، واجتمع بصاحب كانو واستفاد عليه، وكتب له رسالة فى أمور السلطنة يحضه فيها على اتباع الشرع وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده"[٦].

ولماذا توجه هذا العالم الفاضل إلى بلاد السودان مثل غيره من علماء عصره وبلاده؟ الحقيقة أن الإسلام وصل إلى هذه البلاد (السودان الغربى) عن طريق دول المغرب الاسلامى المتعاقبة من أدارسة ومرابطين وموحدين وغيرهم.

جـ - السودان الشرقى وهو يشمل مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة والذى يهمنا فى دراستنا هو = النوع الأول. انظر: عبد القادر زيادة: مملكة سنغاى، الجزائر، بدون تاريخ صـ ١٥.

ويطلق المؤرخون على هذه البلاد اسم انفاق الميسور في ذكر بلاد التكرور تحقيق وزارة الأوقاف المصرية، ١٩٦٤، ص ٢٣، وهذه الكلمة علم على هذا الإقليم. انظر: محمد بلو: مصدر: سابق، ص ٢٣.

ويفصل الوزان هذه البلاد قائلا بعد زيارته المشهورة لها: ولا أريد أن أغفل أنى ذهبت إلى خمسة عشر مملكة فى بلاد السودان ومكثت فيها مدة تبلغ ثلاثة أضعاف المدة التى قضيتها على الطريق، وكل هذه الممالك كانت معروفة جدا لتلك الممالك التى أقمت فيها وسأذكر أسماء هذه الممالك بدءاً من المغرب سائراً فى إتجاه الشرق وهى ولاتة وجنى، ومالى، وتنبكت، وغاو، وغوبر، وكانو، وكاتسينا، وبفرن، وانقارة، وبورنو، وغاوغة، والنوبة، انظر: وصف أفريقيا، المملكة العربية السعودية الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م صـ ٤١.

(٢) بلاد أهر: بلاد واسعة وقيعان ممتدة يعمرها التوارك وبقايا صنهاجة وبقايا السودان وهى أول إقليم من أقاليم السودان المتاخم لبلاد المغرب. انظر: محمد بلو: مصدر سابق، صـ٣٥.

(٣) تكدة: مدينة من مدن السودان المشهورة وقابل الامام المغيلى تلميذه أيد أحمد الذى أخذ عنه العلم بهذه المدينة المصدر السابق، ص ١٣.

(٤) كانو: مدينة كبيرة عاصمة لدولة وكان أميرها محمد بن يعقوب يشجع العلم وقابله الامام المغيلى، وكتب نصائح له ولشعبه انظر: المغيلى: مصباح الأرواح،صـ ٧٣ - ٧٧.

(٥) كشن: مدينة من مدن السودان الغربى، ومن علمائها المشهورين العلامة محمد الكشناوى الذى رحل للشرق وحج وجاور ودفن بمصر. انظر: محمد بلو: مصدر سابق، ص٤٧٧.

(٦) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، جـ٢، ص٥٧٧.

وقد تدفق الاسلام وثقافته من بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربى بصور، كثيفة وعلى نطاق واسع من القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى"[١].

فبلاد المغرب العربى الكبير كانت تمثل موطنا هاما من مواطن الحضارة العالمية فى فترة العصور الإسلامية، وكانت مدنها[٢] مراكز هامة للتجارة، وكانت أوروبا نفسها تفيد من إزدهار هذه الحضارة فى تلك الأقاليم الإسلامية[٣].

والحقيقة أن التأثير المغربى على هذه البلدان حدث منذ وقت مبكر،وقد كان لدولة الأدارسة ١٧٢هـ/٧٧٨م التى قامت فى المغرب الأقصى بعض النفوذ على بلاد السودان[٤]. وفى هذا دليل قوى على قدم العلاقات بين الطرفين السودانى والمغربى.

،مما ساعد على ذلك قرب المسافة بين بلاد السودان وبلاد المغرب العربى، يقول الدمشقى: بأنها أقرب البلاد إلى بلاد السودان وأقربها من صحارى البربر مدينة كوكو"[٥]و(جاو) ويقول المقريزى مشيرا إلى ذلك: "وإلى غانا تسير

(١) حسن محمود: الاسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٨٦م، ص١٤٣.

(٢) يقول الاسطخري عن مدينة القيروان: "هى أجل مدينة بأرض المغرب" انظر: المسالك والممالك، د/محمد الحينى، مصر ١٩٦١م ص ٣٤، ويؤكد الحميرى ذلك بقوله"إن القيروان هى قاعدة الاسلام الأولى فى البلاد الافريقية.. والغالب على أهلها التمسك بالخير والوفاء بالعهد والتفنن فى العلوم. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة بالقاهرة، ١٩٧٥، ص٤٨٦ - ٤٨٧.

ويعلل الدباغ هذه المكانة السامية لهذه المدينة: "أول قبلة سجد فيها لله سراً وعلانية فى بلاد المغرب وما والاها وقد دعا لها القائد الصالح عقبة بن نافع: اللهم املأها فقها وعلما. انظر: معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شبوح مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٦٨م، جـ١، ص٦ - ٧.كما وضح ابن أبى زرع مكانة مدينة فاس قائلاً وهكذا أصبحت مدينة فاس مدينة من مدن العالم المشهورة وكعبة يحج إليها طلاب العلم من كل البقاع : انظر الأنيس المطرب القرطاس فاس بالمغرب، ١٣٠٥، ص٦٤.

(٣) جلال يحيى: المغرب الكبير، الدار العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٩م جـ٣ صـ١.

(٤) ابن خردازبة: المسالك والممالك، ليدن، ١٨٩٩، ص٨٨ - ٨٩.

(٥) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى بغداد، بدون تاريخ ص٢٤٠.

التجار المغاربة من سجلماسة[١] فى بر مقفر ومفاوز عظيمة نحو خمسين يوما"[٢]وهذه المفاوز كانت تسلك من مواضع معروفة لهؤلاء التجار"[٣].

وكانت القوافل التجارية التى كانت تصل بين بلادالمغرب وبلاد السودان الغربى والأوسط تسير على طريقتين:

الأول: الطريق الغربى من مراكش إلى السنغال والنيجر.

الثانى: الطريق الأوسط من طرابلس إلى غدامس وغات إلى النيجر"[٤].

ونجد أن التأثير المغربى أقوى من غيره، وذلك لأن أوضاع هذا الاقليم كانت تهيؤه للزعامة السياسية والثقافية والدينية فى هذه المنطقة من أفريقيا، فهو فى موقع استيراتيجى فى ملتقى عدة تيارات حضارية فهو يتقبل حضارة المشرق الاسلامى، كما أنه يتلقى مؤثرات البحر المتوسط والمؤثرات الأندلسية، خاصة بعد تفكك الأندلس بالإضافة إلى المؤثرات الأفريقية"[٥].

والذى دفع المغاربة إلى نشر الاسلام والثقافة العربية فى هذه المنطقة سواء عن طريق الجهاد بالسيف[٦]أو عن طريق الجهاد بالكلمة الطيبة هو تدين

(١)سجلماسة مدينة فى جنوب المغرب فى طرف بلاد السودان انظر: القزوينى: مصدر سابق، ص٤٢.
(٢)الالمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الاسلام، مطبعة التأليف بالقاهرة ١٨٩٥م ص ٢٢.
(٣) الاصطخرى: مصدر سابق، ص٣٧.
(٤) الشاطر بصيلى: تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، ص٤٠٩.
(٥) المراكشى: (عبد الواحد) نفس المصدر ص١١٠.
(٦) أول من فتح باب الجهاد فى بلاد السودان هو الأمير أبو بكر عمر اللمتونى واستولى على تسعين مرحلة من بلادهم. انظر: ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧٨م جـ٦، ص١٨٤. وأدى ذلك الأمر إلى استشهاد هذا الزعيم المخلص للدين وانتشاره على أرض السودان، ولكنه استطاع أن يضم جزءاً كبيراً من دولة غانا الوثنية إلى دولة المرابطين القوية. انظر: المقرى: الجمان من مختصر أخبار الزمان، مخطوطة دار الكتب المصرية، تحت رقم١٤١٦، ورقه ٢١. وأسلم أهل غانا بذلك على يد المرابطين، وحملت الدعوة على أيديهم بعد ذلك إلى بقية بلاد السودان الغربى. انظر: حسين مؤنس: أطلس تاريخ الاسلام، القاهرة، ص٣٧٣.

البربر[1] الشديد، فمؤسس دولة المرابطين فقيه مالكى من فقهاء المغرب الأقصى استقدمه زعيم جدالة للتمكين للاسلام الصحيح فى نفوس الناس، واستطاع هذا الفقيه أن ينجح فى دعوته، وانطلق إلى الجهاد فى صحراء بلاد السودان"[2].

كما كان لزعيم الموحدين (ابن تومرت) أبو عبد الله محمد بن تومرت الحسنى جهود موفقه فى نشر الاسلام والعلم فى تلك الجهات أنه كان فقيها فاضلا محدثا عارفا محدثا بأصول الفقه والدين محققا لعلم العربية، واستطاع أن يربى أتباعه على التثقيف والزهد وحب الجهاد"[3].

كذلك كان التدين الشديد والاهتمام بالعلم هو السمة الغالبة على الحكام المرينيين فلقد شجعوا التأليف[4] وجمعوا الشرائع الدينية ونسقوها كما أنشأوا المكتبات العامة، خاصة مكتبة مسجد القرويين التى أنشأوها سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م"[5].

---

(١) اختلف العلماء فى نسب البربر فبعضهم يدخلهم فى العرب على الاجمال وبعضهم يدخلهم فيهم على التخصيص، وبعضهم يخرجهم عن العرب جملة وهذا هو الصحيح فهم فقط مسلمون مخلصون لدينهم وكفاهم فخرا ذلك الانتساب إلى الإسلام الذى هو أعلى من كل شئ. انظر: القلقشندى قلائد الجمان فى التعريف بعرب الزمان، تحقيق إبراهيم الابيارى، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٦٧.

(٢) النويرى: الأرب فى فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ٢٤، ص٢٥٣ - ٢٥٩.

(٣) المصدر السابق، جـ٢٤، ص٢٧٧ - ٢٨٩.

(٤) من مظاهر تشجيعهم للتآليف القيمة ما ألفه العلامة أبو الحسن الخزاعى التلمسانى وهو كتاب: "تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، وهو كتاب فريد يدل على عبقرية كاتبه، وعلى عناية ملوك بنى مرين وسلاطيتهم بتشجيع العلم، قال فى إهدائه للأمير المرينى: المتوكل على الله أبى عنان فارس ابن موالينا الخلفاء الراشدين أسود العرين وملوك بنى مرين أيده الله على العادة فى اتحاف الملوك. انظر: التلمسانى: تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق الشيخ أحمد محمد أبو سلامة، القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١ - ٥.

(٥) محمود شيت خطاب: قادة الفتح فى المغرب العربى، دار الفتح العربى بيروت، ١٩٦٦م، ص٢٠١.

ويعلق المؤرخ السودانى السعدى على هذا التدين الشديد عند حكام المغرب بقوله"وهم على دين الاسلام، واتباع السنة، وهم يجاهدون السودان"(١).

وكانت الظروف مواتيه تماما فى بلاد السودان لاستقبال هؤلاء العلماء المخلصين أمثال الامام المغيلى من جانب الملوك وشعوبهم فلقد كان الملوك شديدى التدين، ولقد أشار المؤرخ السودانى المعاصر محمود كعت التنبكتى إلى ذلك قائلا عن الحاج محمد الاسكيا الكبير(٨٣٥هـ - ٨٩٩هـ/١٤٩٣-١٥٢٨م) بأنه اجتهد بإقامة ملة الاسلام وإصلاح أمور الأنام"(٢).

كما كانوا كرماء مع العلماء يقول الرحالة ابن بطوطة عن الملك منسا موسى سلطان دولة مالى(٧٠٧ - ٧٣٣هـ/١٣٠٧ - ١٣٣٢)"وأعطانى معهم (أى مع العلماء) ثلاثة وثلاثين مثقالاً من الذهب ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، وأحسن إلىّ عند سفرى بمائة مثقال من الذهب الخالص"(٣).

وقد أدت هذه السياسة إلى رحيل العلماء إلى بلاد السودان الغربى إذ كان السلاطين والحكام متواضعين خاصة مع العلماء ويؤكد ذلك الرحالة ابن بطوطة بقوله"وكنت خلال تلك الفترة (الرحلة) أتردد إلى المشور، وأسلم عليه(السلطان) وأقعد مع القاضى والخطيب"(٤).

كان هذا التشجيع والكرم الذى أسبغه هؤلاء السلاطين على العلم والعلماء نابعا من إيمانهم بالعلم وقيمته فى تقدم الأمم والشعوب خاصة أن كثيراً منهم كان من العلماء مثل السلطان منسا موسى الذى يقول عنه المؤرخ المصرى ابن

(١) تاريخ السودان، نشره هواوس وبنوه، باريس ١٨٩٨م ص٢٥.
(٢) تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشره هوداس ودولافوس، باريس، ١٩١٣م، ص٤٤.
(٣) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة ١٣١١هـ، ص٦٦٥.
(٤) المصدر السابق، ص٦٦٦.

حبيب"إنه كان شابا فقيها مالكى الذهب"[١]كما كان الحاج أسكيا الكبير راغبا فى العلم بدليل أنه سمع على الامام السيوطى جملا فى الشريعة الاسلامية أثناء مروره بالقاهرة للحج"[٢]وكان أسكيا داوود(٩٥٦ - ٩٩١هـ/١٥٤٩ - ١٥٨٣م) عالما حافظا للقرآن الكريم، كما كانت له خزائن الكتب والنساخ الذين ينسخون الكتب، وكامنيهادى بها العلماء[٣].

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء السلاطين المشهورين، فإن هناك أمراء آخرين كانوا مثقفين بثقافة إسلامية عالية، كانوا يجيدون التكلم بالعربية أمثال الأمير فربا سليمان الذى شاهده الرحالة ابن بطوطة أثناء رحيلة إلى مدينته، حيث وجد عنده كتاب المدهش لابن الجوزى فأخذ يقرأ فيه"[٤].

ومما شجع السلاطين والملوك على ذلك الكرم الزائد توافر الثروة والرخاء لديهم، يقول القزوينى عن بلادهم: إنها بلاد التبر[٥]فلقد أهدى السلطان منسا موسى مقدارا كبيرا من الذهب إلى السلطان المصرى وأعوانه، وكذلك على القبائل الضاربة فى طريقه للحج[٦].

(١) النبيه فى ذكر المنصور وبنيه، تحقيق د/محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، جـ١ صـ١٤٢.

(٢) كعت: مصدر سابق، ص٣٣. (٣)المصدر السابق، ص١٠٨.

(٤) الرحلة، ص٦٧٦.

أما كتاب المدهش فهو كتاب وعظى ، ويشتمل على مواعظ شاملة مستقاة من القرآن الكريم، وقصص الأنبياء، وسيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبار صحابته الكرام، وكذلك بعض المواعظ التى تدعو الناس إلي الزهد وإلى عبادة الله ومراقبته. انظر: ابن الجوزى: المدهش، المؤسسة العالمية بيروت، ١٩٨٣م ص١ - ٥.

(٥) القزوينى: مصدر سابق، ص١٨٠.

(٦) العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، مخطوطة دير الدومنيكان برقم 1X760، مجلد٤، ورقة ٤٣.

كما اشتهر السلاطين ببنائهم المساجد، والاهتمام بها، والتى كانت فى ذلك العصر من أهم أماكن العلم والدراسة، يدل على ذلك ما قاله القلقشندى عن السلطان منسا سليمان ملك مالى "إنه بنى المساجد والمنارات، وأقام الجمع والجماعات والأذان، وجلب الى بلاده الفقهاء، خاصة من المتعمقين فى مذهب الامام مالك رحمه الله[١].

ومن الصفات الهامة لهؤلاء السلاطين والملوك السودانيين أنهم كانوا يتصفون بالعدل فالمعروف أن العلم والحضارة لا ينتشران إلا فى جو آمن ومطمئن والاطمئنان والأمان لا يأتى إلا نتيجة لسياسة تقوم على العدل والعدالة.

وقد اتبع هذه السياسة كثير من سلاطين بلاد السودان أمثال ذلك السلطان(منسا موسى) الذى كان عادلا يحب تنفيذ العدل فى أرجاء مملكته الواسعة، ولذا يقول القلقشندى عنه: إنه كان رجلا صالحا وملكا عظيما له أخبار فى العدل تؤثر عنه"[٢].

ولقد لمس الامام المغيلى هذه الأمور عند الملوك والسلاطين بتلك البلاد فعبر عن ذلك كله قائلا "وكانت ملوكهم وسلاطينهم على الغاية من تعظيم العلماء، وإجلال أهل البيت، وإكرام الفقهاء"[٣].

وكانت الشعوب السودانية أيضا تشجع العلم وتعين عليه، يقول ابن بطوطة فى ذلك"ومنها عنايتهم بحفظ القرآن الكريم، وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر منهم التقصير فى حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه"[٤].

(١) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الانشا، القاهرة، ١٤١١هـ ١٩٩١م، جـ٥، ص٢٩٧.

(٢) المصدر السابق، جـ٥، صـ٢٩٤.

(٣) مصباح الأرواح، ص١٩.

(٤) رحلته، ص٦٧٣.

مكانة الامام المغيلى عند الحكام:

كان للامام المغيلى صيت ذائع ومكانة مرموقة فى هذه البلاد وكان ثقة عند حكامها، فلقد كانت له علاقات طيبة مع سلطان كانو، فلقد اجتمع به، ومكث فى سلطنته مدة طويلة للتدريس والافتاء، كما كتب له رسالة فى أمور السلطنة ومما جاء فيها، "بسم الله الرحمن الرحيم" من عبد الله بن عبد الكريم بن محمد المغيلى إلى أبى عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كانو، وفقه الله لما يرضاه، وأعانه على ما أولاه من أمور دينه ودنياه بجاه سيدنا محمد صلوات الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[١].

وهذه الرسالة كانت تتضمن حثاً لهذا السلطان على اتباع الشرع فى حكمه، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وقرر لهم فيها أحكام الشرع وقواعده"[٢].

كما كان لهذا الامام مكانة سامية عند الحاج أسكيا الكبير سلطان صنغى[٣] يؤكد محمود كعت التنبكتى تلك المكانة قائلا: "وجعل الأسكيا الحاج محمد يسأل العلماء العاملين عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسير على أقوالهم، حتى اتفق جميع علماء عصره على أنه خليفة، وممن صرح له بذلك الشيخ عبد الرحمن السيوطى والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلى والشريف الحسنى مولاى العباس أمير مكة"[٤].

ولقد بعث له هذا الامام العظيم بوصاياه المشهورة التى تدل على تفوقه

---

(١) المغيلى: مصباح الأرواح، ص٢٧.

(٢) أحمد بابا: مصدر سابق، جـ٢، صـ٥٧٧.

(٣) قامت دولة صنغى فى(٨٦٩ - ١٠٠٠هـ/١٤٦٤هـ/١٥٩١).

(٤) كعت: مصدر سابق، صـ١٢، ٦٨.

وتبحره في علوم الدين وغيرها، ومن هذه الوصايا والرسائل[١]. رسالة لأسكيا الحاج محمد الكبير، والمعروفة باسم أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلى"، ومما جاء فيها: الأمر له بطاعة الله ومراقبته فيقول الامام المغيلى: فاعلم أعاننا الله وإياك أن الملك كله لله وما النصر إلا من عند الله، فكن لله عبدا بطاعته، يكن لك ربا بحفظه وإعانته، إنما أنتَ مملوك لا تملك شيئا، وقد رفعك مولاك على كثير من عباده لتصلح لهم دينهم ودنياهم لا لتكون سيدهم ومولاهم وأنت في جميع مملكتك راع لا مالك، وكل راع مسئول عن رعيته، فانظر لنفسك قبل الفوت، فإنه لابد لك من الموت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما من أمير عشيرة إلا يؤتى به مغلولا يوم القيامة حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور[٢]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شئا فرفق بهم فارفق به"[٣].

كما أرشده إلى إختيار البطانة الخيرة التي تحثه على الخير وتعينه عليه في ذلك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من وال إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله"[٤].

(١)كتبت هذه الرسائل باللغة العربية، وكانت سبعة أسئلة بعث بها الأسكيا الحاج محمد الكبير، وكل سؤال منها يحتوى على أكثر من سطرين أما عباراتها فشديدة القوة والتماسك ولكننا لا نستطيع الجزم بأن كاتبها سودانى، لأن الأخبار توافرت إلينا عن وجود كتاب مغاربة في بلاط الأسكيا في ذلك الوقت، ومن المعروف في تاريخ الحضارة الاسلامية أن كتاب الملوك كانوا يسمون(كتاب الإنشاء، وكتاب الرسائل وكانوا يختارون من أبرع الكتاب واللغويين، لذا فإن كاتب الأسكيا كان من نوع الكتاب البارعين.
انظر: عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص١٥٧.

(٢)الامام أحمد بن حنبل: مسنده دار الفكر العربى ببيروت، بدون تاريخ، جـ٢، صـ٤٣٧.

(٣)البخارى: متن البخارى بحاشية السندى، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة بدون تاريخ، جـ٤، ص٢٤٥(بلفظ آخر)

(٤) الامام مسلم: صحيحه، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٧٤هـ/١٩٥٥م، جـ٣، صـ١٤٥٨(بلفظ آخر).

فإذا علمت ذلك أيها الأمير فعليك بأمرين:

الأول: أن تبعد عنك أهل الشر، وأن تقرب منك أهل الخير لأن من الغالب على الانسان التأنس بقرينه، والميل إلى تزيينه، فمن قربته من نفسك فقد مكنته من أذنك ومن مكنته من أذنك فقد مكنته من قلبك، لأن الأذن زمام القلب ولذلك قال أنس بن مالك رضى الله عنه: لا تمكن زائغ القلب من أذنك".

وقال بعض الحكماء:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

وفي ذلك قلت

إذا قرب السلطان أشرار قومه   وأعرض عن أخيارهم فهو طالح

وإذا قرب السلطان أخيار قومه   وأعرض عن أشرارهم فهو صالح

وكل إمرئ ينبيك عن قرينه   وذلك أمر فى البرية واضح [١].

ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله بقوله "إذا أراد الله بالأمير خيرا، جعل له وزير صدق، إن نسى ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه"[٢].

وقد أخذ يسأله عن أشياء أخرى كثيرة فى أمور الدين، فأجابه، الامام المغيلى إجابة قاطعة وواضحة وصريحة تدل على مقدرته العلمية الفائقة"[٣].

ومن الوصايا السابقة نستدل على أن الأسكيا الحاج محمد كان يثق به ثقة كبيرة، ولقد عبر الدكتور إبراهيم طرخان عن ذلك قائلا: "وقد اشتهر عن السلطان

(١) أسئلة الأسكيا، صـ٢٤.

(٢) أبو داود: سننه، حمص سوريا ١٩٧٠م، جـ٣ ص٣٤٥.   (٣) أسئلة الاسكيا، ص٥ - ٢٣.

أسكيا محمد سلطان صنغى حبه للعلم والعلماء وكان من أهم رجال العلم فى أيامه العالم الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلى التلمسانى الذى عاش فترة غير قصيرة فى تنبكتو[(١)].

إزاء حب السلاطين والملوك السودانيين للعلم والعلماء من أمثال الامام المغيلى سمت المدن السودانية مكانا عليا بالعلم والعلماء فيقول المؤرخ السعدى مبينا مكانة مدينة تنبكت آنذاك: "إنها كانت مألف الأولياء الزاهدين[(٢)].

كذلك كان لمدينة جنى الفضل الأعلى فى هذا المجال يقول السعدى: "وقد ساق الله لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير أهله من قبائل شتى[(٣)]. مما أثر بالطبع على الحياة العلمية والثقافية فى هذه البلاد.

كما كان للإمام المغيلى الفضل الأسمى فى نشر الطريقة القادرية[(٤)]فى هذه البلاد وقد أخذ تلميذه فى التصوف عمر الشيخ ابن أحمد (١٤٦٠ – ١٥٥٣) الذى تلقى مبادئ العلم على يديه، وعهد إليه بنشر الطريقة القادرية فى هذه البلاد.

---

(١) الاسلام واللغة العربية، ص٤٨.
ولعل مما يؤكد هذه الحقيقة أن الاسكيا الحاج محمد قد أظهر فى أسئلته التى استفتى تألمه الشديد من كون علماء بلاده لا يفقهون من الدين الاسلامى إلا بعض الأحكام البسيطة، وفهمهم فى الغالب لها سقيم. انظر: عبد القادر زيارية ص١٢٩.
(٢) تاريخ السودان، ص٢١.
(٣) المصدر السابق، ص١٦.
من هؤلاء العلماء والأولياء العالم الربانى سيدى محمد البغدادى ذو المناقب الكثيرة والكرامات الأثيرة، فريد الدهر وسلطان الطريقة وبرهان الشريعة. انظر: محمد بلو: مصدر سابق صـ٣٧.
(٤) تنسب هذه الطريقة إلى سيدى عبد القادر الجيلانى الذى ينتهى نسبه إلى الحسن بن على بن أبى طالب عنهم ولد بجيلان ببلاد العراق ٤٩١هـ وتوفى ٥٦١هـ ودفن ببغداد. انظر: الشعرانى: الطبقات الكبرى. دار الجيل ببيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، جـ١، ص١٠٠. وعاش الشيخ عيشة حافلة بالاخلاص فى الدعوة، ونشر العلم الصحيح، ونشر الطريقة القادرية، وكان لهذا الشيخ حب كبير وقبول تام، وما كان يخرج من مدرسته إلا يوم الجمعة أو إلى الرباط فى سبيل الله تعالى. انظر: الذهبى سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م،جـ٢٠،صـ٤٥٠.

وفى الواقع لقد أخذ سيدى عمر الشيخ بدعوة المغيلى وبفضائله ولازمه وتبعه فى كل جولاته لنشر الدين والاصلاح، ويظهر أنه كان رسوله لنشر الاسلام والتصوف الصحيح والطريقة القادرية فى السودان الغربى، ومما لا ريب فيه أن هذا هو الذى جعل اسم سيدى عمر واسم (كنته). قبيلته أكثر شهرة من اسم المغيلى فى هذا المجال[١].

وبوفاة الامام المغيلى أصبح عمر الشيخ الرئيس الأعلى للطريقة القادرية فى هذه الأصقاع.

وقد لعبت الطرق الصوفية دورا بارزا ورائدا فى توجيه الأهالى وإرشادهم إلى أمور دينهم، وكذلك لنشر العلم والاسلام فى شتى أرجاء هذه المنطقة[٢].

كذلك لعبت الطرق الصوفية دورا هاما وخطيرا فى مقاومة الاستعمار الأوروبى، وإذا كان هذا الدور لم يكشف عنه النقاب تماما إلى الآن(والسبب فى ذلك)، أن إتباع هذه الحركات والمريدين الذين التفوا حولهم اعتبروا الجهاد السياسى المتصل بالوطن وحريته والوقوف فى وجه أعدائه والمغتصبين جزءا من واجبهم لا ينفصل عن الجهاد فى سبيل نشر الدين.

ومن المؤسف أن معظم المراجع الأجنبية تعالج هذا الأمر على أنه ثورات من أفراد خارجين على القانون وعلى النظام، وهذا هضم لحقوقهم ومكانتهم فى الجهاد المخلص[٣].

(١) أمطير سعد غيث: التأثير العربى الاسلامى فى السودان الغربى ليبيا، ١٩٩٦م ص ١٠٠. والظاهرة أن الامام المغيلى كان مشغولا بتنقلاته العلمية ولقاءاته العديدة والمفيدة مع ملوك وسلاطين هذه البلاد وتوجيه النصح لهم وبشعوبهم ؛كما مر سابقا.
(٢) حسن إبراهيم حسن. انتشار الاسلام فى القارة افريقية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م، ص٤٢، لذلك انتشر الاسلام فى هذا الإقليم كثيرا، وظهرت فى أهله البركة والخير كثيرا، وكان منهم العلماء والأدباء من لا يحصيهم إلا الله تعالى، وضاعوا لعدم تسجيل التاريخ. انظر: محمد بلو: مصدر سابق، ص٣٦.
(٣) إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص٤٦.

علاقاته الثقافية بعلماء عصره:

كان لهذا الامام علاقات ثقافية وثيقة بعلماء عصره مما يدلنا على شهرته الثقافية الواسعة ببلاد العالم الاسلامى.

فوقع بينه وبين جلال الدين السيوطى[١](ت ٩١١هـ/١٥٠٥) بمصرنزاع ومناقشة حول علم المنطق، فكتب إليه رسالة حاجه فيها على تنفيره من دراسة المنطق مع أنه الوسيلة الضرورية لإدراك الحق فقال فى قصيدته:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله ... وكل حديث حكمه حكم أصله

أيمكن أن المرء فى العلم حجة ... وينهى عن الفرقان فى بعض قوله

هل المنطق إلا عبارة ... عن الحق أو حقيقة حين جهله

معانيه فى كل الكلام فهل ترى ... دليلا صحيحا لا يرد لشكله

أرنى هداك الله منه قضية ... على غير هذا تنفه عن محله

ودع عنك ما أبدى كفور وذمة ... رجال وإن أثبت صحة نقله

خذ الحق حتى من كفور ولا تقم ... دليلا على شخص بمذهب مثله

عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن ... به لا يهتم إذ هم هداة لأجله

لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم ... وكم عالم بالشرع باح بفضله

---

(١) فى الحقيقة أن الامام السيوطى كانت له مواقف من هذا العلم فلقد كتب فى كتابه(إتمام الدراية) وتحرم علوم الفلسفة كالمنطق بإجماع السلف وأكثر المعتبرين من الخلف، وممن صرح بذلك ابن الصلاح والنووى. انظر: ابن طولون: نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق محمد دهان وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٣٢.

وأجابه السيوطى بقوله:

حمدت إله العرش شكرا لفضله ... وأهدى صلاة للنبى وأهله

عجبت لنظم ما سمعت بمثله ... أتانى عن خبر أقر بفضله

تعجبت منى حين ألفت مبدعا ... كتابا جموعا فيه جم بنقله

أقرر فيه النهى عن علم منطق ... وما قاله من قال من ذم شكله

وسماه بالفرقان يا ليت لم يكن ... فذا وصف قرآن كريم لفضله

وقد قال محتجا بغير رواية ... مقالا عجيبا نائيا عن محله

ودع عنك ما أبدى كفور وبعد ذا ... خذ الحق حتى من كفور بختله

وقد جاءت الآثار فى ذم من حوى ... علوم يهود أو نصارى لأجله

يجوز به علم لديه وإنه ... يعذب تعذيبا يليق بفعله

وقد منع المختار فاروق صحبه ... وقد خط لوحا بعد توراة أهله

وكم جاء من نهى اتباع لكافر ... وإن كان الأمر حقا بأصله

أقمت دليلا بالحديث ولم أقم ... دليلا على شخص بمذهب مثله

سلام على هذا الامام فكم له ... لدى ثناء واعتراف بفضله[1]

ومن الواضح أن جانب المغيلى فى هذه المساجلة الطريفة كان أقوى وأشد

---

(١) وهكذا تكون المجادلات العلمية الهادفة بين السادة العلماء، الذين يكنون لبعضهم كل الاحترام والتقدير رغم الخلاف بينهم فى بعض المسائل.

انظر: المغيلى: مصباح الأرواح، ص١٠، ابن مريم: مصدر سابق، ص٣٥٢ - ٣٥٣، أحمد بابا: مصدر سابق، ص٥٧٦ - ٥٧٩.

من جانبى السيوطى - رحمهما الله - وهى تدلنا على الاتجاه العقلى السائد فى تلمسان والمغرب العربى موطن المغيلى فى هذا العصر على أن هذا الاتجاه العقلى الذى كان يجد له سندا لدى المغيلى والحافظ التنسى والسنوسى والعقبانى أخذ يضعف فى أوائل القرن العاشر الهجرى/السادس عشر الميلادى ويقل دارسوه[١]. وهذا يدلنا على أن الدراسات العقلية كانت سباقة فى المغرب العربى عنها فى المشرق العربى، ويدل ذلك أيضا على عبقرية هذا الامام الكبير.

موقف الامام المغيلى من اليهود:

وقف هذا العالم الجليل موقفا صارما من اليهود فى زمانه، يدل على غيرته الشديدة، وألف فى ذلك رسالة تداولها علماء عصره بالتأييد والتقريظ ومنهم من عارضها.

جاء فى هذه الرسالة: الحث على عدم موالاة الكفار قال الله تعالى "الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات"[٢] وكل جنس إلى جنسه إلف من جميع الحيوانات، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض، وممن يتولهم منكم فإنه منهم[٣] وفى ذلك قلت هذه الأبيات.

إذا قرب الإنسان أخيار قومه وأعرض على أشرارهم فهو صالح

وإذا قرب الإنسان أشرار قومه وأعرض عن أخيارهم فهو طالح

وكل إمرئ ينبيك عن قرينه وذلك أمر فى البرية واضح[٤].

(١) المغيلى: مصباح الأرواح، ص١٢. (٢) الآية رقم ٢٦من سورة النور.

(٣) الآية رقم ٥١من سورة المائدة.

(٤) مصباح الأرواح ص٢٩، وسبب إثارة الامام ضدهم أنهم كانوا يسيطرون ويحتكرون فى أهم المدن الشمالية على مصادر التجارة والمال وتوغلوا فى شراء ذمم بعض المسئولين، وأصبحوا صنائع لهم، ولما انتقل إلى الجنوب وجد اليهود أيضا يشاركون بنشاط فى حركة القوافل التجارية مع السودان ويتصرفون تصرفات أكثر حرية مما فى الشمال، فدعا لمحاربتهم واجتمع حوله الأنصار فطاردوا اليهود وهدموا عددا من بيعهم بتوات ونواحيها.

انظر: المغيلى: أسئلة الاسكيا، ص٨ - ٩.

ولقد أورد فى هذه الرسالة بعض مكائد اليهود، من هذه المكائد: ما فعله خادم السلطان أبى عنان (سلطان المغرب) مع الصبية الذين كانوا يتعلمون القرآن الكريم، وكانوا يقرءون قوله تعالى: "ومن يبتع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين[١].

فأمرهم ذلك اليهودى الماكر أن يحذفوا كلمة غير، فما كان من السلطان بعد أن أخبر بذلك وتأكد منه أن قتل هذا الماكر الملعون الذى يريد أن يحرف كلام الله تعالى [٢].

ومن هذه المكائد: ما فعله خادم القاضى وكان يهودياً، أمره أن يغسل ثيابه، فدخل عليه القاضى فجأة فوجده يبول على تلك الثياب، فربطه وضربه، وتاب هذا القاضى عن تقريب أعداء الله"[٣].

ولقد تطور هذا الصراع بين الامام المغيلى وبين ملاعين اليهود تطورا شديدا حتى تمكن يهود توات من قتل ولده عبد الجبار وبلغ المغيلى نبأ ذلك وهو ببلاد التكرور[٤]فانزعج منه، وطلب من السلطان القبض على التواتيين الذين كانوا فى جاو فقبض عليهم ولكن أنكر أحد الفقهاء على السلطان فعل ذلك، حيث أنهم أبرياء، فرجع السلطان عن ذلك واحتسب الامام المغيلى أجره فى ولده من الله سبحانه وذهب إلى توات[٥]. وفى عام ١٥٠٠غادر توات قاصدا جاو بعد استدعاء الأسكيا له، وحاول المغيلى أن يؤثر على الأسكيا لعله يطرد اليهود من هذه المدينة ولكنه لم يوفق وخاب مسعاه.

---

(١) الآية: رقم ٨٥من سورة آل عمران.
(٢) المغيلى: مصباح الأرواح، ص٣٣.
(٣) المصدر السابق، ص٣٣.
(٤) بلاد التكرور: هى بلاد السودان الغربى كما مر سابقا. انظر: ص١٣من البحث (هامش).
(٥) المصدر السابق، ص١٠ - ٢١.

وعلى أية حال فإن الأسكيا أغلق أبواب التجارة فى وجه اليهود فى تنبكت وحرم على رعيته أن يتجروا معهم[١]، وتوفى هذا الإمام الكبير عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م بتوات ودفن بها، ويقال بأن يهوديا ذهب إلى قبره بتوات وبال عليه فأعماه الله تعالى[٢] إكراما لهذا الامام الجليل.

تلاميذ الامام المغيلى:

وقد أثرت مجهودات الشيخ المغيلى فى ظهور كثير من طلاب العلم المهرة الذين صاروا بعد ذلك أئمة العلم والدين.

منهم الأستاذ الفقيه العاقب الأنصمنى المتوفى، فقيه نبيه ذكى الفهم، وقاد الذهن، مشتعلا بالعلم فى لسانه ذرابة، له تعاليق من أحسنها كلامه على قول خليل، وخصخصة نية الحالف، وهو حسن مفيد، وله جزء فى وجوب الجمعة فى قرية أنصمن[٣] خالف فيه غيره والصواب معه والجواب المحدود عن أسئلة القاضى محمد بن محمود، وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير وله غيرها. أخذ عن المغيلى والجلال السيوطى وغيرهما، توفى عام ٩٥٠هـ/١٥٤٣م"[٤]

ومنهم الامام محمد بن أحمد بن أبى بكر التازختى، عرف هذا الامام بأيد أحمد (أى ابن أحمد) كان فقيهاعالما فهاما محدثا متفننا محصلا جيد الخط حسن الفهم كثير المنازعة، قرأ ببلاده على جدى الفقيه الحاج أحمد بن عمر، وعلى خاله الفقيه على، وحصل ولقى بتكده الامام المغيلى وحضر دروسه ثم رحل

(١) عبد الرحمن زكى: تاريخ تاريخ الدول السودانية، المؤسسة المصرية الحديثة للطبع والنشر، ١٩٦١م، ص١٤٠.
(٢) المغيلى: مصباح الأرواح، ص٢١.
(٣) قرية مشهورة من قرى بلاد السودان.
(٤) محمد بلو: مصدر سابق، ص٣٦ - ٣٧.

للشرق صحبه سيدنا الفقيه محمد، فلقى علماء أجلاء كشيخ الاسلام زكريا والبرهانيين والقلقشندى، وابن أبى شريف، وعبد الحق السنباطى وجماعة، فأخذ عنهم علم الحديث وسمع وروى وحصل واجتهد حتى تميز فى الفنون، وصار من المحدثين، وحضر دروس الأخوين اللقانين، وتصاحب مع أحمد بن محمد وعبد الحق السنباطى وأجازه من مكة أبو البركات النويرى، وابن عمته عبد القادر وعلى بن ناصر الحجازى، وأبوالطيب البستى وغيرهم، ثم رجع لبلاد السودان وتوطن كشن فأكرمه صاحبها، وولاه قضاءها وله تقييد وطرر علي مختصر خليل، توفى فى حدود ٩٣٦هـ/١٥٢٩م عن نيف وستين سنة"[١].

كما تتلمذ عليه محمد بن عبد الجبار الفجيجى[٢] وكذلك عمر الشيخ ابن أحمد فى التصوف[٣] وغيرهؤلاء كثير.

آثاره العلمية:

كان للإمام المغيلى علامة فى المنقول والمعقول كثير التآليف) سيال العلم، مشهورا بالمشرق والمغرب، ومن مؤلفاته التى ذكرها مترجموه:

١- البدر المنير فى علوم التفسير.

٢- شرح مختصر خليل بإيجاز، وهو غير تام وعليه حاشية سماها إكليل المغنى.

٣- شرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب الفقهى.

٤- تآليف فى المنهيات وموضوعه يتصل بوظيفة الحسبة على ما يبدو من عنوانه.

---

(١) السعدى، مصدر سابق ص٣٩ - ٤٠.
(٢) المغيلى: مصباح الأرواح، ص١٠.
(٣) انظر: ص١٧و ١٨ من البحث.

٥- مختصر تلخيص المفتاح وشرحه فى البلاغة.

٦- شرح الجمل للخونجى فى المنطق.

٧- مقدمة فيه(المنطق) ومنظومة أيضا سماها - منح الوهاب.

٨- تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين وهو نقد لأدعياء التصوف على ما يبدو.

٩- شرح خطبة المختصر.

١٠- مقدمة فى العربية.

١١- كتاب الفتح المبين

١٢- رسالة مصباح الأرواح فى أصول الفلاح.

١٣- عدد من القصائد فى مدح(النبى صلى الله عليه وسلم) وفى غيره من الموضوعات.

١٤- فهرست مروياته"[١].

ولاقت هذه المؤلفات شهرة كبيرة، ومما يدل على ذلك ذكر بعض الكتاب المتأخرين لها ومن أبرز هؤلاء:

حاجى خليفة، حيث ذكر رسالة له فى استعمال اليهود والنصارى أولها: الحمد لله الذى أنزل الكتاب تبيانا لكل شئ[٢]ولعلها مصباح الأرواح السابق الذكر.

(١) المغيلى: مصباح الأرواح، ٢١ - ٢٢.ولم يطبع فيها سوى كتابين هما: أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلى، ومصباح الأرواح فى أصول الفلاح والباقى مخطوطات فى مكتبات بلاد المغرب العربى.
(٢) كشف الظنون، دار العلوم الحديثة، بيروت، (بدون تاريخ) جـ١ صـ٨٤٥.

وذكر إسماعيل باشا البغدادى له كتاب: "إمناح الأحباب من منح الوهاب" لمحمد بن عبد الكريم المغيلى، كان ذلك فى حدود عام[١] ٨٦٦هـ، كما ذكر له كتابا آخر وهو رسالة فى استعمال اليهود والنصارى[٢]

وأثبت رضا كحالة له كتاب: "البدر المنير فى علوم التفسير "وكتاب "مصباح الأرواح فى أصول الفلاح" وكتاب: "شرح مختصر خليل فى فروع الفقه المالكى سماه "مغنى النبيل" وكتاب شرح الجمل فى المنطق، وكتاب إمناح الأحباب من منح الوهاب"[٣].

كما سجل له الزركلى(كتاب) البدر المنير فى علوم التفسير، والتعريف فيما يجب على الملوك وله رسالة المسماه(تاج الملوك) فيما يجب على الملوك والسلاطين، وأحكام أهل الذمة، وشرح مختصر خليل فى فقه المالكية، ومداومة النظر فى علم الحديث، ومنح الوهاب سماه "إمناح الأحباب من منح الوهاب"[٤].

مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه:

كان الامام المغيلى إماما ذكيا، وعلامة فى الفقه والتفسير والحديث والمنطق وغيرهما من العلوم"[٥] وذاع صيته فى الآفاق وعلت منزلته عند العلماء، فقد أثنى عليه صاحب البستان قائلا: "خاتمة المحققين الامام العالم العلامة، المحقق الفهامة القدوة الصالح، السنى الحبر، أحد أذكياء العالم وأفراد العلماء، الذين أوتوا الحسبة فى الدين"[٦].

(١) إيضاح المكنون، دار العلوم الحديثة، بيروت (بدون تاريخ) ج٣ص ١٢٧.
(٢) هدية العارفين وآثار المصنفين، إستانبول ١٩٥٥، جـ١ص ٢٢٤.
(٣) معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربى، (بدون تاريخ)، جـ٩ صـ١٥١.
(٤) الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م، جـ٦، ٢١٦.(المتن) ومع هذه المؤلفات العديدة المتنوعة فى فروع العلم المختلفة إلا أنها لا تشمل كل مؤلفاته، فبعد وفاته اكتشف الكثير من مصنفاته ورسائله.
(٥) المصدر السابق صـ٩.
(٦) ابن مريم: مصدر سابق، ص ٢٥٣.

وقال فيه الامام الفقيه محمد بن يوسف التلمسانى "الأخ فى الله الولى، القائم بما اندرس فى فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى القيام بها - ولا سيما فى هذا الوقت - علامة الاتسام بالذكورة العلمية، والغيرة الاسلامية، وعمارة القلب بشريف الايمان، السيد أبى عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلى حفظ الله تعالى حياته، وبورك فى دينه ودنياه، وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة"[1].

ومدحه الامام السيوطى بقوله:

سلام على هذا الامام فكم له لدى ثناء واعتراف بفضله[2].

وقال فيه أحمد بابا: "محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلى التلمسانى، خاتمة المحققين الامام العالم القدوة الصالح السنى، أحد الأذكياء ممن له بسطة فى الفهم والتقدم متمكن المحبة فى السنة وبغض أعداء الدين"[3].

وأثنى عليه المؤرخ السودانى محمد بلو: "الحجة المغيلى"[4].

(١) المغيلى: مصباح الأرواح، ص٧١ - ٧٢.
(٢) المصدر السابق، ص١٢.
(٣) نيل الابتهاج، جـ٢ ص٥٧٦.
(٤) محمد بلو: مصدر سابق، ص١٧٩.

المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات:

العمرى: (الحافظ بدر الدين ت ٨٥٥هـ/١٤٤١م):

١- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، مخطوطة دير الدومنيكان 2/760*1، مجلد٤

المقرى (شهاب الدين أحمد بن محمد):

٢- الجمان من مختصر أخبار الزمان، مخطوطة دار الكتب العامة بالقاهرة، تحت رقم ١٤١٦تاريخ، ميكرو فيلم ١٤٩٧.

ثانيا: المصادر:

أحمد بابا التنبكتى(ت ١٠٣٧هـ/١٦٢٧م):

١- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية أصول الدين طرابلس ليبيا، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، جـ١ . ٢.

أحمد بن حنبل (سليمان بن الأشعب السجستانى ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٥)

٢- مسنده، دار الفكر العربى، بيروت بدون تاريخ، جـ٢.

الاصطرخى (أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى):

٣- المسالك والممالك، تحقيق د/محمد الحسينى، القاهرة ١٩٦١م.

البخارى: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)

٤-متن البخارى على حاشية السندى، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة (بدون تاريخ)، جـ٤.

ابن بطوطة: (أبى عبد محمد بن عبد الله ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

٥- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة ١٣١١هـ.

ابن الجوزى(أبى الفرج جمال الدين على ت ٥٩١ه/١١٩٤م):

٦- المدهش، المؤسسة العالمية، بيروت، ١٩٣٣.

ابن حبيب (الحسن بن عمر الحسن ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

٧- النبيه فى ذكر المنصور وبنيه، تحقيق د/محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

ابن حزم(أبى محمد على بن سعيد ت ٤٥٤ هـ/١٠٦٢م):

٨- جمهرة أنساب العرب، دار المعارف بمصر ١٩٤٨م.

الحميرى(محمد بن عبد المنعم):

٩- الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٧٥م.

ابن خردازبة(أبى القاسم عبد الله بن عبد الله ت ٣٠٠هـ/٩١٢م):

١٠- المسالك والممالك، ليدن ١٨٩٩م.

الخزاعى (أبو الحسن الخزاعى التلمسانى)

١١- تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه

وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق الشيخ محمد أبو سلامة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ابن الخطيب (محمد لسان الدين ابن الخطيب):

١٢- كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق/محمد كمال شبانة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٦.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

١٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧٨م.

أبو داود: (سليمان بن الأشعث السجستانى ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م):

١٤- سننه، حمص سوريا، ١٩٧٠، جـ٣.

ابن الدباغ(أبى زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصارى ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م):

١٥- معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شيوخ مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٦٨م، جـ١.

الدمشقى(شمس الذين أبو عبد الله محمد الأنصارى ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م):

١٦- نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى بغداد ١٩٢٣م.

الذهبى(الحافظ الذهبى ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

١٧- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤط، مؤسسة االرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م،جـ٢.

ابن أبي زرع:

١٨-الأنيس المطرب القرطاس، المغرب، ١٣٠٥هـ.

سبط ابن الجوزى(شمس الدين أبى المظفر يوسف ٦٥٤هـ/١٢٥٧م):

١٩- تذكرة الخواص، مؤسسة أهل البيت، بيروت، (بدون تاريخ).

السعدى(عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران ت بعد عام ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٥م):

٢٠- تاريخ السودان، نشره هوداس وبنوه، باريس ١٨٩٨م.

الشعرانى (أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد من علماء القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى):

٢١- الطبقات الكبرى، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

الشوكانى (أحمد بن على ت ١٠٢٥هـ / ١٨٣٥م):

٢٢- البدر الساطع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٨، جـ١.

ابن طولون (شمس الدين محمد بن طولون ت ٩٥٣هـ / ١٩٤٦م):

٢٣- نقد الطالب لزغل المناصب تحقيق محمد دهان وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

أبو الفداء (إسماعيل بن محمد صاحب حماة ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م):

٢٤- تقويم البلدان، دار صادر بيروت، ١٨٢٠م.

القرمانى: (أحمد بن يوسف ١٠١٩هـ / ١٦١٠م):

٢٥- أخبار الأول وآثار الدول، تحقيق أحمد حطيط وآخر، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (بدون تاريخ)، مجلد ٣.

القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م):

٢٦- آثار العباد وأخبار البلاد، دار صادر بيروت، (بدون تاريخ).

القلقشندى (شهاب الدين أحمد بن على ت ٨٢١ / ١٤١٨م):

٢٧- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، القاهرة ١٤١١هـ، جـ٥.

٢٨- قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبيارى، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

المراكشى (عبد الواحد):

٢٩- المغرب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د/ محمد سعيد العريان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة، ١٣٧٣هـ.

ابن مريم (أبى عبد الله محمد بن محمد أحمد):

٣٠- البستان فى ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ديوان المطبوعات بالجزائر، ١٩٠٨م.

الامام مسلم (أبو الحسن مسلم الحجاج بن مسلم ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م):

٣١- صحيحه، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م، جـ٣.

المغيلى ·محمد بن عبد الكريم ت ٩٠٩هـ / ١٩٠٣م):

٣٢- أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، ١٩٧٤م.

٣٣- مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، ١٩٦٨م.

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).

٣٤- الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام، مطبعة التأليف بالقاهرة ١٨٩٥.

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م):

٣٥- نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

الوزان (ليو الأفريقي):

٣٦- وصف أفريقيا، السعودية الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

ياقوت الحموي: (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م):

٣٧- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩١م، المجلد الأول.

ثالثا: المراجع العربية:

إبراهيم طرخان (دكتور):

١- الاسلام واللغة العربية فى غرب أفريقيا، القاهرة بدون تاريخ.

إسماعيل باشا البغدادى:

٢- إيضاح المكنون، دار العلوم الحديثة، بيروت، بدون تاريخ.

٣- هدية العارفين وآثار المصنفين، استانبول ١٩٥٥م، جـ٦.

أمطير سعد غيث:

٤- التأثير العربى الاسلامى فى السودان الغربى فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، ليبيا، ١٩٩٦م.

حاجى خليفة:

٥- كشف الظنون من سائر الكتب والفنون، استانبول ١٩٤١م.

حسن إبراهيم حسن (دكتور):

٦- انتشار الاسلام فى القارة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م.

حسن محمود (دكتور):

٧- الاسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، دار الفكر العربى بالقاهرة، ١٩٨٦م.

الحسنى (محمد عبد القادر):

٨- تحفة الزائر فى أخبار الجزائر، المطبعة التجارية بالإسكندرية، ١٩٠٣م.

حسين مؤنس (دكتور):

٩- أطلس تاريخ الاسلام، الزهراء للاعلام العربى بالقاهرة، ١٩٨٧م.

جلال يحيى (دكتور):

١٠- المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦م، جـ٣.

رضا كحالة (أ):

١١- معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربى لبنان، (بدون تاريخ)، جـ٩.

الزركلى:

١٢- الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

الشاطر بصيلى (دكتور):

١٣- تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

عبد الرحمن زكى (دكتور):

١٤- تاريخ الدول السودانية، المؤسسة المصرية الحديثة للطبع والنشر، ١٩٦١م.

محمود شيت خطاب (أ):

١٥- قادة الفتح العربى للمغرب العربى، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩١٦م.

رقم الإيداع

٦٢٠٤ / ٢٠٠٠م

دار بلال للطباعة والنشر
المنصورة ٢١ شارع طابا متفرع من كلية الآداب
ت : ٢٢٣٦٤٢

رقم الإيداع

٦٢٠٤ / ٢٠٠٠م

دار بلال للطباعة والنشر

المنصورة ٣١ شارع طابا متفرع من كلية الآداب

ت : ٢٢٣٦٤٢